# أبــو بكــر الـــــرازى

## (حُجة الطب فى العالم منذ زمانه وحتى العصر الحديث)

الناشـــــــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنـــــــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد - مساكن درباله - فيكتوريا - الإسكندرية.

تليفـــــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط) - موبايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣

الرقم البريدى: ٢١٤١١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

**E- mail**

dwdpress@yahoo.com

dwdpress@biznas.com

**Websitc**

http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب : أبو بكر الرازى

" حُجة الطب فى العالم منذ زمانه حتى العصر الحديث "

المؤلــــــف : د. خالد حربى

رقم الإيداع : ١٨٠٣٥ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى: 5 - 582 - 327 - 977

# أبو بكر الرازي

﴿ حُجة الطب في العالم منذ زمانه وحتى العصر الحديث ﴾

دكتـــور

خـــالد حــــربى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الطبعة الثانية

2006

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : 5274438 - الإسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

" .. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا
إنك أنت العليم الحكيم " .

( البقرة آية 32 )



## الإهـــــداء

إلى رائد الثورة العقلانيـة فـى العلـم العربـى

أستاذى الدكتور / ماهر عبد القادر محمـد

اعترافاً بفضله وريادته، وتقديـراً

لأستاذيته، وإعظاماً لخلقه .

خـالد حربى

# مقدمة الطبعة الثانية

أقدم اليوم إلى القراء والباحثين والمتخصصين فى العلم العربى وعلوم الحضارة الإسلامية عمومًا، الطبعة الثانية المزيدة والمنقحة من دراستى فى أبى بكر محمد بن زكريا الرازى، طبيب المسلمين بدون منازع، بل وحُجة الطب فى العالم منذ زمانه، القرن الثالث الهجرى، التاسع الميلادى، وحتى العصور الحديثة .

تمتاز هذه الطبعة عن الطبعة الأولى التى صدرت عام 1999 بإضافة معلومات جديدة عن الرازى ومناهجه التأليفية والتشخيصية والعلاجية تلك المعلومات التى اختمرت لدىّ طوال السنوات الفارقة بين عامى 1999 ، 2005 أو بالأحرى المدة الزمنية ، بين الطبعة الأولى، وهذه الطبعة الثانية . فقد وفقنى الله خلال هذه الفترة بدراسة وتحقيق ونشر بعض أهم مؤلفات الرازى المخطوطة، وهى : كتاب جراب المجربات وخزانة الأطباء، وكتاب التجارب، وكتاب سر صناعة الطب، وكتاب مقالة فى النقرس .

أما بالنسبة لكتاب جرّاب المجربات وخزانة الأصباء، فيعد بحق موسوعة طبية متكاملة – فى غاية الأهمية – للعلاج بالنباتات الطبيعية والأعشاب لكل الأمراض المعروفة فى عصر الرازى، والتى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم. وقد ظلت هذه الموسوعة القيمة مجهولة إلى وقت قريب، حتى وفقنى الله لتحقيقها ونشرها باعتبارها وثيقة هامة جدًا من وثائق الطب العربى الإسلامى المزدهر .

وجاء التزامى بتحقيق ونشر كتاب التجارب باعتباره من أهم وأجل كتب الرازى. حيث سجل فيه مئات التجارب الطبية العلاجية (الحيّة) التى قام بها بنفسه. وعالج من خلالها مرضاه. وبعد إثبات نجاحها باستخدام المحك الرئيس فى ذلك وهو التجربة. دوّنها مفصلة فى هذا الكتاب الأشهب. والذى ض مخطوطًا. لم يسبر غوره أحد من الباحثين لتحقيقه ونشره حتى عام 2002. فاتجشمت عناء هذه المهمة (الهامة). ونشرت الكتاب محققًا مع دراسة فى منهج البحث العلمى عند الرازى، وذلك من منطلق إيمانى الكامل بأن كتاب التجارب يُعد من الدلالات القاطعة على أن الرازى "إمام" و"عمدة" فى كشف وتطبيق المنهج التجريبى بكافة مراحله المعروفة حاليًا.

أما كتاب سر صناعة الطب فيُعد من جُلّ مؤلفات تاريخ الصب العربى. بل والعالمى. ظل هذا الكتاب مخطوطًا، حتى أتى إخراجى وتحقيقى ونشر له عام 2002. وذلك ضمن مشروعى التراثى المَعْنى بتحقيق ونشر أكبر عدد ممكن من مؤلفات حُجة الطب فى العالم. وهو الرازى وتأتى أهمية هذا الكتاب من حيث إن الرازى قصد به "نشر صناعة الطب" ردًا على من ضنّ بها وكتمها. الأمر الذى أدى إلى إبادة ثمرة العلم: فلقد رأى الرازى أن بعض المتطببين يدننون اسرار صناعة الطب عن غيرهم لأنهم اتخذوها معاشا ومكسبا. فخرجوا بذلك عن أخلاق هذه المهنة الشريفة. فوضع الرازى كتابه هذا فى مقابل الاتجاه المضن. فجاء "عمدة" فى موضوعه ومنهجه منذ زمانه وحتى اليوم.

ومع صحبتي للرازى على مدار سنوات طويلة، رأيتنى انتقل معه من كتاب مهم إلى آخر أهم . فبعد انتهائي - بفضل الله - من نشر كتابه سر صناعة الطب محققا، عكفت على دراسة وتحقيق نص جديد وخطير للرازى. وتأتي خطورته من أنه مازال فاعلاً حتى اليوم، ألا وهو كتاب "مقالة في النقرس" الذى يُعد من أقيم كتب تاريخ الطب العالمى قاطبة، حيث قدم الرازى فيه إسهامات جليلة للإنسانية جميعها. وسجل بها تقدمًا وسبقًا للحضارة العربية الإسلامية فى عمومها ومن بين هذه الإسهامات الأصيلة أن الرازى وضع فى هذا الكتاب أول تشخيص تفريقي بين أعراض كل من مرض النقرس. ومرض ألم المفاصل، وغير ذلك من المبادئ الطبية والعلاجية الخاصة بمرض النقرس، والتى مازالت فاعلة حتى يومنا هذا. ومن أجل ذلك كله، أتى تحقيقى ونشرى لهذا الكتاب الهام [1].

وبعد فإن الكتب الأربعة السابقة، والتى كانت مخطوطة، حتى تجشمت عناء تحقيقها ونشرها، إنما تمثل (حزمة) من المبادئ والآراء

---

[1] لأهمية كتاب "مقالة فى النقرس" للرازى على مستوى العالم، سبقت نشرتى للكتاب، نشرة أخرى قام بها يوسف يزيدان وفريق العمل (أكثر من مائة موظف) بإدارة المخطوطات بمكتبة الإسكندرية. وقد صدرت نشرتهم بلغات أربع، هى : العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، عام 2003. ولكن للأسف الشديد، وصفت هذه النشرة بأنها "فضيحة عالمية". ويعد السبب الرئيسى فى كشف هذه الفضيحة هو ظهور نشرتى لنفس الكتاب "مقالة فى النقرس" عام 2005. كما قال المتخصصون المهتمون بشئون التراث والعلم العربى، ونشرته كثير من الصحف المصرية والعربية (انظر تفاصيل هذه المسألة العلمية الاختلافية فى الحديث عن كتاب "مقالة فى النقرس" ضمن انجازات الرازى فى التأليف الطبى، فى الفصل الثانى من هذا الكتاب)

والنظريات الرازية التى لم تكتشف من قبل. فتم اكتشافها باعتبارهـا إضافـات جديدة فى بناء مذهب الرازى ككل. فجاءت هذه الطبعة المزيـدة والمنقحـة مـن هذا الكتاب الذى يتناول إنجازات وإسهامات الرازى الطبيب - أكرر بدون ملل - حجة الطب فى العالم منذ زمانه - القرن الثالث الهجرى - وحتـى العصـور الحديثة .

أسأل الله أن ينتفع بعملى هذا

وهو تعالى من وراء القصد

وعليه التكلان وإليه المرجع والمآب

خالد أحمد حربى

الإسكندرية فى 2005/6/1

# مقدمة الدراسة

تشكل الحضارة الإنسانية سلسلة مشتركة الحلقات بين الأمم . ولقد كان للعرب والمسلمين فيها أعظم الحلقات . إذ لولا العرب لا نطمس التراث اليوناني. والفارسي. والهندى، ولما وصلت المدنية المعاصرة إلى ما وصلت إليه الآن .

فلقد كان العرب أمناء على التراث الثقافي العالمى. فحفظوه من الضياع. ولم يقتصر دورهم على ذلك فحسب، بل شرحوا. وعلقوا. وزادوا، وابتكروا من المآثر التى أفادت الإنسانية جمعاء .

ويأتى هذا البحث محاولاً الكشف عن إنجازات علم من أعلام الحضارة العربية الإسلامية المبتكرين، ألا وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى، الطبيب الفيلسوف الذى نبغ فى الطب والكيمياء والفلسفة .. وغير ذلك .

ويركز البحث على الجانب الطبى عنده ، متسائلا عن مدى الاستفادة من آثاره الطبية والعلاجية فى الوقت الحالى . وهنا تكمن أهمية هذا البحث . والذى يأتى خلافا لما جرت عليه معظم كتب تاريخ العلوم عند العرب من الوقوف على حد إبراز دور العرب فى الحضارة الإنسانية . فلا يحاول البحث أن يكشف عن إنجازات الرازى فحسب، بل يتساءل أيضًا عما فعله لرازى حتى وصل إلى ما وصل إليه . وتلك هى نقطة البدء الصحيحة لدراسة تاريخ العلم العربى. وذلك عن طريق خلق قاعدة اتصال علمى بين الماضى والحاضر. تهدف إلى استلهام عبرة وعظمة الماضى. وتتضمن مواصلتهما نحو الحاضر والمستقبل.

ويجدر بى أن أسجل هنا أن الذى وجهنى هذه الوجهة الجديدة فى تناول قضايا تاريخ العلم العربى. هو أستاذى الدكتور ماهر عبد القادر محمد. والذى يعد بحق رائدًا للثورة العقلانية فى دراسة تاريخ العلم العربى

تلك التى انبثقت دوافعها عند الدكتور ماهر عبد القادر من وقوفه على أن الكتّاب العرب لم يلاحظوا "أن المستشرقين الجدد يعملون بدأب شديد لإزكاء حركة الاستشراق العنصرية القديمة أيديولوجيا ، بصفة خاصة. وتستطيع نظرتها لتاريخ العلم العربى. وقد انعكس هذا التوجه إبستمولوجيًا على الدراسات العربية مما جعل الكتّاب ينظرون إلى تاريخ العلم العربى على أنه نوع من التاريخ الذى يعتمد على السرد التاريخى لقصص العلماء وإنجازاتهم. وترتب على هذا أن جاءت الدراسات الوليدة "حول" تاريخ العلم العربى. ولم تكن "فى" العلم العربى. والفارق بين التصورين جد دقيق. إذ تصور "حول" إبستمولوجيا لا يعنى أن الكاتب يحدثنا عن الموضوع. وإنما هو ينسج رواية جديدة. رواية تصور لنا وقائع قديمة. وهنا فإن الكاتب عادة يحاول توظيف الوقائع لتتسق مع رؤيته السيكولوجية الخاصة التى لا تخلو من أحكام القيمة. وفى غالب الظن ينتهى الموقف إلى رسم صورة وردية لماضى العالم العربى فى شكل رواية جديدة تعتمد على السرد التاريخى الذى لا يُعمل النقد أو التحليل المقارن"[1].

وفى مقابل هذا التصور "القديم" يقوم تصور الثورة العقلانية التى ينادى بها الدكتور ماهر عبد القادر "يأخذنا بعيدًا عن السرد التاريخى لينطلق بنا مباشرة إلى آفاق الابستمولوجيا التى تشكل ميدانًا مختلفًا من التصورات التى تجعل الدارس يقرن النقد بالتحليل. وينتقل من مستوى إبستمولوجى (معرفى) معين يعتمد على قراءة النص والانفعال به. إلى مستوى آخر يعتمد على تفكيك النص من أجل معرفة المشكلات التى واجهت العالم فى تفصيلاتها والعلاقات القائمة بينها. وعلاقاتها بالسياق المشكل السابق عليها. وما انطوت عليه

---

[1] ماهر عبد القادر محمد. الحسن بن الهيثم وتأسيس فلسفة العلم. دار المعرفة الجامعية 1997 ص15 – 16.

النظريات السابقة. ومدى تطويرها لها أو تأييدها لبرنامج بحثى جديـدة. كما يرى لاكاتوش، كل هذا من أجل إعادة بناء النص وتوظيف الفكرة ابستمولوجيا (على مستوى التصورات) وإيديولوجيا (على مستوى الواقـع). إن التصـور (فـى العلم العربى) على هذا النحو يعنى دراسة العلم العربـى باعتبـاره علمًـا. وهـذا التحول الـذى ننـادى بـه يسـتلزم إحـداث ثـورة علميـة عقليـة علـى المستوى الأكاديمى فى مجال دراسة (علم تاريخ العلـم العربـى) الـذى قـد حـان الوقـت لولادته بصورة طبيعية. وتخليصه من أفكار وأقلام من يكتبون سـطوره بتسـطيح مفرط[1]

وبناء على ما سبق، فقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسم الموضوع إلى ما يلى

## الرازى ومدى إسهامه فى الحركة العلمية بعامة، وتاريخ الطب بخاصة:

ويهدف هذا العنوان إلى توضيح آراء الرازى النظرية والعلمية فى المجال الطبى، دراسة تحليلية مقارنة، وبناء على ذلك جاءت فرضياته كما يلى :

1- ما مدى تأثير العصـر الـذى عـاش فيـه الـرازى، مـن نواحيـه السياسـية، والاجتماعية ، والدينية، على الناحية العلمية ؟
2- ما مدى تأثير الرازى كعالم فى تلامذتـه وعلمـاء عصـره؟ ومـا خصـائص أو سمات التقاليد العلمية التى أرساها وأصبحت برنامج عمل للأجيال التالية؟
3- هل كانت آراء الرازى النظرية والعلمية فى المجال الطبى متأثرة بمن سبقه من الأطباء، وخاصة أطباء اليونان، أم أنـها تـزاوج بـين الفكريـن، أم آراء أصيلة تُحسب لصاحبها ؟

[1] ماهر عبد القادر محمد، نفس المرجع، ص19 - 20 .

4- وإذا كان الرازى قد أتى بجديد فى المجال الطبى. فما هو هذا الجديد؟ وما هو المنهج الذى أوصله إلى ذلك؟ وما مدى إسهامه فى تاريخ العلم بصفة عامة. وتاريخ الطب بصفة خاصة ؟

5- هل كان الرازى متسقا مع منهجه التجريبى الذى اتخذه سبيلا للتفريق بين الحق والباطل؟ وما مدى اتفاق الرازى فى تطبيقه للمنهج التجريبى مع علماء المناهج المعاصرين؟

6- ما الجديد الذى أتى به الرازى فى مجال التشخيص والعلاج، هل أضاف شيئا أصيلاً سجل به تقدمًا وسبقًا على الحضارة الغربية الحديثة؟ وهل هناك إمكانية للتقريب بين الطب العربى ممثلاً فى الرازى هنا - وبين الطب الحديث؟

وهذا البحث يحتوى على أربعة فصول والنتائج التى اشتقت منها .

1- الفصل الأول: أبو بكر الرازى ومكانته العلمية. بدأت فيه بنبذة عن حياة الرازى. وعصره ثم تعرضت لبيان مكانته العلمية من خلال عدة نقاط هى :

أ - جماعات عصره العلمية .

ب قوام المعرفة العلمية فى عصره، متساءلاً فى ذلك عن النظريات العلمية التى سادت فى عصر الرازى . وعن المنطلقات الابستمولوجية التى انطلق منها .

جـ مجالس التعليم فى عصر الرازى . وقد ركزت فى هذه النقطة على مجالس التعليم الطبى التى سادت عصر الرازى . ثم انتقلت من ذلك إلى التعرض بشىء من التفصيل لمجلس الرازى التعليمى. فوجدت لديه نوعين من التعليم. نظرى وعملى . وانتهيت من كل ذلك إلى استخلاص أهم سمات العمل العلمى عند الرازى .

2- الفصل الثاني: إنجازات الرازى فى التأليف الطبى وهو يبدأ بتوضيح مدى حب الرازى للعلم . وحرصه على تحصيله. الأمر الذى انعكس عليه حينما بدأ التأليف، فجاء إنتاجه غزيرًا يجمع بين الكتب المطولة، والرسائل القصيرة . وقد تميز أسلوب الرازى فى كتاباته بالسهولة والوضوح، حتى ينتفع بهذه المؤلفات العامة، فضلا عن الخاصة .

وقد قمت فى هذا الفصل بحصر لمؤلفات الرازى الموجودة (المطبوعة، والمخطوطة)، والمفقودة . ثم تحدثت بإيجاز عن أهم هذه المؤلفات .

3- الفصل الثالث: منهج البحث العلمى عند الرازى . وقد بدأت فيه بتمهيد عن معالم المنهج التجريبى. وهو الملاحظة، والتجربة، والفروض وتحقيقها . ثم حاولت الوقوف على مثل هذه الخطوات عند الرازى. فوجدت

أ - فى الملاحظة : ملاحظة وصفية، وملاحظة مقارنة، وكيف اقترنت الملاحظة بخبرة الرازى السابقة .

ب - التجربة، وجدت لديه أيضًا عدة أنواع منها : تجربة موجهة، أى تقوم على فكرة مسبقة . وتجربة صيدلانية لاختبار مدى صحة الدواء قبل إقراره كعلاج . وتجربة ذاتية قام بها الرازى على نفسه "جربت فى نفسى .." وتجربة كيميائية والتى ركب بمقتضاها كثيرًا من المركبات الكيميائية .

جـ الفروض وتحقيقها . وقد بينت كيف لعبت الفروض دورا بارزا فى منهج الرازى العلمى ، وقدمت الأمثلة على ذلك. ثم ختمت الفصل بخاتمة تتضمن إجابات لفروض كانت قد طرحت فى بداية الفصل.

4- الفصل الرابع: منهج الرازى فى التشخيص والعلاج، وفيه وقفت على القواعد التى اتبعها الرازى فى تشخيصه للأمراض. ثم تتبعت منهجه

العلاجى الذى انقسم إلى قسمين · معالجات جسمية. ومعالجات نفسية. ثم ختمت الفصل بتناول الوقاية فى إطار منهج الرازى

وفى نهاية البحث انتهى إلى النتائج التى تشكلها الفصول الاربع السابقة. وأحاول فى هذه النتائج أن أجيب على الأسئلة المطروحة فى مقدمة البحث. بالإضافة إلى الأسئلة الفرعية التى وردت فى بعض الفصول

# الفصل الأول
# أبو بكر الرازي ومكانته العلمية

تمهيد

أولا: حياة الرازي.

ثانيا: عصر الرازي.

ثالثا: مكانة الرازي العلمية.

1- الجماعات العلمية في عصر الرازي (الحالة العلمية).

2- قوام المعرفة الطبية في عصر الرازي.

أ - النظرية الطبية السائدة.

ب - المنطلقات الإبستمولوجية (المعرفية) التي انطلق عنها الرازي.

3- مجالس التعليم في عصر الرازي.

4- طريقة الرازي في الدرس الطبي.

أ - طريقة التعليم النظري (الطب النظري).

ب - طريقة التعليم العملي (الطب العملي).

5- الطب بين النظر والعمل عند الرازي.

رابعا: أهم سمات العمل العملي عند الرازي.

## تمهيد :

يُعد أبو بكر محمد بن زكريا الرازى من أعظم أطباء المسلمين . وترجع أهميته إلى اعتباره حجة الطب فى أوربا فى القرن السابع عشر للميلاد . ويعده بعض المؤرخين أعظم أطباء القرون الوسطى وفى نظر البعض الآخر "أبو الطَب العربى". سماه معاصروه طبيب المسلمين بدون منازع . وسماه ابن أبى أصيبعة "جالينوس العرب". وهناك قول عربى مأثور يقول : كان الطِّب معدومًا، فأحياه جالينوس، وكان متفرقًا، فجمعه الرازى. وكان ناقصًا. فأكمله ابن سينا

فالرازى هو أول من اكتشف ووصف مرض الجدرى والحصبة . وأول من ابتكر خيوط الجراحة المسمّاة "بالقصاب". وتُنسب إليه عملية خياطة الجروح البطنيّة بأوتار العود وهو أيضًا أول من عمل مراهم الزئبق، وأول من عرف الإصابة بالعرق المدينى أو "دودة الفرنديت". وهو أول من وصف عمليّة استخراج الماء من العيون واستعمل فى علاج العيون حبات "الاسفيداج"، ونصح الرازى بضرورة بناء المستشفى بعيدًا عن أماكن تعفن المواد العضويّة.. إلى غير ذلك من الإنجازات والابتكارات

ويأتى هذا الفصل محاولاً الكشف عن مكانة الرازى العلميّة بوصفه أعظم أطباء المسلمين وحُجة الطب فى أوروبا الحديثة .

وهو يبدأ بعرض موجز لحياة الرازى. وعصره، ولذلك أهميته فى دراسة الشخصيات بصفة عامة. لأن أى عالم أو مفكر لابد وأن يتأثر بظروف نشأته وأحوال عصره

ثم تأتى محاولة الكشف عن مكانة الرازى العلمية من خلال الإجابة على بعض التساؤلات التى توضع كفرضيات لهذا الفصل، وهى ما يلى:

1- هل شهد عصر الرازى وجود جماعات علمية؟ وإذا وُجدت . فإلى أى مدى كان تأثيرها على المجتمع العلمى ؟

2- ما هو قُوام المعرفة العمليَّة فى عصر الرازى؟ وهذا التساؤل يتفرع عنه تساؤلات فرعية مثل :

أ - ما النظريات العلمية التى كانت سائدة ؟

ب - ما المنطلقات الابستمولوجية (المعرفيّة) التى انطلق منها الرازى؟

3- ما طريقة التعليم الطبى التى سادت فى عصر الرازى ؟

4- ما طريقة الرازى فى الدرس الطبى، أصولها ومميزاتها ؟

5- إلى أى حد استطاع الرازى أن يجمع بين النظر والعمل فى دراسة الطب ؟

وانتهى من ذلك كله إلى الكشف عن أهم سمات العمل العلمى عند الرازى .

## أولاً : حياة الرازى :

ولد الرازى على بعد بضعة أميال من مدينة طهران الحديثة ببلاد فارس ببلدة "الرى"[1]، إحدى مدن إيران القديمة . أما تاريخ مولده ، فلم يتفق عليه اثنان من المؤرخين، وهو حوالى سنة 235 هـ . كذلك تاريخ وفاته، فقد قال القاضى صاعد بن الحسن الأندلسى أنه توفى عام 320 هـ. وذكر ابن خلكان أنه توفى عام 311 هـ. وقال ابن شبرازا أن وفاته كانت عام 364 هـ[2].

والأرجح أنه وُلد عام 250هـ – 864م . وتُوفى ببغداد فى الخامس من شعبان عام 313هـ – 25 أكتوبر عام 925م[3]. وذلك استنادًا إلى المقال الذى نشره روسكا Ruska عن الرازى. عنوانه : "البيرونى كمصدر لحياة الرازى وكتبه".

---

[1] قال الاصطرخى : والرى مدينة ليس ببغداد فى المشرق أعمر منها . وقال الأصمعى: "الرى عروس الدنيا، وإليه متجر الناس. وهو أحد بلدان الأرض". والنسبة إليها رازى. وقد خرجت كثيرًا من العلماء المعروفين بهذه التسمية. أشهرهم : أبو بكر الرازى الطبيب . أنظر أحمد أمين. ظهر الإسلام. مكتبة النهضة المصرية. ط الثالثة 1962 ، جـ1 ، ص219. وأيضًا :
**William Benton, Encyclopedia Britannica, Publisher Printed the U.S.A, 1964, Vol. 19, P. 2.**
وتقول هونكه : وكانت هذه المنطقة آنذاك عبارة عن مقاطعة جبلية يقطنها أناس فارعوا الطول، شقر الشعر، أطلق عليهم العرب "الثعالب الحمراء". وكان الرازى أحد هذه الثعالب التى تشب فى صباها على الاهتمام بالدراسات الفلسفية واللغوية والرياضيات. (شمس العرب تسطع على الغرب. دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط الثامنه 1986 . ص244) .

[2] محمد كامل حسين. محمد عبد الحليم العقبى. طب الرازى "دراسة تحليلية لكتاب الحاوى" دار الشروق. القاهرة 1977. ص17 .

[3] راجع مقالة روسكا فى مجلة Isis جـ5 . ص50. ط بروكسل 1922 . وفى عام 1936 نشر بول كرواس هذه الرسالة فى باريس بعنوان .
**Epitrede Beruni Contenant le reper toire de ouvrages de Muhammad B. Zakariya ar-RaziA** "رسالة البيرونى فى كتب الرازى".

أما عن طفولة الرازى، فقد شابها ضرب من الغموض، فلم يذكر أحد من المؤرخين شيئًا عن هذه الطفولة سوى أنه كان فى صباه "يضرب العود. ثم نزع عن ذلك، وأكب على النظر فى الطب والفلسفة"[1] فيبدو أنه قد أدرك أهمية العلم على الضرب بالعود والغناء، حتى رأى الغناء من الأمور القبيحة إذا خرج من فم الرجال، وقال: "كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف"[2] فإذا به يعزم على تغيير حياته تغييرا جذريًا ، وقد هداه تفكيره إلى ضرورة مغادرة مدينته الأم، وهو كاره. ولكن ماذا عساه أن يفعل وقد تولد لديه شغف عظيم بالعلم. فشد الرحال إلى مدينة الشفاء ومدينة السلام. إلى بغداد

وبعد جولاته فى البلاد المختلفة زيادة فى العلم، عاد الرازى إلى بغداد مرة ثانية تلبية لدعوة الخليفة المنصور[3]. وذلك بعد أن تعلم من العلاج الأغريقى. والفارسى، والهندى، والعربى الحديث، وعب منه عبًا. حتى إذا ما شعر بالارتواء، عاد إلى مدينة "الرى" وهو طبيب، بل ومدير لمستشفاها الذى دبره

---

[1] ابن جلجل. طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق فؤاد سيد. مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية. القاهرة 1955 . ص77 . وراجع أيضًا ترجمة الرازى فى :

-ابن النديم، الفهرست، طبعة القاهرة 1348 هـ . ص415 – 416 .

-القفطى. إخبار العلماء بأخبار الحكماء. طبعة القاهرة 1326هـ. ص178 – 179.

-ابن ابى أصيبعة. عيون الأنباء فى طبقات الأطباء. تحقيق نزار رضا. منشورات دار الحياة. بيروت. بدون تاريخ. ص414 – 421 .

[2] ابن خلكان . وفيات الأعيان وأبناء الزمان. تحقيق محمد محى الدين. دار النهضة المصرية 1949. ص244 .

[3] بول غليونجى. ابن النفيس. ضمن سلسلة أعلام العرب 57. الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ص58

ولم يطل الزمان حتى أصبح الرازى طبيبًا عظيم الشأن، فاستحق أن يفوز بصداقة الملوك والأمراء، وحب الشعب.

ثم انتقل الرازى من بيمارستان "الرى" إلى مزاولة المهنة فى البيمارستان العضدى[1]، والذى كان بمثابة أكبر مستشفى فى العاصمة حينذاك. وقد تمكن الرازى من الفوز بمنصب رئيس الأطباء فى هذا المستشفى الكبير، الأمر الذى جعل الخليفة يفتح له أبواب قصره ليكون الطبيب الخاص به.

ولم يمض وقت طويل حتى أصبح الرازى ذائع الصيت فى طول البلاد وعرضها، وطبقت شهرته الآفاق، فأصبح حُجة فى الطب، ومرجعًا نهائيًا لكل الحالات المستعصية، يسعى إليه كل من أراد الصواب من كل حدب وصوب، مرضى كانوا أم طلابًا. وها هى قاعات التدريس التى كان يحاضر فيها تزدحم بالأطباء والتلاميذ الذين أتوا من كل أرجاء الإمبراطورية الإسلامية لتعلم فنون المعالجة والكشف والمعاينة السريرية التى لا تعرف الخطأ على يد ذلك الطبيب العظيم .

ويبدو أن حياة العلماء العظام قلما تخلو من المحن والابتلاءات، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فكلما نبغ عظيم فى أى مجال، قام له من الحاقدين من تضيق نفوسهم به وتشتعل نار غيرتهم من تفوقه عليهم، فيدبروا له الدسائس، ويرموه بالتُّهم والافتراءات. ويكفى تدليلاً على ذلك ذكر أقرب العلماء إلى الرازى من الناحية التاريخية، وهو الإمام أحمد بن حنبل

---

[1] ينقل ابن أبى أصيبعة رأى البعض الذى يذهب إلى أن الرازى كان من جملة من اجتمع على بناء المستشفى العضدى الذى افتتحه عضد الدولة بن بويه سنة 372 هـ. ويخالف ابن أبى أصيبعة هذا الرأى بقوله : والذى صح عندى أن الرازى كان أقدم زمانًا من عضد الدولة بن بويه. وإنما كان تردده إلى البيمارستان من قبل أن يجدده عضد الدولة . (عيون الأبناء ص452). وكلام ابن أبى أصيبعة هذا صحيح بناء على أن الرازى قد توفى قبل افتتاح المستشفى بعد تجديده بأكثر من نصف قرن .

(ت 241هـ) الذى وقعت محنته الشهيرة قبيل مجيىء الرازى إلى هذا العالم بنحو عشر سنين تقريبا[1]

ودارت دائرة القدر على الرازى الذى ملأت شهرته أسماع الدنيا. فالرجل الذى أحيا نور الأمل فى قلوب الكثيرين قد فقد نور عينيه، جزاءً له من حاكم خراسان منصور بن اسحق[2]. مكافأة للتجارب الكيماوية التى قام بها أمامه[3] والتى لم يعجب الأمير بنتائجها، الأمر الذى حمله على ضرب الرازى بكتابه على رأسه حتى نزل الماء فى عينيه[4]. وجاءه طبيب يجرى له عملية إنقاذاً لبصره، وقبل أن يشرع الطبيب فى عمليته، سأله الرازى عن عدد طبقات أنسجة العين، فاضطرب، وعندئذ قال الرازى: "أن من يجهل جواب هذا السؤال عليه أن لا يمسك بأية آلة يعبث بها فى عينى". وبالرغم من كل

---

[1] راجع فتنة الإمام أحمد بن حنبل فى ابن كثير. البداية والنهاية. تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح. دار الحديث. القاهرة. جـ9 . ص358 وبعدها.

[2] يذهب ابن خلكان – ومن قبله ابن جلجل – إلى أن الرازى صنف لمنصور بن اسحاق كتابًا فى إثبات صناعة الكيمياء فأعجبه وشكره عليه وحباه بألف دينار. وقال له أردت أن تخرج هذا الذى ذكرت فى الكتاب إلى الفعل. فقال له الرازى: أن ذلك مما يتمون له المؤن. ويحتاج إلى آلات وعقاقير صحيحة. وإلى إحكام صنعة ذلك كله. وكل ذلك كلفه. فقال له المنصور: ما أعتقد أن حكيما يرضى بتخليد الكذب فى كتب ينسبها إلى الحكمة. يشغل بها عقول الناس. ويتبعهم فيما لا يعود عليهم من ذلك منفعة. ثم قال له: قد كافأناك على قصدك وتعبك بما صار إليك من الألف دينار. ولابد من معاقبتك على تخليد الكذب. فحمل السوط على رأسه. ثم أمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى ينقطع. ثم جهزه وسيره إلى بغداد. فكان ذلك الضرب سبب نزول الماء فى عينيه (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. م.س . ص526).

[3] هونكه . المرجع السابق . ص247.

[4] ذهب آخرون. وخاصة البيرونى إلى أن قراءته المفرطة هى سبب فقدان بصره . راجع : The Cambridge history of Islamic Society and civilization; Edited by P.M. Holt, ann K.S.L. Ambton and Bernard Lewis, Vol 28, Cambridge university, Press 1970, P. 769 .

محاولات الإلحاح والإقناع بإمكانية الشفاء، إلا أن الرازى ظل على موقفه رافضا لها ومرددا: "لا قد بصرت من الدنيا حتى مللت"[1].

هكذا قال ابن خلكان، وابن جلجل، وابن أبى أصيبعة فى سبب نزول الماء فى عينىّ الرازى. ولكن الروح العلمية النقدية لا تقبل هذا الكلام. والأرجح أن الرازى قد فقد بصره نتيجة لقراءته المفرطة - على رأى البيرونى - على ضوء القناديل والشموع، وغير ذلك من الوسائل المتاحة إبنذاك .

ولم يكتف الخليفة بإبعاده عن بغداد، بل أبعده أيضًا عن مدينته الأم "الرى". وضاقت به الدنيا، فلم يجد أمامه سوى أخته التى استقبلته بالدموع لما وصل إليه حاله من الإهانة والفقر والعوز، بعد أن طبق مجده الآفاق. وهناك يبدو أنه قد أحس بدنو أجله، فأنشد :

**لعمرى ما أدرى، وقد آذن البلى بعاجل ترحال إلى أين ترحالى؟**

**وأين محل الروح بعد خروجه من الهيكل المُنحل والجسد البالى؟**

وبالفعل لم يطل به المقام عند أخته طويلاً ، حتى قُبض عام 313هـ - 925م وبعد أن نهش الفقر لحمه نهشًا. وقد استوفى من السنين اثنين وستين سنة على وجه التقريب .

## ثانيًا : عصر الرازى :

عاش الرازى فى القرن الثالث الهجرى، حيث عاصر أحداثًا ووقائع ينبغى الوقوف عندها، حتى نفهم المزيد من جوانب شخصية هذا الطبيب العلامة. فلا يكاد ينفصل تاريخ حياة العالم أو الفيلسوف عن التاريخ العام للعصر الذى عاش فيه .

فى منتصف القرن الثالث الهجرى، زاد نفوذ العنصر التركى فى المملكة الإسلامية، وكان له أثر خطير فى حياة الأمة الإسلامية بعامة والسياسية

---

[1] ابن جلجل. طبقات الأطباء والحكماء. ص78. وابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء ص420 .

بخاصة فقد كان "رؤساء الأتراك من عهد المعتصم إلى آخر أيام الدولة العباسية هم الذين يرفعون الخلفاء إلى العرش ويسقطونهم ويأمرونهم ويغتالونهم"[1] أضف إلى ذلك إنكباب الخلفاء على كل صنوف اللهو والترف والشهوات. فأنهك أدمانهم للشراب، وملذات الحريم قواهم الجسمية وقد تسربت هذه الرذائل إلى الشعب. فضعفت صفاته الحربية. كما قامت الثورات العنصرية بين العرب والفرس. والسوريين. والبربر. والمسيحيين. واليهود هذا فضلاً عن النزعات الدينية بين المذاهب القائمة، وكان أعنفها الصراع بين أهل السنة والشيعة حول مسألة الإمامة من ناحية، وبين أهل السنة والمعتزلة حول مسألة خلق القرآن من ناحية أخرى

كما هددت بعض الفرق الدينية الأخرى سلطان الخلافة. مثل فرقة "الزنج" وصاحبها على بن محمد الذى زعم أنه من نسل الإمام على كرم الله وجهه. وحرض "زنوج البصرة" المستائيين من عملهم على القيام بهجوم عليها. فقتلوا. وخربوا، ونهبوا. وكان أمرهم مروّعًا إلى الدرجة التى معها اختبأ من نجا من أهل البصرة فى آبار الدور، ولم يستطيعوا الخروج إلا ليلاً بحثًا عن الطعام. فلم يجدوا إلا الكلاب والفئران. فيذبحوها. ويأكلوها. فضلاً عن أكلهم لمن يموت منهم[2]. وقد ظلت هذه الفرقة تهدد أمن الدولة الإسلامية إلى أن قضى عليهم القائد العظيم صاحب الحنكة العسكرية أحمد الموفق شقيق الخليفة العباسى المعتمد بالله (256 - 279هـ)[3].

---

[1] أحمد أمين. ظهر الإسلام. م. س. جـ. ص26 .

وقد قتل الأتراك من خلفاء بنى العباس كل من : المتوكل (232 - 246هـ). وأحمد بن المعتصم المستعين بالله. (247 - 251هـ)، والمعتز بالله (252 - 255هـ). والمهتدى (255 - 256هـ).

[2] راجع. دكتور صالح أحمد العلى. وآخرون. العراق فى التاريخ. دار الحرية للطباعة. بغداد 1983. ص436. وأحمد أمين ظهر الإسلام. م. س 135/1 .

[3] محمد على أبو ريان. تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام. دار المعرفة الجامعية. 1980. ص205

وبالمثل ارتكبت فرقة القرامطة[1] من الجرائم ما لا يُقرها مؤمن ولا كافر. فقد انتصروا على جيش الخليفة المعتضد (279 - 289هـ)، وزحفوا إلى البصرة سنة 315 على عهد المقتدر بالله (295 - 320هـ)، فنهبوها، وعم الناس الرعب. ثم دخلوا مكة سنة 317هـ، فسلبوا الكعبة، وقتلوا نحوًا من ثلاثة آلاف حاج، فضلاً عمن قُتل من أهلها، وهدموا زمزم، ورفعوا الحجر الأسود، وألقوا به في إحدى زوايا مدينة الإحساء[2]. وقد انتهى أمرهم بمصادقة بني بويه الشيعيين، هؤلاء الذين بسطوا نفوذهم على الخلافة العباسية، وحكموا جنوبي فارس والعراق من سنة 325 إلى سنة 447هـ.

أما عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية في عصر الرازي، فيمكن القول إن الثروة كانت تفتقر إلى العدل في التوزيع، وكانت الفوارق بين طبقات المجتمع واضحة جليّة، فإما نعيم مترف، وإما فقر مُدقع.

---

[1] القرامطة : ترجع هذه الفرقة إلى شخص يدعى "حمدان القرمطي" كان يتبع الإسماعيلية، بعثه أحد كبار دعاة العلوية ليدعوا للإسماعيلية في مدينة "واسط" بين الكوفة والبصرة. وكان عامة هذه المدينة فقراء مستأنيين من الحكومة وأصحاب الأملاك. لذلك سرعان ما لبّوا دعوة حمدان لما وجدوا فيها من مؤاخاة بين الناس على اختلاف دياناتهم وطبقاتهم وأجناسهم. ولما فرضه "حمدان" من ضرائب على اتباعه للصرف منها على الفقراء. وقد خرجت الدعوة من "واسط" إلى كثير من البلدان المجاورة والبعيدة. فوصلت إلى جنوبي شبه الجزيرة العربية .
وقد تولى زعامة القرامطة بعد حمدان "أبو سعيد الجنابي" وكان مركزه "الإحساء" في البحرين.
وقد أحس الخليفة المعتضد بخطر القرامطة عندما عمت دعوتهم البحرين. فأرسل إليهم جيشًا. ولكنهم انتصروا على جيش الخليفة انتصارا ساحقا. وكان دافعًا قويا لازدياد توسعهم فاستولوا على اليمامة وعمان. ثم قاد حركتهم "أبو طاهر سليمان" الذى زحف إلى البصرة وبغداد والحجاز محققا انتصارات ومرتكبًا جرائم مذهلة. فقد زحف هو وأتباعه إلى البصرة سنة 315هـ على عهد المقتدر بالله (295 - 320هـ). فنهبوها. وعم الناس الرعب. ثم دخلوا مكة وفعلوا بها ما ذكرته في المتن

[2] ظل الحجر الأسود في حوز القرامطة في "هجر" حتى أعادوه إلى مكة بأمر الخليفة المنصور سنة 339هـ .

فلقد انقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات · تمثلت الأولى فى الحكام والأمراء والوزراء، ومن لاذ بملاذهم من العلماء والشعراء وتمثلت الطبقة الثانية فى قواد الجيش والملاك وكبار التجار أما الطبقة الثالثة فقد اشتملت على عامة الشعب من الزراع وصغار التجار وأصحاب المهن، هذا فضلاً عن من فضل الإكتواء بنار الفقر عن التنعم بجنة الحكام من العلماء والأدباء[1].

ولهذا كانت أنظار الناس مُوجهة إلى الخلفاء والأمراء، فالعلماء إن أرادوا الغنى، لم يجدوه إلا فى خدمتهم، والشعراء إن أرادوا العيش، لم يجدوه إلا فى مديحهم، والتجار إن وقع شىء ثمين فى يدهم من جوهر أو جوارى. لا يجدون نفاقًا لها إلا فى قصورهم. والصنّاع إذا أحسنوا صناعة شىء، فهم مقصدهم أما سائر الشعب ففقير بائس قل أن يجد الكفاف[2]

عاش الرازى فى هذا العصر، وعايش معظم ما ذكرته. وعانى ما عاناه معاصروه من نزاع سياسى مُشتعل، وواقع اجتماعى مضطرب ، وخلافات دينية مذهبية مثيرة .

وقد كان الرازى من العلماء المتصلين والمقربين من الخلفاء والوزراء. وقد صنف لبعضهم الكتب مثل كتاب "المنصورى" الذى صنفه لمنصور بن اسحق (290 - 296هـ) والى الرى من قبل المكتفى وكذلك "بُرء ساعة" الذى ألفه للوزير أبى القاسم بن عبد الله .. إلى غير ذلك . وقد نال الكثير عن هذه الأعمال. وإن كان قد مات فقيرًا ما ترك مالاً ولا نسلاً[3]

---

[1] من أمثلة العلماء الذين لم ينالوا رضا الخلفاء والوزراء : أبو حيان التوحيدى البغدادى. صحاب كتاب "الإمتاع والمؤانسة" والذى ضمنه شكواه من الفقر وسوء الحال. حتى يقول عن نفسه أنه اكل الخضر فى الصحراء. كما كان عبد الوهاب البغدادى المالكى الفقيه الأديب الشاعر تضيق به الحياة فى بغداد حتى لا يكاد يجد قوت يومه. ومثله فى ذلك أبو سليمان السجستانى المنطقى.

[2] أحمد أمين. المرجع السابق ص115 .

[3] راجع حياة الرازى فيما سبق .

ولا ينبغي أن أترك الحديث عن عصر الرازى بدون الإجابة على سؤال يطرح نفسه تلقائيًا ومؤداه : ما مدى تأثير هذا الواقع السيىء على الحركة العلمية؟ وتأتى الإجابة على هذا التساؤل لتقول أن المجتمع الإسلامى فى عصر الرازى، وإن كان قد شهد اضطرابا فى النواحى السياسية والاجتماعية والدينية، إلا أنه قد عاش ازدهارا من الناحية العلمية. ومرد ذلك إلى ما يلى:

1- حركة الترجمة ونقل العلوم من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية. والتى بدأت فى العصر الأموى، ووصلت إلى ذروتها فى هذا العصر العباسى. ونقل على أثرها معارف وعلوم أمم كثيرة، وعلى رأسها علوم اليونان. ولم يجد المجتمع الإسلامى ممثلاً فى علمائه. إلا أن يدلف إلى هذا التراث. فتوفر عليه العلماء. فشرحوا. وعلقوا. ثم زادوا، وابتكروا. فراج العلم. وازدهر فى تلك الفترة فى معظم الأقطار الإسلامية، وخاصة بغداد عاصمة الخلافة .

2- لقد رأى معظم العلماء فى السياسة الظلم، والجور، والجبروت. والغدر .. إلخ. حتى أن بعضهم قد أكتوى بنارها[1]. فكرهوها وتركوها لأهلها. وأنصرفوا إلى العلم لما وجدوا فيه من الملاذ الآمن، وبما يضفيه على أهله من منازل التقدير والإجلال من قبل العامة والخاصة . فقد عمل معظم الخلفاء والأمراء والوزراء على تقريب العلماء. واتخاذهم زينة يزينون بها بلاطهم. حتى أن بعض الناس انكب حصبصا على العلم ليتصل بهم ويفوز بهباتهم

وليس أدل على ازدهار الحركة العلمية فى هذا العصر من بزوغ نجم عبقرى. طبقت شهرته الآفاق. إلا وهو الرازى. موضوع كتابى هذا.

[1] الأمثلة على ذلك كثيرة منها : محنة الامام احمد بن حنبل والقول القائل بضرب الرازى على رأسه بكتابه "الكيمياء" بأمر منصور بن اسحق ... وغير ذلك .

وأتناول فى النقطة التالية بعض مظاهر ازدهار الحركة العلمية فى عصر الرازى. وذلك من خلال محاولة التعرف على الجماعات العلمية، وما ارتبط بها من نشاطات مختلفة فى هذا العصر.

## ثالثًا : مكانة الرازى العلميّة :

### 1ـ الجماعات العلمية فى عصر الرازى :

يُعتبر القرن الثالث الهجرى بمثابة البداية الحقيقية للنهضة العلميّة التى عاشتها الأمة الإسلامية. فما أن انقضى القرن الثانى الذى يُعد بمثابة إرهاصات لهذه النهضة، حتى دخلت العربية شعوب أخرى ذات ثقافات وعلوم مختلفة.

وقد نشط التعليم بصورة كبيرة فى القرن الثالث، وأصبحت القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم فى الكتاب من أوليات النشاط العلمى. وتلك المرحلة تساوى ما يُعرف الآن بمرحلة التعليم الابتدائى والإعدادى، وربما فاقتهما!. ثم ينتقل الطالب إلى حلقات المساجد التى كانت أشبه بالمعاهد العليا أو الجامعات حيث كان لكل فرع من فروع العلم عالم وحلقة خاصة فى المسجد. وكان الطلاب يختلفون إلى من يرغبون الاستماع إليه من العلماء دون شرط، وكثير منهم كان يأخذ ما عند الشيخ، ثم يتحول إلى شيخ آخر وحلقة أخرى[1]. وكان من أشهر المساجد حينئذ، مسجد البصرة، ومسجد الكوفة، والحرم المكى، والمدنى، ومسجد عمرو بن العاص فى مصر .. إلى غير ذلك.

وإذا كانت نواة العلم فى العصر الأموى قد تمثلت فى القرآن الكريم والحديث اللذان يستنبط منهما الفقه، ولأجلهما يُروى الشعر، وتُبحث مسائل النحو. فإن هذه النواة، وإن ظلت فى العصر العباسى، إلا أن البحوث قد

---

[1] شوقى ضيف. العصر العباسى الثانى. دار المعارف. ط الثالثة 1973. ص115.

اتخذت حولها شكلاً آخر تمثل فى وجود علوم جديدة، من أهمها الطب الذى مثلت مدينة جند يسابور مركزه فى بداية الأمر، ثم انتقل المركز العلمى للطب إلى بغداد، خاصة إبان حكم الخلفاء العباسيين، حيث نشطت دراسة العلوم المختلفة، مثل الطبيعة، والكيمياء، والهيئة، والمنطق، والإلهيات. وبدأت تتشكل برامج الدراسة العلمية التى ظهرت لدى كثير من العلماء والفلاسفة المسلمين. أمثال الفارابى[1]، والرازى، وابن سينا، إذ جمع كل هؤلاء بين الطب والفلسفة ودراسة العلوم الأخرى المرتبطة بهما[2].

وعلى ذلك كان هناك نوعان من الدراسة فى هذا العصر. نوع دينى يرتبط بالقرآن والحديث، ونوع دنيوى يرتبط بدراسة الطب وما يتعلق به ولكل نوع منهج خاص فى البحث، وإن أثر كل منهما فى الآخر. فلقد اعتمد منهج البحث فى العلوم النقلية على الرواية وصحة السّند، فى حين اعتمد منهج

---

[1] الفارابى (257 – 339هـ) هو أبو نصر محمد بن طرخان المعروف بالفارابى. نسبة إلى ولاية فاراب فى تركستان. ارتحل إلى بغداد وتلقى الحكمة عن أبى بشر متى بن يونس (ت328هـ). ثم ارتحل إلى حوران وأخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان فى بداية حكم المقتدر سنة (295هـ). وتعلم النحو على أبى بكر بن السراج لقاء دروس الفارابى له فى المنطق. ولا نعرف على وجه التحديد المصدر الذى استقى الفارابى منه علمه بالرياضيات. والموسيقى. وعلمه بالطب. وباللغات التى قيل أنه كان يعرف منها سبعين لغة .

وقد عرف الفارابى بأنه أكبر مثل للنزعة التلفيقية فى الفلسفة الإسلامية. فقد خلط بين آراء كل من أفلاطون وأرسطو. وخيل إليه أن الحكيمين لا يختلفان فى آرائهما. ولهذا نراه يبذل مجهودا كبيرًا فى كتابه "الجمع بين رأيى الحكيمين: أفلاطون وأرسطو" لكى يرد على القائلين بوجود خلاف بينهما. (راجع محمد على أبو ريان. تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام. م. س. ص353 وبعدها ).

[2] خالد حربى. بنيَة الجماعات العلمية العربية الإسلامية. دار الوفاء. الإسكندرية. 2003. ص403 .

العلوم العقلية كالطب والطبيعة والرياضيات على معقولية الحقائق واختبارها عن طريق المنطق أو التجربة العلمية[1].

وحقيقة أن هذا الجو العلمى الذى عاشته الدولة الإسلامية فى العصر العباسى، إنما يعد من آثار حركة الترجمة التى ابتدأت فى العصر الأموى من اليونانية عبر السريانية إلى العربية. فتناول المسلمون - على أثر ذلك - اللغة بالدراسة العلمية المنهجية ووضعوا لها القواعد فى النحو والصرف والبلاغة. متأثرين فى ذلك بالمنطق اليونانى . وقد ظهرت هذه النزعة المنطقية فى النحو وعلم الكلام فى مدرسة البصرة، وهى أولى المدن الإسلامية التى ظهرت فيه بوادر التفكير الحر فى العالم الإسلامى [2].

## ومن الأسباب التى ساعدت على إشعال الجذوة العلمية فى ذلك الوقت ما يلى :

1- تشجيع خلفاء بنى العباسى، لاسيما المأمون (198 - 218هـ) الذى اشتهر بشغفه وحبه للعلم ورعايته لأهله، وليس أدل على ذلك من قوله "قد يسمى بعض الناس الشىء علما وليس بعلم .. ولو قلت إن العلم لا يدرك غوره، ولا يسبر قعره، ولا تبلغ غايته، ولا يستقصى أصنافه، ولا يضبط آخره، فالأمر على ما قلت، فإذا كان الأمر كذلك فابدأوا بالأهم فالأهم، وابدأوا بالفرض قبل النفل، فإذا فعلتم ذلك كان عدلا وقولا صدقا"[3].

---

[1] أحمد أمين المرجع السابق. ص12 .

[2] نفس المرجع . ص16 .

[3] الجاحظ. البيان والتبيين. تحقيق فوزى عطوى. الشركة اللبنانية للكتاب بيروت 1968. ص556.

هذا إلى جانب تشجيع معظم الوزراء ، والأمراء، والولاة، وإغداقهم الأموال والهبات على العلماء. ومن أمثلة ذلك أن بختيشيوع بن جبرائيل[1]. قد بلغ ثراءه حدًا إلي درجة مضاهته للمتوكل فى المأكل والمشرب والزينة والفراش.

ويُروى أن ابن زرعة[2]. قاضي دمشق المتوفى سنة 448 هـ كان يهب لمن يحفظ مختصر المزنى فى الفقه الشافعي مائة دينار[3].

2- استخدام الورق في الكتابة منذ عهد هارون الرشيد (170 - 193هـ) وكان قبله يستخدمون ورق البردى المصرى السميك، وورق الكاغد المستورد من الصين، وكان أخف من ورق البردى. ولكنه باهظ الثمن. فأمر الرشيد وزيره يحيي البرمكى بإنشاء مصنع له في بغداد. ففعل. فرخص ثمنه. وشاع استخدامه فى الكتابة – يقول صاحب صبح الأعشى "وأجمع رأى الصحابة على كتابة القرآن فى الرق لطول بقائه. أو لأنه الموجود عندهم حينئذ. وبقى الناس على ذلك إلى أن ولى الرشيد الخلافة وقد كثر الورق

---

[1] بختيشوع بن جبرائيل : طبيب سريانى كان مشهورًا بالفضل جيد التصرف في المداواة. عالى الهمة. حظيًا عند الخلفاء. رفيع المنزلة عندهم. كثيرى الإحسان إليه. وحصل منهم من الأموال مالم يحصله غيره من الأطباء. من كلامه فى الطب: أربعة تهدم العمر : إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام. والشرب على الريق. ونكاح العجوز. والتمتع فى الحمام. وله من الكتب: رسالة إلى المأمون في المطعم والمشرب . كتاب المدخل إلى صناعة المنطق. كتاب الباه. رسالة مختصرة فى الطب. كناشه . كتاب فى صناعة البخور ألفه لعبد الله بن المأمون . (راجع عيون الأنباء ص187 . 201 والفهرست ص527 ).

[2] ابن زرعة : هو أبو على عيسى بن اسحق بن زرعة. ولد ببغداد سنة 371هـ . كان تاجرًا. ثم انصرف إلى العلوم والترجمة والتأليف بإشراف أستاذه يحيى بن عدى. فصار أحد المتقدمين فى علم المنطق وعلوم الفلسفة. والنقلة المجودين. له من الكتب : اختصار كتاب أرسطوطاليس فى المعمور من الأرض. كتاب أغراض كتب أرسطوطاليس المنطقية . مقالة فى معانى كتاب ايساغوجي. مقالة فى العقل. رسالة فى علة استنارة الكواكب مع أنها والكرات الحاملة لها من جوهر واحد. (ابن أبى أصيبعة، عيون الأبناء، ص318 - 319) .

[3] شوقى ضيف . مرجع سابق. ص120 .

وفشى عمله بين الناس، فأمر ألا يكتب الناس إلا فى الكاغد، لأن الجلود وتحوها تقبل المحو والإعادة. فتقبل التزوير، بخلاف الورق، فإنه متى محو منه، فسد، وإن كُشِطَ ظَهَّر كشطه. وانتشرت الكتابة فى الورق إلى سائر الأقطار وتعاطاها من قرب وبُعد، واستمر الناس على ذلك إلى الآن"[1].

وقد ساعد استخدام الورق فى الكتابة على إنشاء دكاكين الورافين التى حلت حينئذ محل دور النشر والطباعة. كما كثرت المكتبات العامة والخاصة. وكانت أشهر المكتبات العامة : مكتبات المساجد ، ومكتبات السراة وبعض المثقفين والعلماء، ومن أشهرها حينذاك، مكتبة على بن يحى المنجم والأديب والشاعر نديم الخلفاء من عصر المتوكل إلى عصر المعتمد. كما أسس محمد بن حمدان الموصلى الشافعى – من أدباء العصر وعلمائه – مكتبة ملأها بالكتب من جميع العلوم والفنون . ويقول ول ديورانت عن الصاحب بن عباد (ت 485هـ) الوزير فى بغداد "ربما ملك .. فى القرن العاشر الميلادى ما يقدر حينئذ بما فى مكتبات أوروبا مجتمعة"[2].

ولا يكاد يكون هناك عالم سرى إلا وله مكتبة خاصة تموج بالكتب فقد كان لأحمد بن حنبل (ت 241 هـ) مكتبة قُدر ما فيها من كتب بأثنى عشر حملا. وكان للفتح بن خاقان (ت 248 هـ) وزير المتوكل مكتبة لم يُر أعظم منها كثرة وحسنا[3]. هذا فضلاً عن أكبر مكتبة شهدها هذا العصر، وهى "خزانة الكتب" أو بيت الحكمة التى أنشأها الرشيد[4]. وأتمها المأمون الذى عُرف – كما سبق بشغفه ورغبته فى العلوم الفلسفية والعقلية ، فعمل على جمع كتبها

---

[1] القلقشندى . صبح الأعشى فى صناعة الإنشا. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1349هـ-1928م. جـ2 . ص486 .

[2] عبد الحليم الجندى. القرآن والمنهج العلمى المعاصر. دار المعارف 1984. ص170

[3] شوقى ضيف. المرجع السابق. ص ص124 – 125 .

[4] D.ET.J. Sourdel. La Civilisation De L, Islam Classique, Paris, 1950 P. 70.

من كل صوب ودرب ومن ذلك أنه قد كتب إلى ملك الروم "يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلدة الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم : الحجاج بن مطر، وابن البطريق .. وغيرهما، فأخذوا مما وجدوا ما أختاروا، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله، فنُقل"[1].

كما ساعد استخدام الورق في الكتابة على تصنيف الكتب والمصنفات والتي سرعان ما انتشرت واصبحت تحت أيدي الطلاب يتزودون منها كيفما شاءوا. وذلك أيسر وأسهل من التلقي من الشيوخ والعلماء في المساجد .

3- كثرة المناظرات في المساجد وقصور الخلفاء والوزراء .

فلقد ازدهرت المناظرات في هذا العصر تبعا للشغف العلمي وطمعًا في عطايا الخلفاء والأمراء . وإذا كان الخلفاء والأمراء يساهمون في المناقشات ويشتركون في الرأي، فإن العلماء قد استعدوا للمناظرة وتسلحوا لها رغبة في الشهرة والحظوة .

وبالجملة كانت مجالس المناظرات سببًا كبيرًا من أسباب الرقي العلمي، إذ أنها قد حفزت العلماء للبحث، فكانوا يطيلون النظر ويعدون العدة الطويلة لمثل هذه المواقف[2]. الأمر الذى انعكس على الحركة العلمية إجمالاً.

وخُلاصة القول إن عصر الرازى قد شهد نهضة كل العلوم والفنون والآداب. وقد أدلى الرازى بدلوه - على ما سيأتي - في هذا المجال إلى جانب زملائه من أساطين العلم وجهابذة الأدب والحكمة .

---

[1] ابن النديم. الفهرست. ص243. نقلا عن أحمد أمين. ضحى الإسلام. دار الكتاب العربي. الطبعة العاشرة. بيروت بدون تاريخ. جـ2 . ص62 .

[2] أحمد أمين. المرجع السابق. ص54

ففى اللغة والنحو والشعر والبلاغة نجد : ابن دريد صاحب معجم "الجمهرة فى اللغة" وابن السكيت صاحب كتاب "الألفاظ" وابن الأنبارى. والمبرد صاحب "الكامل"، والمفضل الضبى صاحب المفضليات[1]. وأبو تمام والبحترى.

وفى الرياضيات نجد محمد بن موسى الخوارزمى مبتكر علم الجبر. وتلميذه حبش الحاسب.

وفى الفلك كان ابن كثير الفرغانى مؤلف كتاب "أصول الفلك" وأبو معشر البلخى، والفضل بن حاتم النيرنزى، والبتانى الذى "لا يُعلم أحد فى الإسلام بلغ مبلغه فى تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها"[2].

وفى الجغرافيا، لمع عبيد الله بن خرداذبة صاحب كتاب "المسالك والممالك". وابن الفقيه صاحب كتاب "البلدان". والهمذانى صاحب كتاب "صفة جزيرة العرب".

وفى التاريخ بزغ نجم المحدث الفقيه الجامع للعلوم أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى الذى تحدث عن أمره فى حداثة سنه فقال "حفظت القرآن ولى سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع"[3].

---

(1) المفضليات : هى مختارات المفضل الضبى اختارها من شعر العرب للمهدى بطلب من أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور . وهى تبدء بـ : قال ثابت بن جابر بن سفين :

يا عيذ مالك من شوق وإيراق ... وقمرَ طيف على الأهوال طراق

يسرى على الأين والحيات محتفيًا ... نفسى فداءك من سار على ساق

المفضليات . مطبعة التقدم بشارع محمد على بمصر 1324هـ – 1906 م .

(2) القفطى . إخبار العلماء بأخبار الحكماء، م.س. ص284 .

(3) محمد بن جرير الطبرى. تاريخ الأمم والملوك. المعروف بتاريخ الطبرى. دار الكتب العلمية. بيروت. ط الثالثة 1991م. جـ1 المقدمة. ص3 .

هذا وقد أنتج هذا العصر علماء تميزوا بالتفكير الشمولى. إذ كتبوا فى علوم شتى. الأمر الذى يجعلنى أطلق عليهم لفظ "حكماء" على اعتبار أنهم كانوا يمسكون بناصية جميع العلوم والمعارف. وذلك أسوة بحكماء اليونان. ومن أمثلة هؤلاء الحكماء : الكندى "يعقوب بن اسحق". العربى الأصيل الذى ألف فى الفلسفة والرياضيات، والهندسة، والفلك والطبيعة، والمنطق. والأخلاق. والسياسة. والكلام. والجدل. ومثله فى ذلك الرازى. طبيب المسلمين بغير مُدافع، فقد خلّف - على حسب البيرونى - 161 مؤلفًا فى الطب. والطبيعيات. والفلسفة، والرياضيات، والميتافيزيقا، والمنطق. وعلم الكلام. والكيمياء.

**تلك كانت صورة مؤجزة للحالة العلمية العامة التى سادت عصر الرازى، والتى تُبين أن المجتمع الإسلامى قد عاش نهضة علمية شملت معظم العلوم فى هذا العصر. وقد أشرت إلى ذلك بإيجاز حتى لا أخرج عن مقتضيات كتابى، والذى يتطلب أن أتحدث بشىء من التفصيل عن أحد فروع هذه النهضة، وهو الفروع الطبى الخاص بموضوع البحث. ويمكن تناول ذلك فى الفقرات التالية :**

## 2- قوام المعرفة الطبية فى عصر الرازى :

### أ - النظرية الطبية السائدة :

إن البحث فى هذه المسألة إنما يتطلب الإشارة إلى بدايات بعض النظريات الطبية التى سادت فى عصر الرازى . إذ أن مرحلة الابتكار والإبداع لدى الأطباء المسلمين لم تولد فجأة، بل إنها قد تأثرت بما قبلها من معرفة طبية كانت موجودة لدى الحضارات الأخرى. لاسيما الحضارة اليونانية. والتى أخذت بدورها من الحضارة المصرية القديمة

إن الدارس لتاريخ العلم يعرف تماما كيف شهدت مصر القديمة نهضة طبية[1] اشتملت على معرفتهم لكثير من فنون الطب والتطبب. فهناك الكثير من الإسهامات المصرية القديمة في المجال الطبي[2]، وهو ما كشفت عنه بعض

---

[1] عرف المصريون القدماء العلاج بالنباتات والأعشاب الطبيعية. وعرفوا أمراض العيون مثل: الرمد الحبيبي، والالتهابات الرمدية، والماء الأزرق Glaucoms، وقوس الشيخوخة Arcussenalis، وغيرها. كما استعلموا الغرغرات. والمراهم. والمقيئات. والأقمعة Suppositorries. والأشربة. والحقن الشرجية. واللزقات Plasters. والأدوية المدرة للبول والعرق. ومارسوا الفصد والحجامة واستعملوا الأفيون كمادة مخدرة.

وقد برعوا في تشخيص وعلاج الأمراض إلى الدرجة التي يمكن أن نرى معها التخصص الدقيق المتبع في الطب الحديث. يقول هيرودوت : الطب يمارس في مصر القديمة على طريقة الاختصاص. فالطبيب هناك يعالج مرضا واحدا، لا جملة أمراض. والبلاد تعج بالأطباء. فبعضهم لأمراض العيون، وبعضهم لأمراض الرأس، وبعضهم للأسنان، وبعضهم للأمراض المجهولة التي ليس لها مكان معين . (التيجاني الماحي. مقدمة في تاريخ الطب العربي. مطبعة مصر بالخرطوم، 1959، ص8 – 10) .

[2] من أمثلة ما جاء في بردية إيبر (الحالة 856) تقول بأن هناك وعاءين في عنق الإنسان. فإذا مرض بعنقه، أو ضعف بصره فقل عندئذ أن أوعية عنقه قد أصابها المرض (حسن كمال. الطب المصري القديم. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر. ط الثانية 1964، ص156). والحالة رقم (191) من نفس البردية تتحدث عن الذبحة الصدرية فتقول : إذا فحصت إنسانا مصابا بضيق في فم معدته، وتعتريه آلام في ذراعه، وفي صدره وفي جانب فم معدته، ويقال عنه مرض (واز) الذي يهدد بالموت .. حضر له أعشابا منبهة .. ثم ضع يدك مبسوطة عليه حتى تشفى ذراعاه، ويزول الألم . (نفس المرجع، ص256) .

كما أن نظرة طبية لفك سفلي عثر عليه في مقبرة من الأسرة الرابعة (2900 – 2750 ق.م) لتوضح مدى مهارة أحد أطباء الأسنان الذي أجرى عملية جراحية لفتح خراج تحت أحد الضروس (جورج سارتون. تاريخ العلم. دار المعارف 1957 . 113/1).

ومما هو مثير للدهشة ما جاء في نفس البردية (Eber) من ذكر لإحدى الوصفات الخاصة بحشو الأسنان المسوسة بخليط من كربونات النحاس. والصمغ إلى جانب بعض المواد الإضافية الأخرى . والتي لا تكاد تخرج عما هو مستخدم في الطب الحديث لحشو الأسنان. من =

البرديات التى اكتشفت فى القرن الماضى، مثل بردية Edwinsmith (نشرت عام 1929)، وeber (نشرت عام 1962)، وchesterbetty، وhearst، وغيرها. والتى أوضحت مدى الشوط الذى قطعه قدماء المصريين فى تقدم علم الطب. وكيف أنهم عمدوا إلى التجريب العلمى الصحيح فى كل فروعه، وخاصة مجال طب المخ والأعصاب .

أما أول من تكلم ونظر فى الطب فى مصر القديمة، فهو هرمس الأول الذى قيل إنه نبى الله إدريس " عليه السلام ". أما ابتداء الطب الفعلى فى مصر القديمة، فكان على يد امحوتب Imhotep وزير الملك زوسر Zoser أحد ملوك الأسرة الثالثة (2980 – 2900 ق.م). وقد بلغ امحوتب هذا شأوًا عظيمًا لما أبداه من مهارة ليس فى الطب فقط، ولكن فى العمارة ، والحكمة الدينية، والسحر، والنطق بالحكيم والمواعظ[1].

أنشأ المصريون القدماء الكثير من مدارس الطب فى عواصم الأقاليم لتلقى وتلقين هذا الفن، واختاروا لهذه المدارس أشخاصًا من الموثوق بعلمهم وفضلهم. وكانت هذه المدارس تابعة للمعابد، وتخضع لإشراف رجال الدين على الأقل من الناحية الأخلاقية والدينية . ومن بين هذه المدارس، مدرسة منفيس، وعين شمس، وطيبة، وصا الحجر. وكانت هذه المدارس بمثابة جامعات كبرى لتلقى الفنون الطبية بأنواعها، إلى جانب العلوم الأخرى كالهندسة والفلك. ومتى أتم الطالب دراسته وأدى الشهادة النهائية فى حفلات كانوا يعتنون بها لتؤدى اليمين القانونية – أمام الهيكل المقدس وبين يدى الأساتذة والحكام – بكتمان

=استخدام مادة تسمى ملغم "Amalgam" تتكون من : فضة Silver، ونحاس Brass، وزئبق Mercury. وذلك بنسب مختلفة. هذا بالإضافة إلى شد الأسنان بأسلاك من الفضة وغيرها.

[1] أنظر كتابى. الأسس الابستمولوجية لتاريخ الطب العربى. دار الثقافة العلمية الإسكندرية 2002. ص17 .

أسرار العلوم عن غير أهلها، وأن يؤدى الطبيب مأموريته فى خدمة المجتمع الإنسانى بالصدق للجميع، وبالرأفة على الفقير[1].

ولقد برع أطباء مصر فى تشخيص وعلاج الأمراض إلى الدرجة التى يمكن أن نرى معها التخصص الدقيق المتبع فى الطب الحديث، فكان الطب يمارس على طريقة الاختصاص، فالطبيب يعالج مرضًا واحدًا، وليس كل الأمراض. والبلاد تعج بالأطباء، فبعضهم لأمراض الرأس، وبعضهم لأمراض العيون. وبعضهم لأمراض الأسنان .. إلخ. ومن أمثلة ذلك ما جاء فى بردية إيبر (حالة 856) "أن هناك وعاءين فى عنق الإنسان، فإذا مرض بعنقه، أو ضعف بصره، فقل عندئذ إن أوعية عنقه قد أصابها المرض". والحالة رقم (191) من نفس البردية تتحدث عن الذبحة الصدرية فتقول : "إذا فحصت إنسانًا مصابًا بضيق فى فُم معدته، وتعتريه آلام فى ذراعه، وفى صدره، وفى جانب فم معدته .. حضر له أعشابًا منبهة، ثم ضع يدك مبسوطة عليه، حتى تشفى ذراعاه ويزول عنه الألم"[2].

وبلغ المصريون شأواً كبيرًا فى الجراحة، فبردية سميث قد حوت كثيرًا من أصول الجراحة، وبالأخص جراحة العظام والأجزاء السطحية، شارحة كل حالة بغاية الدقة والنظام . أما التشريح. فقد عرفه قدماء المصريين بناء على ما اكتسبوه من تجاربهم فى التحنيط. ذلك الذى بلغوا فيه شأنًا عظيمًا .

ويبدو من النصائح التى أشاروا إليها على لسان كبار أطبائهم أن مدارسه التعليمية للطب قد مكنتهم من وضع نظرية علمية طبية استفاد منها أطباء اليونان فى بناء حضارتهم .

---

[1] راجع. خالد حربى. الأسس الإبستمولوجية لتاريخ الطب العربى. المرجع السابق. ص18 – 19.

[2] خالد حربى . المرجع نفسه . ص23 .

وإذا كان الطب المصرى قد نزع إلى التجريب، فإن الطب اليونـانى قـد اتخذ من صياغة النظريات المجردة سبيلاً .

ويمكن القول إن التفكير الطبى اليونانى قد بـدأ يبلـغ مرحلـة النضـوج على يد أبقراط (ولد عام 460 ق. م) الذى تضلع فى العلوم الطبيعيـة، فـأدخل الطب فى إطار علمى قائم على الفحص الإكلينيكى Clinical Observation، والاستنتاج المنطقى السليم[1].

وقد شهد كـل مـن أفلاطـون وأرسـطو بعظمـة أبقـراط الطبيـة، فتحـدث أفلاطون (وكان معاصرًا أصغر لأبقـراط) فـى محـاورة بروتـاغوراس Protagoras عن شاب قصد إلى أبقراط طبيب قوص ليـأخذ عنـه علـم الطـب. وفـى محـاورة فيدروس Phaidros يناقش ناحية من التعليم الأبقراطى، وهى الحاجة إلى فهم الطبيعة تمهيدًا لتفهم جسد الإنسـان ونفسـه. كمـا تحـدث أرسـطو عـن مـهارة أبقراط الطبية فى كتاب السياسة[2].

---

[1] جورج شحاته قنواتى، تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديـم والوسـيط، دار المعـارف بمصـر 1959 .

ويعتبر أبقراط هو أول من وضع الوثائق الإكلينيكية، ومع أنه كـان معنيًـا بعـلاج المرضـى. عامة منه بأمراض خاصة، إلا أنه ترك لنا صورًا إكلينكية لمرض السل، والتشـنج، والصـرع. كمـا سجل الملامح المعتادة التى تعلو سحنة المحتضـر أو الميـت. ووجـه مـن أهزلـه الجـوع، أو أعيـاه الإسهال، أو أسقمه الألم واستمرار المـرض. ولا تـزال هـذه المظـاهر تعـرف بـالوجوه الأبقراطيـة Facies Hipocratica (سارتون ، م.س، 240/1) .

وفى رسائل أبقراط كثير من القواعد الجراحية السليمة . وفيها فصول عن كسـور العظـام، وانخلاع المفاصل، كما أن التعاليم الخاصة بتربنـة الجمجمـة مذكـورة فيـها بإسـهاب (جوزيـف جارلند، قصة الطب، ترجمة سعيد عبده، دار المعارف بمصر بدون تاريخ ص39). كمـا تحتـوى رسائله على التاريخ المرضى لبعض مرضاه مع وصف دقيق للعلة لا يوجـد لـه نظـير فـى مؤلفـات الطب حتى عهد الرازى، على ما سنرى .

[2] خالد حربى، الأسس الإبستمولوجية لتاريخ الطب العربى، م. س، ص92 .

وبعد مضى زمن على أبقراط، أصيبت تعاليمه بالجمود، واستقرت فى قضايا صلبة، حيث اكتفى الأطباء بمحاولة تفسير النصوص. أما جوهر طريقته. وهو الملاحظة الحرة الطليقة والبحث عما يفيد المرضى، فقد أصبح شيئًا ثانويًا لا يُبالى به الأطباء[1]. فنهضت مدرسة الإسكندرية[2] التجريبية Empirical School ضد هذا التيار العقلى المتزمت، وأعلنت أنها لا تهتم بعلل الأمراض. كما تهتم بعلاجها. "فليس المهم أن نعرف ماهية الهضم - مثلاً - بل ما هو

---

[1] بول غليونجى ابن النفيس. م.س. ص43 .

[2] ترجع مدرسة الإسكندرية القديمة إلى عهد بطليموس الأول (أحد قواد الإسكندر الأكبر الذى استقل بحكم مصر بعد موته وتشتت ملكه عام 323 ق. م وبه يبدأ تاريخ البطالمة) إذ تعد من أشهر أعماله. حيث جمع فيها علماء اليونان. وأجرى عليهم المرتبات. وأشار عليهم بخدمة العلم وتنمية موارده، فكانت أجمع دار علم للعلماء، لم يأت قبلها ولا بعدها مثلها. وقد زاد فلا عنايته. فجمع للعلماء مكتبة لم تتفق قبله لملك .

أما عن الطب فقد عاد تحت ظل البطالمة من اليونان. إلى موطنه الأصلى بمصر. وكان أشهر من نبغ فيه فى الإسكندرية آنذاك طبيبان: هيروفيلوس الخالكيديسى (300 ق. م) الذى دلت كشوفه الكثيرة على أنه قام بفحص لتركيب الجسم البشرى كله .

وارازيستراتوس اليوليسى (ت 250 ق. م) الذى جاءت بحوثه التشريحية منصبة على الدماغ والقلب . والجهازين العصبى، والوقائى . وقد قدم وصفاً صائبًا للسان المزمار ووظيفته. ووصف الأذنين والبطينين من القلب، وأعلن عن وجود اتصال بين التشعبات النهائية للأوردة والشرايين .

وقد اكتفى أتباع هذان العالمان بالاعتماد على نصوصهما. واكبوا على الجدل العقيم حولها. فلقبوا بالمتعسفين Dogmatists. وظهر فيما بعد النفثيون Pneumatists الذين أرجعوا القوى الحيوية إلى روح حيوى يسرى فى الجسم (النفث). والتوفيقيون. والأصطفائيون Eclectice الذين أعلنوا عدم تحيزهم لأى مدرسة. وبرز منهم روفس الأفسى. وأريتاكوس. وديوسقوريدس صاحب موسوعة النباتات التى استفاد منها أطباء العرب. وفى وسط هذا العالم المتخبط. ظهر جالينوس فى القرن الثانى الميلادى . (أنظر . خالد حربى. نشأة الإسكندرية وتواصل نهضتها العلمية. دار ملتقى الفكر. الإسكندرية 1999. ص48 ).

سهل الهضم"[1]. وهذا ما نجده عند أشهر من نبغ في هذه المدرسة، وهو جالينوس (ولد حوالى 130م)[2] الذى جدد من علم أبقراط، وشرح من كتبه ما كان قد درس وغمض على أهل زمانه وقد أسس جالينوس نظرياته وتعاليمه على معلوماته الدقيقة التى استنبطها من تشريح الحيوان، وملاحظة وتفحص الجرحى والمرضى.

ولقد ظلت الإسكندرية مركز إشعاع ضخم للعالم القديم كله. وقد استمر ذلك الحال إلى أن انتقلت الحركة الطبية من الإسكندرية إلى موقع السُلطة العلمية فى بغداد[3] خلال العصر العباسى الثانى وهو عصر الرازى على ما سنرى.

---

[1] جوزيف جارلند، قصة الطب. ترجمة سعيد عبده، م. س، ص86 .

[2] أنظر ترجمة جالينوس فى المراجع المذكورة أسفل الصفحة. ولقد أسهم جالينوس بكثير من المؤلفات فى حركة تاريخ الطب العام. أهمها الكتب الستة عشر التى كانت تقرأ على الولاء فى مدرسة الإسكندرية. وهى : 1- كتاب الفرق. 2- كتاب الصناعة الصغير. 3- كتاب النبض الكبير. 4-كتاب أغلوقن. 5- كتاب الاسطقسات. 6- كتاب المزاج. 7- كتاب القوى الطبيعية. 8-كتاب التشريح الصغير. 9- كتاب العلل. 10- كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة. 11- كتاب النبض. 12-كتاب الحميات. 13-كتاب البحران. 14-كتاب أيام البحران. 15-كتاب حيلة البرء. 16-كتاب تدبير الأصحاء. (أنظر ابن النديم، الفهرست ص403. وابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص154 – 157).

[3] يذهب بعض الباحثين إلى أن مركز التعليم الطبى قد انتقل من الإسكندرية إلى انطاكية فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز. وفى هذا خطأ لأن التعليم الطبى كما يذكر الفارابى. ومن بعده ماكس مايرهوف قد انتقل من الإسكندرية إلى بغداد عن طريق الرها. ونصيبين. وانطاكية. وجنديسابور. وكان ذلك فى العصر الجاهلى بعد إغلاق مدرسة الإسكندرية وفرار العلماء والفلاسفة منها بعد إغلاقها على يد "جوستنيان" فى أوائل القرن السادس الميلادى. بينما ظهر الإسلام فى أوائل القرن التاسع الميلادى. فهناك إذن قرن من الزمان بين انتهاء مدرسة الإسكندرية وهروب علمائها إلى شمال فارس القديمة قبل ظهور الإسلام. يضاف إلى هذا القرن المدة التى تقع بين السنة الأولى للهجرة، وخلافة عمر بن عبد العزيز (راجع. عامر ياسين النجار، حركة الترجمة وأهم أعلامها فى العصر العباسى، دار المنار، القاهرة 1993).

من كل ما سبق أستطيع أن أقدم صورة لبعض النظريات الطبية التى كانت سائدة فى عصر الرازى، ذلك الذى شهد العصر الذهبى لحركة انتقال العلوم إلى المسلمين[1]. تلا ذلك مرحلة الإبداع والابتكار، والتى أرى أنها قد ابتدأت بالرازى فى المجال الطبى.

وعلى ذلك، فإن ما شاع من نظريات طبية[2] قد انتقل إلى المسلمين من أسلافهم. خاصة اليونانيين، وبصفة أخص أبقراط، وجالينوس.

---

[1] فى حديثه عن حركة الترجمة والنقل يذهب الدكتور ماهر عبد القادر إلى أن المسلمين قد انفتحوا فى عصرهم الأول على مدينة جنديسابور. وكانت مجمعًا علميًا وطبيًا هامًا. كما انفتحوا على الإسكندرية وكانت مركزًا علميًا وطبيًا هامًا . ومن هنا وهناك جاءت عوامل وأسباب التطور. فكتابات الطب المشهورة كانت بالإسكندرية، وممارسوا الطب والأطباء كانوا فى جنديسابور. وبين هذين الطرفين بدأ التلاحم وبدأ العمل الدؤوب (شخصيات ومذاهب فى تاريخ الطب العربى. دار المعرفة الجامعية 1991 ص53 ). حيث تولى السريان نقل الكتب اليونانية إلى اللغة السريانية. ثم إلى اللغة العربية فيما بعد. وكانت مدرسة الطب التى انتقلت من الإسكندرية هى التى تولت عملية نقل التراث الطبى إلى العرب .

وكان الطب من أوائل العلوم التى عنى المترجمون السريان بنقلها إلى اللغة العربية لأن الخلفاء والأمراء كانوا يطلبونها بإلحاح لعلاجهم وتمريضهم. ولهذا كان أوائل الأطباء عند العرب من هؤلاء السريان الذين تصدوا لتعريف العرب بالكتب الطبية . ومن هؤلاء حنين بن اسحق. وابنه اسحق. وماسرجويه. ويوحنا بن ماسويه. وحبيش الأعسم.. وغيرهم.

[2] ومن أمثلة ذلك ما يلى :

أ - الجسد يعالج على خمسة أضرب : ما فى الرأس بالغرغرة وما فى المعدة بالقيىء. وما فى البدن بالاسهال. وما بين الجلد بالعرق. وما فى العمق وداخل العروق بإرسال الدم (أبقراط) (أنظر الشهرزورى. تواريخ الحكماء. المعروف بـ "نزهة الأرواح" وروضة الأفراح. تحقيق مركز التراث القومى والمخطوطات بجامعة الإسكندرية. إشراف د. محمد على أبو ريان. دار المعرفة الجامعية الطبعة الأولى 1993. ص350) .

ب- عندما تتحرج الأمور. أو ينعدم الأمل فى حياة المريض. فلا تحاول تحريك الأمعاء أو ابتداع علاج جديد سواء كان مسهلاً أم منبهًا. ودع المقادير تجرى كما تشاء. (من نظريات أبقراط أيضا. والتى انتقدها الرازى فيما بعد) (أنظر. نفس المرجع. نفس الصفحة). =

وهاك أشهر نظرية قديمة سادت فى عصر الرازى وبعده، وهـى نظريـة الأخلاط، وأعرضها هنا من خلال شرح الرازى لها .

## نظرية الأخلاط:

يرى الـرازى أن الأشياء الطبيعيـة، أو العوامـل الطبيعيـة المؤثـرة فـى حدوث المرض تنقسم إلى سبعة أقسام :

استقصات، ومزاجات، وأخلاط، وأعضاء. وقوى، وأرواح، وأفعال[1].

والاستقصات أربعة نار حارة يابسة. وهواء حار رطب. وماء بارد رطب. وأرض باردة يابسة. والأصول هذه هى التى توجد حواسنا، ومنها خلق الله

---

=جـ – قدم هيروفيلوس الخالكيديسى (أنظر التعريف فيما سبق) من أطباء مدرسة الإسكندرية وصفًا مفصلاً للدماغ، وميز بين المخ والمخيخ، كما ميز بين أوتار العضلات، وأطلق علـى الأعصاب اسم (أعصاب الحس). وقد فرق بوضوح بين الشرايين والأوردة، ذاهبًا إلى أن الشرايين أسمك مـن الأوردة بست مـرات. كما قدم وصفًا لكل مـن العين، والإثنى عشر Doudemum، والغدد اللعابية، والبنكرياس، والبروستاتا، وأعضاء التناسل. (جورج سارتون، تاريخ العلم 239/4–240).

د – كما يعتبر ارازيستراتوس اليوليسى (انظر التعريف به فيما سبق) أول من فرق بين التدبير الصحى (الوقاية). وبين التداوى. وعلق أهمية أعظم على الوقاية. لذلك كان ينصح دائما بمراعاة التغذية الجيدة. والرياضة، والاستحمام. كما عارض العلاجات العنيفة والإفراط فـى استعمال العقاقير (سارتون، نفس المرجع 249/4).

هـ – إن فى القلب تجويفين : ايمن. وأيسر : وفى التجويف الأيمن من الدم أكثر مـن الأيسر. وفيهما عرقان يأخذان إلى الدماغ. فإذا عرض للقلب مـا لا يوافق مزاجه. انقبض. فانقبض لانقباضه العرقان. فتشنج لذلك الوجه وألم له الجسد . وإذا عرض له ما يوافـق مزاجه. انبسط العرقان لانبساطه (جالينوس) (أنظر ابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء فى طبقات الأطباء. ص130).

[1] الرازى. المنصورى فى الطب. تحقيق حازم البكرى الصديقى. معد المخطوطات العربية. الكويت 1987 . ص29 .

جميع الخلق، والبهائم. وإليها ترجع إذا انحلت تراكيبها. وقوام كل شيء في هذا العالم بهذه الأربع أمهات، ومنها يتكون ويتراكب.

والمزاجات تسعة واحد منها مستوى، وهو المزاج المعتدل. وثمانية غير مستوية، وهي المزاجات الخارجة عن الاعتدال. أربعة منها مفردة : حار، بارد، رطب، يابس. وأربعة مؤلفة : حار يابس، وحار رطب. وبارد يابس، وبارد رطب[1].

والأخلاط (الأمشاج) أربعة: دم، بلغم، مرة صفراء، ومرة سوداء[2].

والبلغم منه حلو، وهو حار رطب. ومنه مالح، وهو حار يابس. ومنه حامض، وهو بارد يابس. ومنه مسيخ وهو بارد رطب. ومنه نوع خامس زجاجي، وهو أبرد أنواع البلغم وأرطبها، ولا يستحيل إلى الدم.

وكل خلط يخرج من الفم بالقيىء أو بالبصاق، أو ينحدر من الرأس، أو يخرج من الفم بالتنخع، ولا طعم له في طبيعته، يُسمى بلغمًا .

والبلغم يتولد في البدن من أطعمة باردة رطبة في الهضم الأول الكائن في المعدة. وهو يتولد من غذاء يستحكم انهضامه. ولذلك لم تُحدث الطبيعة له وعاء يقبله كالعروق والأوردة التي هي وعاء للدَّم، وكالمرارة التي هي وعاء للصفراء، وكالطحال الذي هو وعاء للسوداء. فما صار منه إلى الكبد وجداوله، استحال وصار دمًا، وما بقي منه في الأمعاء ولم ينحدر إلى الكبد، اندفع من الأمعاء وانغسل بالمرة الصفراء المُنَقية للأمعاء الغاسلة لها بحدّتها وحرافتها[3].
والمرة الصفراء: منها ما يتولد في الكبد. ومنها ما يتولد في المعدة .

---

[1] نفس المصدر . ص30 .

[2] الرازي. المنصوري. ص30 .

[3] نفس المصدر. ص31 .

أما المتولدة فى الكبد فهى أربعة أنواع : النوع الأول القرمزيـة والنـوع الثانى المرة الصفراء وهى أرق من القرمزية وتصير فى مثل هذه الحـال المخالطـة المائية للقرمزية. والنوع الثالث المحيّة، وهى كمح البيض والتى تشـبه صفرتـها صفرته، وهى أغلظ من القرمزية وتكون على هذه الحـال لانعـدام المائيـة فيـها. والنوع الرابع هى المُرة الحمراء، وهى تشبه الدم الدقيق.

أما المتولدة فى المعدة فهى ثلاثة أنـواع : النـوع الأول: منـها. يُسـمى الكراثى، لأن خضرته تُشبه لـون الكُـراث، والنـوع الثـانى يُسـمى الصدى، أو الزنجارى . لأن لونه شبيه بلون الزنجار . والنوع الثالث يسـمى النيلجـى لأن لونه يُشبه لون النليلج.

والمُرة السوداء نوعان : النوع الأول، المُرة السوداء الطبيعية، وهى عكرة الدم ويسميها الحكماء، الخلط الأسود، ولا يُسمُّونها السـوداء ليفصلـوا مـا بـين المرة السوداء الطبيعية، والمرة السوداء الخارجة عن الطبيعة .

والنوع الثانى من المرة السوداء خارج عن الطبيعة ويكون من الاحتراق، وهذا النّوع لا يخلو أن يكون إما من احتراق الخلط المُسمى الخلط الأسـود الـذى هو عكر الدم. وإما من احتراق المُرة الصفـراء بـإفراط الحـرارة عليـها. وإمـا مـن احتراق الدم إذا احتدّ وفسد[1].

كانت هذه أشهر النظريات التى سادت الفكر الطبى فى عصر الـرازى. وتُعتـبر نظريـة (الأخـلاط) خـير مثـال علـى تـأثر النظريـات الطبيـة بالأفكـار الفلسفية، فقد قال أنباذوقليس (490 – 340 ق.م) إن العناصر الأربعة : الماء، والنار، التراب، والهواء هى الأصول الأولى للأشياء جميعًا[2].

---

[1] المنصورى ص32 .

[2] راجع. محمد على أبو ريان. تاريخ الفكر الفلسفى جـ1 "الفلسفة اليونانية" دار المعرفة الجامعية 1988 . ص86 .

والجسم الإنسانى مزيج من هذه العناصر أو الأركان بما لكل منها من طبائع . إذا امتزجت فى تناسق وتناسب كيفا وكما، كانت الصحة، وعن أى إفراط أو تفريط يلزم اختلال يتولد عنه المرض[1].

وقد تبنى أرسطو هذه النظرية فى تفسيره لتركيب الأشياء الطبيعية - وتابعه الفلاسفة المسلمون[2] فى مجال الفلسفة - كما تبناها أبقراط فى مجال الطب[3]. وقد تبعه الأطباء فى التسليم بهذه النظرية (الأخلاط الأربعة) عبر تاريخ الطب الطويل حتى العهد الحديث[4].

## ب - المنطلقات الابستمولوجية (المعرفية) التى انطلق منها الرازى :

كانت هذه النظريات وغيرها من التراث المعرفى الطبى الذى أطلع عليه الرازى، فضلا عن تتلمذه على أستاذه على بن ربن الطبرى[5] كل ذلك كان بمثابة الأسس التى حددت فكر الرازى فيما بعد . ولكن الرازى لم يسلم بهذه

---

[1] أحمد محمود صبحى، محمود فهمى زيدان : فى فلسفة الطب، دار المعرفة الجامعية 1995، ص79 .

[2] من أمثال : الكندى، والفارابى، وابن سينا، وابن رشد .. وغيرهم .

[3] أحمد صبحى، وزيدان، المرجع السابق، ص79 .

[4] راجع غليونجى، م. س، ص14 .

[5] هو أبو الحسن على بن ربن الطبرى الطبيب، قال عنه القفطى : فاضل فى صناعة الطب، وقدكان بطبرستان يتصرف فى خدمة ولاتها ويقرأ علم الحكمة، وانفرد بالطبيعيات، وجرى بطبرستان فتنة أخرجه أهلها على أثرها إلى الرى، فقرأ عليه محمد بن زكريا الرازى واستفاد منه علما كثيرا. ثم رحل إلى سر من رأى، فأقام بها وصنف كتابه المسمى بفردوس الحكمة، وهو كتاب مختصر جميل التصنيف لطيف التأليف، وهو سبعة أنوع يحتوى على ثلاثين مقالة، والمقالات تحتوى على ثلثمائة وستين كتابا. وله كتاب تحفة الملوك، كتاب كنانش الحضرة، كتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير . (أنظر القفطى، الإخبار ص155، وأيضا ابن أبى أصيبعة، العيون، ص414).

الآراء. وتلك النظريات، إلا بعد النقد. والتمحيص. والاختبار. وإذا قبل أيا منها. فإنه لا يدّونها كما هي. بل كان يأخذ خلاصة أو نتائج النظريات. ويسجلها بصورة مؤجزة مختصرة، وذلك لكي تكون بمثابة مقدمات يحاول الوصول منها إلى معرفة جديدة. يقول الرازى عن كيفية تأليفه الكتاب المنصورى: "قد جمعت فى كتابى هذا جُملاً وعيونًا ونكتًا من صناعة الطب مما استخرجته من كتب بقراط. وجالينوس، وأرماسوس، ومن دونهم من القدماء، وفلاسفة الأطباء، ومن بعدهم من المحدّثين فى أحكام الطب والمفاقهة فيه مثل بولس. وأهرون. وحنين بن اسحق. وبحيى بن ماسويه. وغيرهم وفصلت ذلك على غاية الإيجاز[2].

وهنا يبدو الرازى وكأنه قد أدرك – فى زمانه – أن المشكلة الرئيسية للابستمولوجيا Epistemology كانت ولا تزال دائمًا هى مشكلة نمو المعرفة Growth of Knowledge، وأن نمو المعرفة يمكن أن يُدرس على أحسن وجه عن طريق دراسة نمو المعرفة العلمية[3] Growth of Scientific Knowledge[4]. وفى سبيل ذلك انتقد الرازى. واستبعد ما رآه خطأ من

---

[1] أنظر الفصل الخاص بمنهج البحث العلمى عند الرازى من هذا الكتاب.

[2] الرازى. المنصورى، ص18.

[3] كارل بوبر. منطق الكشف العلمى. ترجمة د. ماهر عبد القادر. دار النهضة العربية بيروت بدون تاريخ، ص52.

[4] وذلك لأن قضايا المعرفة العلمية من المفترض أنها تناظر واقعات موجودة فى العالم الخارجى. ومن ثم فهى قابلة للاختبار (بأى من وسائله). وما يصدق منهايسهم فى تقدم ونمو المعرفة العلمية. ويؤدى إلى كشف الجديد منها. وذلك فى مقابل تراكم المعارف الصادقة والكاذبة معا. أو القضايا التى لا توصف بالصدق أو بالكذب. وهى قضايا الميتافيزيقا التى تمثل تراكما عبر تاريخ الفلسفة الطويل. ومثل هذه القضايا قد وصفها "كارل بوبر" بأنها ليست علما.

ولكن هذا لا يعنى – على رأى بوبر – أنها بلا معنى. بل على العكس من ذلك. "لأنه من الحقائق المسلم بها أن الأفكار الميتافيزيقية البحتة – ومن ثم الأفكار الفلسفية ذات أهمية=

المعارف التى ظن أصحابها أنها صواب. ويُعتبر كتاب "الحاوى" خير دليل على أنه كان لا يأخذ بأقوال السابقين، أو المحدثين فى الكتب على علته، وقد أكد على ضرورة تحكيم آذان العقل الذى يَحكُم، ولا يُحكَمْ، ويعقل، ويقود، ولا يُقاد. وعليه. فإنه ثار على ما وجده فى الكتب من آراء لا يقبلها العقل، وأخذ بطريقة المتابعة، والملاحظة، والتدوين بصورة دقيقة عند الممارسة، وطبق التجارب على النظريات العلمية، ورفض ما لا ينطبق منها على النتائج الصحيحة[1].

كذلك وقف الرازى على ضحد وتفنيد آراء السابقين الخاطئة، ومن كتبه فى ذلك: كتاب الشكوك على جالينوس، "فصل فيه الشكوك والمناقضات التى فى كتبه . وذكر فيه أن كثيرًا من الناس يستجهلونه فى تأليف هذا الكتاب. وأن كثيرًا منهم يلومونه، ويعنفونه على مناقضة رجل مثل جالينوس فى جلالته ومعرفته[2].

ولكن الرازى لم يعبأ بذلك لأن الحق عنده لا يُؤخذ بالرجال، بل يُؤخذ إذا كان حقًا فى ذاته.

وبالجملة فإن الرازى لم يعمل بقاعدة "سلطة الكتابات القديمة". بل اتخذ من نفسه موقف المتلقى السلبى "الذى يُطالع ويحلل ويكتشف مواضع

---

=قصوى للكوزمولوجيا، فمن طاليس إلى أينشتين، ومن الذرية القديمة إلى تأملات ديكارت عن المادة، ومن تأملات جلبرت، ونيوتن، وليبنتز وبسكوفيك عن القوى إلى تأملات فارادى وأينشتين عن مجالات القوى، أضاءت الأفكار الميتافيزيقية معالم الطريق". ولقد كان أمل نظرية المعرفة ليس أن تمكننا من معرفة ما هو أكثر عن المعرفة فحسب، وإنما أن تسهم أيضًا فى تقدم المعرفة – خاصة المعرفة العلمية". (أنظر المرجع السابق، ص ص56، 57).

[1] داود سليمان على، التعريف بكتاب الحاوى الكبير للرازى، بحث ضمن كتاب : أبو بكر الرازى وأثره فى الطب، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد 1988، ص82.

[2] حسين على محفوظ، تراث الرازى إحصاء وتلخيص، بحث ضمن كتاب: أبو بكر الرازى وأثره فى الطب، المرجع السابق، ص172 .

الأخطاء، والغموض، والتناقضات واللاتساق، مما يجعله يصحح، ويضيف، ويبتكر. وينظر لخبرة عملية جديدة قوامها التواصل العلمى المبنى على النقد بغرض إظهار الحقيقة"[1].

وقد تجلى هذا المنهج بصورة واضحة فى مجلس الرازى التعليمى ومما لا شك فيه أن مجالس التعليم تلعب دورا هامًا فى تقدم ونمو المعرفة الإنسانية لذلك ينبغى علينا أن نتعرف على طبيعة هذه المجالس فى عصر الرازى، ولاسيما مجلسه هو، ففى ذلك ما يساعدنا على تحديد مكانة الرازى كأستاذ معلم، فضلاً عن مكانته كطبيب عبقرى

## 3- مجالس التعليم فى عصر الرازى :

بلغت الحركة العلمية المزدهرة ذروتها فى عصر الرازى. وقد اتخذت هذه الحركة عدة صورة مميزة لها من نقل، وترجمة، وتنقيح، وتعليم، وتأليف، وابتكار وكان من أبرز صورها أيضًا، انتشار مجالس التعليم فى معظم أرجاء الامبراطورية الإسلامية. وقد ساعد على ذلك تشجيع وحرص الخلفاء والوزراء على توفير كافة الإمكانات اللازمة لهذه المجالس. فيروى عن أحد وزراء بنى العباس أنه تبرع بمائتى ألف دينار لتأسيس كلية فى بغداد. وأوقف عليها خمسة عشر ألف دينار سنويًا. وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف، لا فرق بين غنى وفقير، فكان فيها ابن السيد العظيم، وابن الصانع الفقير على السواء، وكانوا يكفون التلاميذ الفقراء مؤنة دفع أجر التعليم، ويعطون الأساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة تنسخ وتجمع سدًا لحجة أهل العلم، وشهوة الأغنياء فى جمع الكتب[2].

---

[1] ماهر عبد القادر : الثورة العقلانية ومنهجية العلم العربى، سلسلة مقالات منشورة بجريدة الأهرام، والاقتباس من عدد 1996/10/11 .

[2] محمد فريد وجدى . الإسلام فى عصر العلم، دار الكتاب العربى، بيروت 1967، ص451- 452.

واتحدث فيما يلي عن سمات أحد أنواع مجالس التعليم في هذا العصر. وهي مجالس التعليم الطبي. تلك التي تخص موضوع هذا الكتاب وذلك لتكون بمثابة مقدمه طبيعية انتقل منها إلى الحديث عن مجلس الرازى التعليمى، لأنتهى من ذلك إلى محاولة استخلاص أهم مميزات هذا المجلس. لأن فى ذلك أثره الهام فى فهم منهج الرازى العام .

لقد شهدت البيمارستانات أكبر مجالس التعليم الطبى فى عصر الرازى. فلم تكن المستشفيات مقتصرة على علاج المرضى فحسب. بل كان يدرس فيها الطب أيضا وفى حدائقها كانت تُزرع الأعشاب الطبية. وكانت مكتاباتها تزدحم بمئات المجلدات، كما كان الأطباء البارزون يقومون بإلقاء محاضراتهم الطبية فى أروقتها[1]. ويعتبر الرازى من أكثر الأساتذة الذين اهتموا بتطبيق هذا النوع من التعليم، وكان ذلك فى بيمارستان "الرى" والبيمارستان العضدى، وبيمارستان بغداد. وبعد قليل سيأتى الوقوف بشىء من التفصيل والتحليل على حلقات الرازى البيمارستانية التعليمية .

ولم تقتصر مجالس العلم والتعليم على البيمارستانات، أو حلقات الأساتذة، بل أننا نجد من المعلمين من كان يحترف التعليم الخاص. وقد زودنا ابن أبى أصيبعة بأمثلة لمثل هؤلاء المعلمين منهم: ثابت بن قرة الحرانى (221 – 288هـ)، الذى لم يكن يماثله أحد فى صناعة الطب، ولا فى غيره من جميع أجزاء الفلسفه فى زمانه[2]. ويذكر ابن أبى أصيبعة أن الموفق لما غضب على ابنه أبى العباس المعتضد بالله، حبسه، فكان ثابت يدخل إليه الحبس فى كل يوم ثلاث مرات يُحادثه، ويعلمه أحوال الفلاسفة، وأمر الهندسة

---

[1] كاترين ب. شين. رواد الطب. ترجمة الدكتور م. عيسى. مكتبة النهضة المصرية 1962. ص59 - 60

[2] ابن أبى أصيبعة. عيون الأبناء .. ص295 .

والنجوم والطب وغير ذلك ومما خرج المعتضد من حبسه. وتقلد الخلافة أقطع ثابتا ضياعا جليلة. وكان يجلسه بين يديه كثيرا[1]. والظاهر أن ثابتا بقى عالما خاصا. درس عليه بعض التلاميذ. وقصر نشاطه على العمل العلمى الواسع وعلى الترجمة. فلم تذكر المراجع شيئا عن نشاطه فى التدريس العام

ومن ذلك وغيره أستطيع أن أقول إن العصر قد ساد فيه طريقة التعليم الفردى - إن جاز التعبير - والتى تُشبه تمامًا ما يحدث الآن فى مرحلة الدراسات العليا. حيث يتلقى الطالب العلم عن أستاذه. أو يبحث ويقرأ بإشرافه وتوجيهه. وتستمر هذه العملية التعليمية بين الطالب والأستاذ حتى يتم تخرج الطالب، ويمنح الإجازة. فيقال فلان تتلمذ على فلان من الأساتذة. وفى "عيون الأنباء، كثير من النصوص التى تشير إلى هذا النوع من التعليم مثل: "حبيش الأعسم ابن أخت حنين وتلميذه"[3]. "يوسف الناقل .. وهو تلميذ عيسى بن صهر بخت"[4]. "ابن ربن الطبرى .. وهو معلم الرازى صناعة الطب[5].. إلى غير ذلك.

وفى مجالس العلم كان الأستاذ العالم ينصح طلاَّبه بكثرة قراءة الكتب النظرية المشهورة فى تخصصه. ففى الطب نرى الرازى ينصح بالاستكثار من قراءة كتب الحكماء .. وذلك فى نظره نافع لكل حكيم[6]. ولهذا نراه فى كتابه

---

[1] نفس المرجع . نفس الصفحة .

[2] ماكس مايرهوف، "من الإسكندرية إلى بغداد" بحث صدر فى كتاب : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية : دراسات لكبار المستشرقين. نشره عبد الرحمن بدوى. مكتبة النهضة المصرية 1940، ص72 .

[3] ابن ابى أصيبعة. عيون الأنباء .. ص279 .

[4] نفس المرجع. ص281 .

[5] المرجع السابق، ص414 .

[6] نفس المرجع . ص420 .

"المرشد" يرشد الأطباء الجدد إلى قراءة كتاب أبقراط فى "تقدمة المعرفة" وكثير من كتب جالينوس مثل "أدوار الحميات"، و"الأدوية المفردة" و"أزمان الأمراض"، و"الأسطقسات"، و"البحران"، و"أيام البحران"، و"تدبير الغذاء فى الأمراض الحادة"، و"العلل والأعراض"، و"حيلة البرء"، وكتاب "المزاج"، و"النبض"، و"التنفس"، وغيرها. وفى ذلك يقول الرازى : "والأجود ألا تترك ولا كتابا واحدا. إلا وتطلع عليه وتعلم ما فيه"[1]

وفى مجالس العلم كثيرا ما كان العالم يُؤلف لتلاميذه الذين تخرجوا، وأصبحوا أساتذة يباشرون يباشرون تدريس العلم[2]. وكثير من الكتب كانت تؤلف إهداءً لخليفة، أو أمير. ومن أمثلة ذلك فى الطب، كتاب "المنصورى" الذى ألفه الرازى للأمير منصور بن اسحق وكتاب "برء ساعة" الذى ألفه للوزير أبى القاسم بن عبد الله. ولكن الرازى لم يقتصر على هذا النوع من التأليف، بل نراه يؤلف للفقراء أيضًا، ومثال ذلك كتابه، من لا يحضره الطبيب"، أو "طب الفقراء[3]. كان غرضه فيه إيضاح الأمراض علة علة، وبيان أنه يمكن معالجتها بالأدوية الموجودة فى كل مكان، والتى يسهل الحصول عليها واستعمالها .

وقد اقترنت مجالس التعليم بنشاطات علمية أخرى، مثل الترجمة، والنسخ، والمطالعة، والتأليف. ويمكن أن نجد صورة مزدهرة لهذه الأنشطة فى بيت الحكمة الذى أتمه "المأمون" وتقلد رياسته "حنين بن اسحق" الترجمان المشهور.

---

[1] الرازى. المرشد أو الفصول. تحقيق ألبير زكى إسكندر. مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد السابع. مايو 1961 .

[2] ماهر عبد القادر. دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى. م. س. ص246 .

[3] انظر التعريف بهذا الكتاب فى فصل "مؤلفات الرازى" من هذا الكتاب .

وإذا كنا نستكثر الآن مدة دراسة الطلاب في كليات الطب حاليا (حوالى سبع سنوات)، فإن هذه المُدة لا تُقاس بأى وجه من الوجوه بالمدة التى كان يقضيها الطالب فى التعلم، والتى قد تصل إلى ثلاثين عامًا. فماسويه أبو يوحنا "ظل تلميذًا فى بيمارستان جنديسابور ثلاثين سنة"[1].

## 4 – طريقة الرازى فى الدرس الطبى :

لقد حرص الرازى على تعليم طلابه حرصه على علاج مرضاه، أو أشد[2]. وقد اتبع فى منهجه التعليمى طريقتين، الأولى للتعليم النظرى، والأخرى للعملى. وهذا التقسيم يرجع إلى تعريف الرازى للطب بأنه "حفظ الصحة فى الأجساد الصحيحة، ودفع المرض عن الأجساد السقيمة، وردها إلى صحتها . ويتجزأ إلى جُزأين، هما العلم والعمل"[3].

ويمكن الوقوف على تفاصيل هاتين الطريقتين فيما يلى .

### أ – طريقة التعليم النظرى (الطب النظرى) :

صور لنا القفطى حلقة درس الرازى النظرية قائلاً : كان يجلس فى مجلسه ودونه التلاميذ، ودونهم تلاميذهم، ودونهم تلاميذ آخرون، وكان يجيىء الرجل فيصف ما يجده لأول من يلقاه منهم، فإن كان عنده علم، وإلا تعدّاه إلى غيره، فإن أصابوا، وإلا تكلم الرازى[4].

يتضح من هذا النص أن الرازى قد اتبع طريقة أكاديمية فى تعليم الطلاب فقد خصص لكل طالب مكانًا خاصًا به فى الحلقة، وذلك على حسب التحاقه بها. وكان "التدريس النظرى يتم بأسلوب نقاش علمى يجمع الطلبة

---

[1] ابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء. ص242

[2] محمد كامل حسين. والعقبى. م. س. ص24 .

[3] الرازى. المنصورى. ص29 .

[4] القفطى . أخبار العلماء بأخبار الحكماء. ص179 .

على ثلاث حلقات أقربهم إليه أنضجهم علمًا. وخبرة، ويليه الصنف الثانى ممن هم أقل خبرة. ثم الصنف الأخير الذى يضم المستجدين. فيقرأ عليهم. ويفسر لهم، ويناقشهم، ويصغى إلى حوارهم مجيبا على أسئلتهم . وكلما توسهم نباهة بأحدهم، قدمه إلى حلقة أقرب، وهذه الحلقة يبقى فيها المتعلم مدة ثلاث سنوات. أى أنه يمضى سنة فى كل حلقة[1]. وينتقل من حلقة إلى أخرى بحسب القدر الذى حصله من العلم، والذى يتضح فى تشخيصه لما يعرض عليه من علل المرضى. وهنا ينصح الرازى تلاميذه قائلاً : "ينبغى للطبيب أن لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عن علته من داخل ومن خارج، ثم يقضى بالأقوى"[2]. فإن لم يستطع التلميذ الوقوف على تشخيص سليم. انتقل المريض إلى من هو أكثر منه علمًا وخبرة. وإذا فشل جميع الطلاب فى تشخيص المرض وعلاجه، فإن الكلمة الأخيرة تكون للأستاذ، ويتبع ذلك مناقشة الطلبة فيما حدث بغرض تعليمهم .

وكان الرازى خلال مناقشته للطلاب، ورده على أسئلتهم يتعمق من أجل الوصول إلى الأسباب المرضية التى تُصيب كل عضو من الأعضاء. وبهذا يجعل من أسئلة الطالب خير معين للأستاذ نفسه[3].

ويوجه الرازى انتباه تلاميذه إلى أهمية قراءة كتب السابقين. وكثرة الاطلاع عليها. وبعد أن يجمع الطالب أكبر قدر من الكتب. ويقف على ما فيها، فإن الرازى ينصحه بأن يعمل لنفسه كتابًا يضمنه ما غفلت عنه الكتب التى قرأها. ويكون بمثابة مرجع يسهل الرجوع إليه عند الحاجة. إذ يقول:

---

[1] ماهر عبد القادر. دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى. م. س. ص247.

[2] ابن أبى أصيبعة . عيون الأنباء .. ص 421 .

[3] خالد ناجى. الرازى أستاذ الطب السريرى. بحث ضمن : أبو بكر الرازى وأثره فى الطب. م.س. ص33 .

"إن كنت معنيا بالصنعة وأحببت أن لا يفوتك ولا يشذ عليك شيء ما أمكن، فأكثر جمع كتب الطب جهدك ثم أعمل لنفسك كتابا تذكر فيه كل علة ما قصر الكتاب الآخر وأغفله من كل نوع من العلل، فيكون ذلك كنزا عظيما وخزانة عامرة. حافظا على الذكر ومسهلا لتناول ما تريده منه إن شاء الله"[1].

ومع أن اهتمام الرازى الأول كان منصبا على المشاهدة والتجربة من حيث أنهما المحك الذى يفصل به بين الحق والباطل، إلا أن ذلك لا يعنى إهمال مطالعة الكتب النظرية عنده، بل ويرى أنه "متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل"[2]. وذلك لأنه "مهما عمر الإنسان، فإنه لا يستطيع تحقيق ما شاهد بتعاقب الأزمنة فى مختلف بقاع الدنيا، فلابد له من أن يقوى بصيرته بعلم الآخرين"[3].

ولأهمية هذه المسألة فى العملية التعليمية بصفة عامة، يقول الرازى لتلامذته: "هذه الصناعة لا يمكن الإنسان الواحد إذا لم يحتذ فيها على مثال من تقدمه أن يلحق فيها كثير شيء، ولو أفنى جميع عمره فيها، لأن مقدارها أطول من مقدار عمر الإنسان بكثير، وليست هذه الصناعة فقط، بل جل الصناعات كذلك، وإنما أدرك هذه الصناعة إلى هذه الغاية فى ألوف من السنين، ألوف من الرجال، فإذا أقتدى أثرهم، صار كمن أدركهم فى زمن قصير، وصار كمن عمر تلك السنين"[4].

وينصح الرازى طلاب الطب بعامة بأن يقتصر الواحد منهم على أستاذ واحد. وذلك لأنه يرى أن "من تطبب عند كثير من الأطباء، يوشك أن يقع فى

---

[1] الرازى . المرشد. فصل 377 . ص124 .

[2] ابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء. ص421 .

[3] نفس المرجع. نفس الصفحة .

[4] نقلا عن محمد كامل حسين، والعقبى، م. س. ص42 .

خطأ كل واحد منهم"[1]. وهذه قاعدة هامة في المنهج التعليمي، إذ أن تردد المتعلم على أساتذة مختلفين في تخصص واحد من شأنه أن يجعله مشتتا بينهم، الأمر الذى يؤثر فى تحصيله للعلم، فلكل عالم طريقته، ومنهجه في التعليم.

وكان على الرازى "الأستاذ" أن يشرح ويُفسر ما في "الكتب"، وأن يجعلها أقرب إلى الطلاب وأيسر فهمًا. وكان عليه أن يبين لطلابه كيف يتقنون هذه الصناعة[2].

ولقد أتبع الرازى فى تعليم طلابه ترتيبًا منطقيًا، يصعب أن يخرج عما هو متبع الآن فى التعامل مع المرضى. فعلى الطبيب أن يبدأ أولاً بالتعرف على أعراض المرض. ثم يحاول أن يعرف سببه، وهل هو سبب واحد. أم أسباب منقسمة. ثم يقدم العلاج وفقًا لما استقر عليه من الأسباب. ولابد أن يكون مدركًا لمدى استعداد الأجسام لتقبل العلاج. وعليه أيضًا أن يحترس من أن معالجات علة أخرى بسيطة قد تؤثر فى علاج العلة الرئيسية. وعليه أن يعلم أنه إذا دامت الأسباب المحدثة للعلة، فإنها تنذر بأعراض أخرى أردأ من أعراضها.

ويمكن تفصيل هذه التعاليم من خلال كلام الرازى نفسه، إذ يقول لطلابه:

اطلب فى كل مرض هذه الرؤوس[3]:

### 1- المُسمى (أو) التعريف أولاً:

ومثاله أن تقول : إن ذات الجنب هو اجتماع حُمّى حادة. مع وخز الأضلاع، وضيق فى النفس، وصلابة فى النبض، وسعلة يابسة منذ أول الأمر.

---

[1] ابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء. ص423 .

[2] محمد كامل حسين. والعقبى. ص25 .

[3] الرازى . المرشد . فصل 350 . ص113 . وبعدها .

ثم أنه تظهر فيها صفرة، أو حمرة، أو سوادًا، أو نحو هذه من الفضول المقيمة لنوع ذلك المرض. فإن أصبت، فذلك الرأس الأول المسمى التعريف .

### 2- ثم أطلب العلة والسبب :

ومثال ذلك : أن تعلم أن سبب ذات الجنب ورم حار فى ناحية الغشاء المستبطن للأضلاع .

### 3- ثم أطلب هل ينقسم لسببه، أو نوعه أم لا؟

مثال ذلك : تنقسم ذات الجنب إلى الخالصة، وغير الخالصة. وينقسم سببها إلى موضع الورم، وفى العضل الداخل، والخارج من الأضلاع. وأنه إذا كان الورم فى العضل الخارج من الأضلاع، كانت غير صحيحة . وإذا كانت فى العضل الداخل من الأضلاع، والذى يقرب من الغشاء المستبطن للأضلاع، فهى صحيحة .

### 4- ثم أطلب تَفَضُّل كل قسم من الآخر :

مثال ذلك : أن ضيق النفس، والوخز والسعلة فى الصحيحة أشد، وفى غير الصحيحة نتوء إلى خارج، ولم يكن معه نفث، وإن كان أبطأ .

### 5- ثم العلاج :

ومثال ذلك : أن الصحيحة تحتاج أن تعالج بما يرد رد، وبالفصد. والغير الصحيحة ربما أحتيج من ذلك ان تعالج بالمحاجم والأدوية المقيِّحة .

### 6- ثم الاستعداد :

ومثاله أن تعلم أن الأبدان الحارّة المزاج المدمنة للشراب، ولاسيما الصرف التى تمكث أكثر دهرها فى الهواء البارد. وتشرب من الماء البارد. وهى أشد استعدادًا لذات الجنب .

### 7- ثم الاحتراس :

وهو أن تعلم أنه يُحترس من ذات الجنب بإدامة الفصد والحمام وتدثير الرأس .

### 8- ثم الإنذار :

وهو أن تعلم أنه إذا دامت الأسباب المُحدثة للشوصة، فأحدثت أعراضًا ردية من أعراضها، فإنما تنذر بكون الشوصة، إن لم تتلاحق بما ينبغي .

وربما سقط عنك بعض هذه الرؤوس، لظهوره، كالحال في الصداع، أو لأنها لا تنقسم. فإذا نظرت في كل علة في هذه الرؤوس، وأستوفيت ما فيها، فقد أكملت ما يحتاج إليه منها .

## ب - طريقة التعليم العلمي (الطب العملي) :

رأينا فيما سبق كيف أكد الرازي على أهمية قراءة الكتب في تعلم صناعة الطب. ولكنه يرى أن ذلك ليس بكافٍ لأحكام هذه الصناعة. بل يحتاج الطالب مع ذلك إلى مزاولة المرضى. ويؤكد الرازي على أهمية الجانبين معًا: قراءة الكتب ومزاولة المرضى، إذ بهما تتكامل الصناعة. فمن "قرأ الكتب ثم زاول المرضى يستفيد من قبل التجربة كثيرًا. ومن زوال المرضى من غير أن يقرأ الكتب، يفوته، ويذهب عنه دلائل كثيرة"[1].

وكانت أغلب دروس الرازي العملية تعقد في البيمارستانات. وحول أسرة المرضى. ويشير الرازي إلى أهمية هذه الدروس بالنسبة لطالب الطب قائلا: "ينبغي لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازمًا للبيمارستانات، ومواضع المرضى، كثير المداولة بأمورهم وأحوالهم من الحذّاق من الأطباء، كثير التفقد، ويتخلق ولا يتهاون بها"[2].

---

[1] الرازي. المرشد. فصل 364 . ص119 .

[2] نقلا عن خالد ناجي. م. س. ص35 .

فليس الطب علما يُدرس في الكتب فحسب. بل هو تجارب وخبرة مكتسبة من المرضى. وكان الرازى من أكثر الأطباء تجاربًا وخبرة[1]. بل أعظم وأشهر أصالة من أى طبيب آخر في الإسلام. وقد انعكس ذلك على طريقة تدريسه لتلاميذه حول سرير المريض، شارحًا لهم الحالات المرضية النادرة واحدة بعد الأخرى، وهذا يعنى أن المريض عند الرازى استخدم ككتاب يُقرأ يوميًا وباستمرار للوقوف على الأعراض التى تعتريه[2]. وكان الرازى يشرح لطلابه كل حالة يفحصها ويسجل أسئلته ومشاهداته فى صفحة خاصة مبتدأ باستجواب المريض، والطلاب من حوله، سائلاً عن اسمه، وعمره، وبلده، ورحلاته، وعما ألم به، واليوم الذى شعر فيه بالمرض، وموضع الألم. والأعراض التى رافقته بالترتيب والتسلسل الزمنى لها، مؤكدًا على أن المريض خير رواية لشرح أبعاد المرض الذى يعانيه شخصيًا، كما كان يسأل المريض عن عائلته وأفرادها، وهل أنهم شعروا بنفس الأدوار التى يكابدها هو[3]. ويقول الرازى فى ذلك: "من أبلغ الأشياء فيما يحتاج إليه فى علاج الأمراض بعد المعرفة الكاملة بالصناعة، حسن مساءلة العليل"[4]. ففى كثير من الأحيان لا يستطيع العليل أن يعبر عما يشعر به من مرض، وهنا نرى الرازى يُعلّم طلابه. وينصحهم بملازمة العليل، لأنه "ليس كل عليل يحسن أن يعبر عن نفسه. وربما كان بالعلة من الغموض ما لا يتهيأ للعليل، ولو كان عاقلاً. أن يُحسن العبارة"[5].

---

[1] عادل البكرى. دراسة لبعض الحالات السريرية التى ذكرها الرازى. بحث ضمن كتاب : أبو بكر الرازى وأثره فى الطب. م. س. ص63 .

[2] ماهر عبد القادر. دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى. م. س. ص248 .

[3] نفس المرجع . نفس الصفحة .

[4] الرازى. المرشد. فصل 368. ص121 .

[5] المرشد. نفس الفصل. نفس الصفحة . ويحكى الرازى لتلاميذه مثالاً على أهمية ملازمة العليل فى حالة عدم التعبير الصحيح عن المرض قائلاً : وأنا حاك لك من ذلك مثالاً شاهدته : =

وهذه الطريقة لا تخرج عما هو مُتبع الآن فى المستشفيات، حيث يوجد غرف خاصة يوضع فيها المريض - الذى لم يقف الأطباء على تشخيص سليم لما يعتريه من مرض - "تحت الملاحظة".

وكان الرازى يُعلم طلابه متابعة دورات الأمراض، ودراسة استجاباتها للمعالجات المختلفة الأنواع، وتثبت نتائج تجاربه السريرية بالضوابط[1]. كما أدرك الرازى أهمية عامل الوقت فى التدريب العملى على صناعة الطب. ويرى أن المُتدرب كلما ابتدأ صغيرًا، كان أفضل. يقول: "إن الأطباء يحرزون مهارة عظيمة إذا قُرنوا منذ الحداثة بدراسة الطب ومعالجة عدد وافر من شر الحوادث المرضية، واختبروا فى أشخاصهم كل أنواع المرض"[2].

وقد حرص الرازى على غرس القيم الأخلاقية فى نفوس طلابه، فكان يوصيهم بأن يكون هدفهم هو[3]. إبراء مرضاهم أكثر من نيل أجورهم منهم، وأن يعالجوا الفقراء بمثل الاهتمام والعناية التى يعالجون بها الأمراء والأغنياء، وأن

---

= كان لى صديق من أهل النظر ينشد أشياء من علم الطب أيضًا، شكا إلىّ خلفة دائمة. فوصفت له أشياء ذكر أنه قد استعملها قبل وصفى، وأشياء بعد وصفى لم تقع بحيث أريد منها. ولما طال به ذلك مدة، طلب استيضافى وأقبلنا نلتقى دائمًا للبحث والنظر. وطال مقامه عندى. فرأيت أنه يقوم إلى الخلاء قيامًا متواترًا بعقب النوم، ثم تحتبس الطبيعة وقتًا طويلاً. فسألته: هل تلك حالة قيامه بعد نومه فى الليل؟ فقال: كذلك هو : فحدست أن شيئًا حادًا كان ينزل من رأسه إلى معدته، فيهيجها على دفع ما فيها. وذلك أنه ما دام جالسًا يقظانًا، تبرز دائمًا. فقدرت أن ذلك الخلط كان ينزل فى حالة النوم إلى معدته، فأشرت عليه بحلق الرأس، ودلكه بدواء الخردل. فانقطع عنه ذلك الإسهال المزمن الطويل. ولولا طول الالتقاء والمجالسة، لم يمكن أن يلحق من أمره هذا شيىء بتة (المرشد، فصل 368، ص121 – 122).

[1] كمال السامرائى، التعريف بأبى بكر الرازى، بحث ضمن كتاب : أبو بكر الرازى وأثره فى الطب، م.س، ص15 .

[2] نقلا عن خالد ناجى، م.س، ص29 .

[3] كمال السامرائى، المرجع السابق، ص16 .

يوهموا المرضى بالشفاء حتى لو كان هم أنفسهم لا يعتقدون بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس

ولم يغفل الرازى أثر العامل النفسى فى التعليم. فكان يُشجع تلاميذه. ويحفز هممهم بأنه ليس من المستحيل أن يصير الواحد منهم أعظم العظماء فى الطب، فيقول لهم: "ليس يمنع من عنى فى أى زمان كان أن يصير أفضل من بقراط"[1].

أما عن امتحان الطلبة المتخرجين على الرازى. فكان يسألهم أولا فى تشريح الجسم. فإذا فشلوا فى الإجابة فيه. فلا يسألهم فى الطب السريرى، لأن فشلهم فى هذا الموضوع لا يشفع لهم فى النجاح حتى لو نجحوا فى العلوم السريرية[2].

## 5- الطب بين النظرية والتطبيق :

يتضح مما سبق أن الرازى قد حرص على تعليم تلامذته أهمية الجمع بين المطالعة النظرية للمبادئ والنظريات الطبية المدونة فى الكتب. وبين الممارسات العملية التى تُكتسب من مزاولة المرضى. فينبغى على الضبيب أن لايُقصر فى أحدهما إذا ما أراد أن يكون ناجحا فى الفن الطبى .

وهذه نتيجة منطقية تُستخلص مما قدمته عن طريقة الرازى فى التعليم الطبى. وهذه النتيجة تطرح بدورها سؤالاً جديدًا. ألا وهو : ما هى أهم سمات العمل العلمى عند الرازى؟ وللإجابة على هذا التساؤل. أقدم السطور التالية

## رابعًا : أهم سمات العمل العلمى عند الرازى :

كان والد الرازى يعمل بالتجارة، وقد أراده تاجرًا مثله. ولكن أبا بكر رأى فى نفسه أنه أعظم من أن يكون تاجرًا. فانكب على تحصيل العلم وآثره

---

[1] محمد كمال حسين. والعقبى. م.س. ص24 .

[2] ماهر عبد القادر. المرجع السابق. ص248 .

على غيره مع ممارسة مهنة الصراف[1]. أثناء تتلمذه في بغداد. ثم تركها هي الأخرى، وتفرغ لطلب العلم مندفعًا بكل قواه، وفي تصميم غريب على دراسة الطب. وقد "درس الطب في العقد الرابع من عمره، وكان معلمه على بن ربن الطبرى صاحب فردوس الحكمة .

وكان الرازى محبًا للعلم إلى أبعد الحدود. وشغوفًا بالمعرفة حتى وإن لحقه الضرر من جراء هذا الأمر، فيقول في ذلك: "وأما محبتى للعلم وحرصى عليه واجتهادى فيه، فمعلوم عند من صحبنى وشاهد ذلك من أنى لم أزل منذ حداثتى، وإلى وقتى هذا مكبًا عليه، حتى إنى متى اتفق لى كتاب لم أقرأه، أو رجل لم ألقه، لم ألتفت إلى شغل بته، ولو كان في ذلك علىّ عظيم ضرر. دون أن آتى على الكتاب وأعرف ما عند الرجل"[2]. وقال رجل من أهل الرى: "ولم يكن يفارق المدارج والنسخ. ما دخلت عليه قط، إلا رأيته ينسخ إما يسود، أو يبيض"[3].

ولقد كان سلوك الرازى في تحصيل العلم هو سلوك الباحث المتواضع للحقيقة، لا سلوك المترفع عن الدرس، وذلك على خلاف بعض العلماء والفلاسفة، ومنهم الشيخ الرئيس، فالقارئ لكتاب القانون "يشعر أن ابن سينا يتسامى على الناس ويترفع عن المشاهدات، وكأنه يُملى على الطبيعة ما يجب عليها أن تفعله إذا أرادت أن تكون جديرة بالعقل الإنسانى"[4].

---

[1] يذكر ابن أبى أصيبعة في "عيونه" ص420 أنه وجد نسخة من كتاب الرازى "المنصورى" وأخبره من هى عنده أنها خطت بخط الرازى نفسه مكتوب عليها "كناش المنصورى" تأليف محمد بن زكريا الرازى الصيرفي.

[2] الرازى. رسائل فلسفية. تحقيق لجنة إحياء التراث العربى. دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط الخامسة 1982. ص110 .

[3] ابن أبى أصيبعة . عيون الأنباء . ص416 .

[4] محمد كامل حسين والعقبى. م.س. ص19 .

وقد درج الرازى على ذكر ما أطلع عليه من كتب القدماء حتى ولو كان الرأى الذى ينقله غير جيد وتعليله لذلك أن بعض المعارف التى نظن أنها غير صحيحة عند أصحابها والعالمين بها، ربما كانت مفيدة عند أقوام آخرين فى أزمنة وأمكنة أخرى. وهو لم يجهل أقدار المؤلفين، ولم يترك رأى من خالفه، فقد جاء فى كتاب "الخواص": "لا ينبغى لنا أن ندع شيئًا نؤمل فيه نفعًا من أجل أن قومًا جهلوا وتعدوا، وقد كان الواجب عليهم لو كانوا أهل رأى وتثبت وتوقف أن لا يبادروا إلى إنكار ما ليس عندهم على بطلانه برهان"[1].

من كل ما سبق أستطيع أن أستنبط مزايا طريقة الرازى فى الدرس الطبى، وما أحدثه فى مجال المعرفة الطبية، والتعليم الطبى، وذلك فيما يلى[2]:

1- اتبع الرازى طريقة أكاديمية فى التعليم، يدل على ذلك تقسيمه لطلابه إلى مجموعات متمايزة بحسب تاريخ الالتحاق بالحلقة وما حصله الطالب من الدرس الطبى منذ التحاقه. وهذا يكاد يقترب مما هو معمول به الآن فى مراحل التعليم المختلفة، مع الوضع فى الاعتبار للفارق فى الوسائل التعليمية التى كانت متاحة فى زمن الرازى، وما هو متوفر منها الآن.

2- أدرك الرازى أن لكل مُتعلم مقدرة عقلية ينبغى مراعاتها فيما يلقى إليه من مقدار العلم، فضلاً عن نوعه.

3- تدرَّج الرازى بالمتعلم من الأسهل إلى الأقل سهولة، فكان يُعطيه أولا أصول العلم، حتى يتهيأ عقله، بعد ذلك لقبول جوامعه.

---

[1] الرازى. خواص الأشياء. مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 264 طب تيمور. 141 طب عام. ورقة 2 ظهر.

[2] خالد حربى. بنيَة الجماعات العلمية العربية الإسلامية. م. س. ص426.

4- حثّ المُتعلمّين على أهمية قراءة كتب السابقين المتخصصّة باعتبارها منطلقات ابستمولوجية (معرفية) ينطلقون منها إلى معرفة جديدة على اعتبار أن العُمر لا يكفى لمشاهدة كل الوقعات المرضية .

5- فضل الرازى أن يقتصر التلميذ فى التعلم على أستاذ واحد، وذلك لتجنب الوقوع فى خطأ كل واحد منهم .

6- اتخذ الرازى من المُتعلم مدرسًا له، وذلك من خلال مناقشاته السريرية وأسئلة المتعلمين، واستفساراتهم عن أمور قد لا يكون الرازى قد وقف عليها، فيعود إلى الإطلاع والمشاهدة والتجربة، وهذه الطريقة تشبه إلى حد ما عمل الأطباء - الأساتذة - وخاصة فى مرحلة الدراسات العليا .

7- بث القيم الأخلاقية فى نفوس التلاميذ، بحثهم على أن يكون هدفهم معالجة المريض بصرف النظر عن أخذ الأجر. ومعالجة الفقراء بنفس الاهتمام الذى يعالجون به الأغنياء .

8- الاهتمام بأثر العامل النفسى فى العملية التعليمية .

9- أكد الرازى على أهمية الدروس العملية فى تعلم الطب، وقد تمثل هذا فى تعليم طلابه كيفية مزاولة المرضى، وفى شرحه لهم حول أسرة المرضى فى البيمارستانات. وتعد حالات الرازى السريرية من الإسهامات الأصيلة فى مجال المعرفة الطبية. وقد أعتبر بها رائدًا لعلم السريريات الحديث. وفى هذا تكمن أهمية الرازى الأساسية. بالإضافة إلى اكتشافاته الطبية والعلاجية الأصلية. والتى أشرت إلى بعضها فى بداية هذا الفصل. وإلى البعض الآخر فى فصول الكتاب الأخرى .

# الفصل الثانى

## إنجازات الرازى فى التأليف الطبى



يقول أحد معاصرى الرازى "ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ. إما يسودّ أو يبيّض"[1]

وهذا النص يوضح إلى أى مدى كان شغف الرازى بالعلم وخطواته من جمع. وتحصيل وتأليف. ويؤكد الرازى نفسه على أهمية هذا الجانب قائلاً: "إن كنت معنيا بالصناعة وأحببت أن لا يفوتك ولا يشذ عليك شيء ما أمكن. فأكثر من جمع كتب الطب جهدك. ثم أعمل لنفسك كتابًا تذكر فيه كل علّة ما قصرُ الكتاب الآخر وأغفله فى كل نوع من العلل وحفظ الصحة .. فيكون ذلك كنزًا عظيمًا وخزانة عامرة، حافظًا على الذكر ومسهلاً لتناول ما تريده إن شاء الله"[2].

إن أعظم ما يخلد اسم المفكر هو الكتاب. وقد أدرك الرازى هذا جيدًا. فخرج علينا بمؤلفات عديدة ذات أسلوب رصين يجمع بين الإيجاز والعمق فى دقة. وتحليل، واستقصاء[3]. فلقد شاع فى القرون الوسطى لونان من التأليف: الكتب المطولة، والرسائل المختصرة. وقد جمع الرازى بين اللونين. فيقول عن كتابه الحاوى: "كتابنا الموسوم بالجامع الذى لم يسبقنى إليه أحد من أهل المملكة. ولا أحتذى فيه أحد بعد احتذائى وحذوى"[4]. وفى موضع آخر يقول: "وبقيت فى عمل الجامع الكبير خمس عشرة سنة أعمله الليل حتى ضعُف بصرى. وحدث علىّ فسخ فى عضل يدى"[5].

---

[1] ابن ابى أصيبعة. عيون الأنباء. ص418

[2] الرازى. المرشد أو الفصول. فصل 377. ص124 .

[3] عبد اللطيف محمد العبد. فلسفة أبى بكر محمد بن زكريا الرازى. رسالة دكتوراة. كلية دار العلوم. القاهرة 1975. ص28 .

[4] الرازى. رسائل فلسفية. كتاب السيرة الفلسفية. ص106

[5] نفس المصدر. ص110 .

وهذا يدل على أن الرازى قد اتبع فى "الحاوى" منهج الاستقصاء الذى جمع بمقتضاه: طب الإغريق إلى طب غيرهم. إلى طب العرب، إلى طبه هو. وما رأى فى طب غيره .

وفى مقابل ذلك نجد أن أسلوبه فى رسالته "بُرء ساعة" هو الإيجاز فيقول : "إن من شأنى فى تأليف الكتب أن أذكر العلل من القرن إلى القدم، وليس كل العلل تبرأ فى ساعة واحدة، ولأجل ذلك ذكرت أعضاء وتركت أعضاء كثيرة[1] .. وسميته بُبرء ساعة وهو مثال كتاب السر فى الصناعة"[2].

والرازى لا يميل إلى التعقيد فى التأليف، بل كثيرًا ما راعى أن يكون تأليفه سهلاً واضحًا حتى ينتفع به العامة فضلاً عن الخصة. ولذا كان لمؤلفاته أثرها الكبير فى الحضارة، مما دفع الكثيرين إلى الاهتمام بترجمتها من العربية إلى غيرها من لغات عديدة[3].

ويُعتبر الرازى فى نظر المؤرخين واحدًا من أعظم الأطباء فى جميع العصور. وذلك إنما يرجع إلى غزارة إنتاجه. فقد صنف فى الطب وغيره كتبًا متعددة ونافعة، وعد من كبار العلماء الذين كتبوا بالعربية[4]. وتُعتبر مؤلفاته الطبية من أعظم ما كُتب فى العربية، ولاسيما كتابه "الحاوى". يقول كامبل[5]: "كان الرازى أعظم الكتّاب فى الطب العربى من حيث الأصالة، وقد سار على منوال أبقراط وجالينوس فى طريقتهما وتفكيرهما، وكان يُلقب بين معاصريه من الأطباء بالخبير المجرَّب. الرازى وكان الطبيب السريرى العظيم ومن المبتكرين

---

[1] الرازى. بُرء ساعة نسخة دار الكتب الخطية رقم 191 طب تيمور. ورقة 1 وجه .

[2] الرازى . برء ساعة نسخة المكتبة المركزية العامة بجامعة الإسكندرية رقم 108 ماكس مايرهوف. ورقة 1 وجه .

[3] عبد اللطيف العبد. المرجع السابق. ص32 .

[4] نفس المرجع . ص31 .

[5] داود سليمان على.م. س. ص85 .

فى طريقة شرح الوقعات المرضية وتدبير المرضى وتُنسب إليه المؤلفات التى بلغت حوالى 232 مؤلفاً".

فقد كان الرازى موسوعيًا فى كتاباته، وكانت هذه هى السمة الغالبة عند مؤلفى القرون الوسطى العظماء. فلقد بينت القائمة التى أعدها "البيرونى"[1]. فى كتبه أنه ألف ستًا وخمسين كتابًا ومقالة فى الطب، وثلاثًا وثلاثين فى العلوم الطبيعية، وسبع مقالات فى المنطق، وعشرة فى الرياضيات. وسبع عشرة فى الفلسفة، وسبعة فى ما بعد الطبيعة، وثلاثة وعشرين فى الكيمياء، وأربع عشرة فى اللاهوت، وأحد عشر مؤلفًا فى مواد شتى .

وقد اختلفت المصادر التاريخية التى بين أيدينا فى عدد الكتب التى ألفها الرازى، مما أدى إلى اختلاف الباحثين أيضًا فى عدد هذه المؤلفات. فالبيرونى[2]. قد أحصى له فى رسالته[3] 184 مؤلفًا وعدد له ابن النديم 167 كتابًا ورسالة[4]، وسرد ابن أبى أصيبعة فهرست كتبه، فبلغ 236[5]. وعدد له

---

[1] Ranking, G.S.A., The life & works of Rhazes, London 1914, P. 10-11.

وقارن : The Cambridge History .. (Review) P : 770 .

[2] هو العالم العربى أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى. الملقب ببرهان الحق. والأستاذ عاش فى الفترة من سنة 362 هـ - 973 م حتى سنة 443 هـ - 1051 م. وعرف بإسهاماته العلمية المتميزة. ولاسيما مجالى : الفلك والرياضيات .

[3] الرسالة بعنوان "فى فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى. وقد كتب عنها المستشرق "روسكا" فى مجلة إيزيس سنة 1923. ونشرها المستشرق "بول كرواس" فى باريس سنة 1936.

[4] ابن النديم. الفهرست ص416 - 419 .

[5] عيون الأنبباء ص421 - 427 .

طاش كبرى زاده 116 مصنفا[1]. ورقال "لانكه دوفرنوا" أن كتبه الطبية 226 مجلدًا، فضلاً عن بقية إنتاجه فى سائر العلوم[2]

وقد فصل الدكتور محمود النجم أبادى الطبيب[3]. آثار الرازى فى كتاب "مؤلفات الرازى ومصنفاته" وأحصاها، فبلغت (272)، ثم عددها فى ثلاثة جداول، ورتبها فى الجدول الأخير على الحروف والموضوعات وهى: الطب، والطبيعيات، والمنطق، والحكمة، وما بعد الطبيعة، والإلهيات، والرياضيات، والنجوم، والكيمياء، بالإضافة إلى بعض الموضوعات الأخرى المتفرقة

ويقرر الرازى نفسه أنه ألف قُرابة مائتى كتاب ومقالة حتى وقت تأليفه لكتاب "السيرة الفلسفية" الذى يقول فيه ردًا على الطاعنين الذين أنكروا عليه لقب "الفيلسوف" : ".. أما فى باب العلم فمن قِبل أنّا لو لم تكن عندنا منه إلا القوة على تأليف مثل هذا الكتاب، لكان ذلك مانعًا عن أن يُمحى عنا اسم الفلسفة، ففضلاً عن مثل كتابنا فى "البرهان" و"فى العلم الإلهى" و"فى الطب الروحانى". وكتابنا "فى المدخل إلى العلم الطبيعى" الموسوم "بسمع الكيان". ومقالتنا فى "الزمان والمكان والمدة والدهر والخلاء" و"فى شكل العالم" و"سبب قيام الأرض فى وسط الفلك" و"سبب تحرك الفلك على استدارة". ومقالتنا "فى التركيب"، و"إن للجسم حركة من ذاته، وإن الحركة معلومة". وكتبنا فى النفس، وكتبنا فى الهيولى، وكتبنا فى الطب، كالكتاب "المنصورى" وكتابنا "إلى من لا يحضره طبيب" وكتبنا فى الأدوية الموجودة. والموسوم

---

[1] حسين على محفوظ تراث الرازى : إحصاء وتلخيص وتحليل. بحث ضمن : أبو بكر الرازى وأثره فى الطب . م س. ص167 .

[2] نفس المرجع. نفس الصفحة .

[3] نفس المرجع. نفس الصفحة .

"بالطب الملوكى"، والكتاب الموسوم "بالجامع" الذى لم يسبقنى إليه أحد من أهل المملكة ولا احتذى فيه أحد بعد احتذائى وحذوى، وكتبنا فى صناعة الحكمة التى هى عند العامة الكيمياء. وبالجملة فقرابة مائتى كتاب ومقالة ورسالة خرجت عنى إلى وقت عملى هذه المقالة فى فنون الفلسفة من العلم الطبيعى والإلهى .

فأما الرياضيات، فإنى مُقر بأنى إنما لاحظتها ملاحظة بقدر ما لم يكن لى منها بُد، ولم أفن زمانى فى التمهر بها بالقصد منى ذلك، لا للعجز عنه، ومن شاء أوضحت له عذرى فى ذلك بأن الصواب فى ذلك ما عملته، لا من يعمله المفنون لأعمارهم فى الاشتغال بفصول الهندسة من الموسومين بالفلسفة. فإن لم يكن مبلغى من العلم المبلغ الذى استحق أن أسمَّى فيلسوفًا، فمن هوليت شعرى ذلك فى دهرنا هذا"[1].

ويمضى الرازى فى نفس الكتاب "السيرة الفلسفية" فى بيان مدى حُبه للعلم وانكبابه على تحصيله، فيقول "فأما محبتى للعلم وحرصى عليه واجتهادى فيه فمعلوم عند من صحبنى وشاهد ذلك منى أنى لم أزل منذ حداثتى وإلى وقتى هذا مكبًا عليه حتى أنه متى اتفق لى كتاب لم أقرأه، أو رجل لم ألقه، لم التفت إلى شُغل بته – ولو كان فى ذلك علىّ عظيم ضرر – دون أن أتى على الكتاب وأعرف ما عند الرجل. وأنه بلغ من صبرى واجتهادى أنّى كتبت بمثل خط التعاويذ فى عام واحد أكثر من عشرين ألف ورقة"[2].

---

[1] الرازى : السيرة الفلسفية. ضمن رسائل فلسفية. ص108 ـ 109 .

[2] الرازى. المصدر السابق. ص110 .

وقد بلغ مبلغ اجتهاد الرازى حدًا، سبب له ضعفًا فى بصره وفسخًا فى عضل يده، مما أدى به إلى الاستعانة بمن يقرأ ويكتب له[1].

وإذا رجعنا إلى البيرونى من حيث أنه أول من كتب عن مؤلفات الرازى، لوجدنا أن ما أحصاه أقل من المائتين 200 التى ذكرها الرازى نفسه حتى وقت تأليفه لكتابه "السيرة الفلسفية"، ناهيك عما ألفه بعد هذا الكتاب والبيرونى قد أتى بعد الرازى بحوالى نصف قرن فقط. فلماذا لم يسجل البيرونى بقية مصنفات الرجل؟

إنى أرجح أن بقية هذه المؤلفات قد تعرضت للضياع والفقد بسبب اتهام الرازى بالزندقة. وذلك لقوله بالقدماء الخمسة[2]. فكثيرًا ما يقع المؤلف ضحية لآرائه وما أكثر القصص التى رويت عن محاربة العلماء وإهانتهم بوسائل شتى. أشهرها مصادرة مؤلفاتهم أو إحراقها. هذا بالإضافة إلى أثر الانقلابات السياسية التى عايشها الرازى، فقد ثبت أثرها فى ضياع معظم ما ضاع من مؤلفاته[3].

ومع هذا فقد نال ما بقى من مؤلفات الرازى شهرة عظيمة لدرجة أن بعض المؤلفين قد اقتدى بها فى العنوان نفسه مثل كتاب "من لا يحضره الفقيه" لابن بابويه القيم ت381هـ، فقد جالس العلوى محمد بن الحسن، فذاكره

[1] نفس المصدر، نفس الصفحة .

[2] القدماء الخمسة : الله – النفس – الهيولى الأولى – المكان المطلق – الزمان المطلق . يقول الرازى : وأما الحرنانيون فقد أثبتوا خمسة من القدماء : اثنان حيّان فاعلان وهما البارى والنفس. وعنوا بالنفس ما يكون مبدأ للحياة وهى الأرواح البشرية والسماوية. وواحد منفعل غير حى. وهو الهيولى . واثنان لا حيّان ولا فاعلان. ولا منفعلان. وهما الدهر والفضاء. (الرازى. رسائل فلسفية. ص213) وانظر أيضًا : المناظرات بين أبى حاتم الرازى. وأبى بكر الرازى. ضمن رسائل فلسفية من ص291 – 316 .

[3] محمد خلف الله : دراسات فى المكتبة العربية ص111. عن عبد اللطيف العبد م.س. ص42 .

الاخير كتاب الرازى : "من لا يحضره طبيب"، وأنه شافٍ فى معناه، وسأله أن يكتب مثله فى الأحكام الشرعية. كما قام عدد من المستشرقين بدراسة وتحقيق بعض مؤلفات الرازى وترجمتها، حيث فتحت لأهل أوروبا طريقا جديدًا إلى الحضارة، ومنهم : "شيدر، وبنييس، وماكس مايرهوف، وبول كرواس، وغيرهم كثير. وقد أشاد هؤلاء بالأمانة العلمية التى انطوت عليها مؤلفات الرازى[1].

وقد حاولت القيام بحصر لمؤلفات الرازى الموجودة (المطبوعة والمخطوطة)، والمفقودة، فوجدت ما يلى:

لقد طُبع من مؤلفات الرازى حتى الآن عشر مؤلفات فى الطب[2] ومؤلف واحد فى الفلسفة[3]. واثنان فى الكيمياء[4].

وبقى له من المؤلفات المخطوطة ستة وثلاثون كتابًا[5].

---

[1] عبد اللطيف العبد، م. س، ص39 – 40 .

[2] وهى : الحاوى – المنصورى – منافع الأغذية ودفع مضارها – القولنج – المرشد أو الفصول – مقالة فى : الحصى فى الكلى والمثانة – كتاب الجدرى والحصبة – الفاخر فى الطب – من لا يحضره طبيب – برء ساعة. (أنظر كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربى. ترجمة لفيف من الدكاترة. بإشراف د. محمود فهمى حجازى. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993، جـ9 . ص683 وبعدها. وأنظر أيضًا ثبت المراجع فى نهاية الكتاب ).

[3] هو كتاب رسائل فلسفية. (أنظر التعليق عليه فى الصفحات القادمة).

[4] هما : كتاب الأسرار، وكتاب سر الأسرار (أنظر الفصل القادم منهج البحث العلمى عند الرازى تحت عنوان : التجربة الكيميائية).

[5] ومن هذه المؤلفات – على ما يذكر بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى 689/4 وبعدها :

أ- كتاب الباه ومنافعه ومضاره ومداواته : مخطوط ليدن 1308 . ونانيانا 107 .

ب- كتاب فى إبدال الأدوية : نانيانا 237/2. أيا صوفيا 3725.

جـ- سر صناعة الطب : الاسكوريال ثان 833 : 3 (الغزيرى Casiri 828 : 4). مدريد أول 60. ترجمة فارسية: الجمعية الآسيوية فى البنغال 2/ 649. ولم يذكر بروكلمان نسخة المكتبة المركزية بجامعة الإسكندرية رقم 98 ماكس مايرهوف .

أما عن مؤلفات الرازى المفقودة، فقد بلغت اثنان وستون كتابًا فى الطب[1]، وسبعة وأربعون الفلسفة[2]. وثمانية فى الكيمياء[3]. وثمانية فى الفلك[4] وخمسة فى المنطق[5]. وثلاثة فى الحيوان[6]، واثنان فى الرياضيات[7]،

---

[1] منها : أ - الأبنة وعلاجها ، ب- أثقال الأدوية المركبة. جـ- اختصار كتاب النبض الكبير لجالينوس. د - الأسباب الميلة لقلوب الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخسائهم. هـ - استدراك ما بقى من كتب جالينوس مما لم يذكره حنين ولا جالينوس فى فهرسته. و - استفراغ المحمومين قبل النضج. ى - أطعمة المرضى. يا - الأنثيان. يب - أوجاع المفاصل. يج - البرهان. يد - تبريد الماء على الثلج (أنظر. ابن النديم. الفهرست 416 - 419. القفطى. أخبار العلماء .. 181. إسماعيل باشا. هدية العارفين. أسماء المؤلفين . وآثار المصنفين من كشف الظنون. دار الكتب العلمية بيروت 1992. ص2716).

[2] منها : أ - الإشفاق على أهل التحصيل من المتكلمين والمتفلسفين. ب- الآراء الطبيعية. جـ -الانتقاد على أهل الاعتزال. د - تفسير كتاب فلوطرخس فى تفسير كتاب طيماوس. هـ-جواهر لا أجسام. و - الشكوك التى على برقلس (أنظر هذه المؤلفات فى نفس المراجع المذكورة فى الهامش السابق) .

[3] وهى : أ- التبويب. ب- الحجر الأصفر. جـ - الخاصة. د - خواص التلاميذ. هـ- الرد على الكندى فى رده على الصناعة. و- رسائل الملوك. ى - صناعة الكيمياء إلى الوجوب أقرب منها إلى الامتناع . يا - الصنعة (أنظر ابن النديم. الفهرست 417 - 504. إسماعيل باشا. هدية العارفين 28/6) .

[4] وهى : أ- استدارة الكواكب. ب-سبب تحرك الفلك فى استدارة. جـ-سبب قيام الأرض وسط الفلك. د-كتاب هيئة العالم. هـ- غروب الشمس والكواكب ليس من أجل حركة الأرض. بل من أجل حركة الفلك. و- فسخ ظن من توهم أن الكواكب ليست فى نهاية الاستدارة. ى- لا يتصور من لا رياضة له بالبرهان أن الأرض كروية. وأن الناس حولها. يا - مقدار ما يمكن أن يستدرك فى أحكام النجوم على رأى الفلاسفة الطبيعيين. ومن لم يقل منهم أن الكواكب أحياء . (أنظر ابن النديم. الفهرست 418 - 420. القفطى. أخبار العلماء 179).

[5] وهى : أ - جمل معانى أنالوطيقا الأولى إلى تمام القياسات الحملية. ب- جمل معانى قاطيغورياس. جـ- قصيدة فى المنطقيات. د- كتاب المدخل إلى المنطق وهو إيساغوجى. هـ المنطق (الفهرست 420. أخبار العلماء 179) .

[6] وهى أ : إيضاح العلة التى بها تدفع الهوام. ب- سبب قتل ريم السموم أكثر الحيوان. ج-العلة التى فى خلق السباع والهوام (الفهرست 416 - 418. هدية العارفين 2716).

[7] وهى : أ - الرد على من استقل بفصول الهندسة. ب- قطر المربع . (الفهرست 416 - 419. الاخبار 179) .

واثنان فى الطبيعة[1]، وواحد فى الجيولوجيا[2]. وواحد فى التاريخ[3]. وكل ذلك تبعًا للمصادر القديمة التى سجلت هذه المؤلفات، ولاسيما فهرست ابن النديم .

ويمكن الحديث عن أهم مؤلفات الرازى فى الفقرات التالية :

---

[1] وهما : أ – سمع الكيان فى العلم الطبيعى. ب– علة جذب حجر المغناطيس (الفهرست 416 – 419. أخبار العلماء 179) .

[2] وهو : البحث عن الأرض الطبيعية أهى الطين أم الحجر . (الفهرست 420).

[3] وهو : سيرة الخلفاء. (حاجى خليفة، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون. دار الكتب العلمية. بيروت 1992. جـ2. ص1015).

# 1 - الحاوى Continenes

يعتبر كتاب "الحاوى" للرازى من أهم المؤلفات فى الطب العربى، وأضخمها حجمًا، فهو موسوعة طبية لكافة المعلومات والعلوم الطبية المعروفة حتى وفاة الرازى فى بداية القرن العاشر الميلادى .

وقد جمع الرازى فى هذا الكتاب كل الخبرة الإكلينيكية التى عرفها في مرضاه، وفى نزلاء البيمارستان. ونحن نرى أن هذه مجموعة محاضرات إكلينيكية كان يدرّسها الرازى لطلبته ومساعديه، وليس لنا أن نقيسه بغيره من الكتب المنسقة تنسيقًا منطقيًا. كما أن هذه المحاضرات قد ألقيت على المتقدمين فى دراسة الطب وممارسيه، لا على المبتدئين، ويدلنا على ذلك أنه لم يبدأ كتابه بشرح الكليات أو تفسير مغنى الأخلاط والأمزجة كما فعل فى أول كتاب الفصول مثلاً، وكما فعل كل من سبقوه. وسواء أكان الرازى قد فعل ذلك عن وعى بالفرق بين التعليم النظرى والإكلينيكى أم هداه إلى ذلك تفكيره الطبى المستقيم، فالواقع أن هذا التأليف كان فتحًا جديدًا فى تاريخ تعليم الطب[1]

ويتفق جميع المؤرخين القدماء على أن الرازى تُوفى قبل أن يُخرج هذا الكتاب. ويرجع الفضل فى إخراجه إلى ابن العميد[2] أستاذ الصاحب بن عباد[3] الذى طلبه من أخت الرازى، وبذل لها دنانير كثيرة، حتى أظهرت له مسودات الكتاب. فجمع تلاميذه الأطباء (منهم : يوسف بن يعقوب. وأبو بكر

---

[1] محمد كامل حسين. ومحمد عبد الحليم العقبى. طب الرازى. م.س. ص12 .

[2] هو أبو الفضل محمد الخطيب بن العميد وزير ركن الدولة البويهى (ت 971 م).

[3] هو أبو القاسم إسماعيل الطالقانى وزير بنى بويه الملقب بالصاحب (938 – 995 م).

قارن الرازى) الذين كانوا بالرى، حتى رتبوا الكتاب، وخرج على ما هو عليه من الاضطراب[1].

وهكذا أثمر عمل هؤلاء التلاميذ، إنتاج كتاب ضخم، وأطلقوا عليه اسم كتاب "الحاوى فى الطب"، ولضخامة العمل لم يكن من السهل استنساخ عدد كبير من النسخ. وقد ذكر الطبيب على بن عباس فى كتابه "الملكى" بعد مرور أكثر من نصف قرن على وفاة الرازى: أن الموجود من كتاب الحاوى حسب علمه نسختان فقط[2].

ويُعتبر كتاب الحاوى أضخم كتاب عربى وصل إلينا كاملاً، وهو مازال ضخمًا غنيًا بالمعلومات الطبية، لم يُسبر غوره، ولم يُدرس بدقة وتأصيل لكثرة ما تضمنه من أسماء الأدوية وصيدليّة تركيبها، وأسماء الأطباء من العرب، وغير العرب الذين أخذ من مؤلفاتهم فى هذا الكتاب. ولضخامة الكتاب بهذا الشكل، لم يُقرضه طبيب من الذين أعقبوا الرازى، وكل ما فعله الممارسون من بعده، أن تداولوا صورًا مختصرة منه[3]. ومن هؤلاء:

-على بن داود، صنف "مختصر الحاوى" فى حدود سنة 530 هـ – 1135م[4].

- ابن باجه الأندلسى، توفى عام 537 هـ – 1142 م، وضع كتاب : اختصار الحاوى فى الطب .
- كمال الدين الحمصى من أطباء دمشق، توفى 613 – 1215 م وضع كتاب : اختصار كتاب الحاوى فى الطب [5].

---

[1] ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص420 .

[2] داود سلمان على: التعريف بكتاب الحاوى، الكبير للرازى. م. س، ص87 .

[3] داود سلمان على، م. س، ص77 .

[4] كارل بروكلمان. تاريخ الأدب العربى. ترجمة لفيف من الدكاترة بإشراف د. محمود فهمى حجازى. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993. جـ4 . ص684 .

[5] داود سلمان على. المرجع السابق. نفس الصفحة .

- رشيد الدين أبو سعيد بن يعقوب، من أطباء القدس، تُوفى عام 646 هـ 1284 م ، وضع كتاب : تعليق على كتاب الحاوى فى الطب للرازى .
- أبو الحسن على بن عبدالله القريشى، وضع كتاب : المنتخب من الحاوى فى الطب (مع إضافات نحوية وشعرية) [1].

وهناك عدد من الأطباء العرب ألفوا كتبًا وأطلقوا عليها نفس الاسم "الحاوى" منهم :

- الطبيب على بن سليمان من أطباء القاهرة أيام العزيز بالله الفاطمى، تُوفى 411 هـ - 1021 م ، وسماه : كتاب الحاوى فى الطّب .
- نجم الدين محمود الشيرازى تُوفى عام 730 هـ - 1329 م ، سمّاه كتاب الحاوى فى علم التداوى [2].

وقد اشتهر الحاوى بذكر عدد كبير من الحالات السريرية التى تجاوز عددها المائة حالة .

وبذلك فقد تميز على كتاب "القانون" لابن سينا، وعلى "كامل الصناعة الطبية" لعلى بن العباس، وعلى كتب الرازى الأخرى، كالمنصورى وغيره[3].

فالحاوى موسوعة طبية اشتملت على كل ما وصل إليه الطب إلى وقت الرازى. ففيه أعطى لكل مرض وجهة النظر اليونانية، والسريانية، والهندية، والفارسية، والعربية، ثم يضيف ملاحظاته الإكلينيكية، ثم يعبر عن ذلك برأى نهائى[4].

---

(1) كارل بروكلمان 4/ 684 . ويذكر أن لهذا الكتاب نسخة خطية فى ليدن تحت رقم 1378.

(2) داود سلمان على. المرجع السابق. ص78 .

(3) عادل البكرى . دراسة لبعض الحالات السريرية التى ذكرها الرازى. بحث ضمن : أبو بكر الرازى وأثره فى الطب ، م. س، ص65 .

(4) W. Montgomery Watt, the Islamic World, First edition; London, 1974, P.227 - 228.

ولذلك أُعتبر "الحاوى" من الكتابات الهامة فى مجال الطب التى أثرت تأثيرًا بالغا على الفكر العلمى فى الغرب، إذ ينظر إليه عادة على أنه أعظم كتب الطب قاطبة حتى نهاية العصور الحديثة[1].

وقد ذكر كل من "سنغر وأندروود" إن كتاب الحاوى فى الطب هو أعم موسوعة فى الطب اليونانى العربى. وأهم أعمال الرازى، فجاء أوسع وأثقل كتاب تُرجم إلى اللاتينية، وطُبع فى أوربا سنة 1486[2].

يتضح مما سبق أن "الحاوى" يُعتبر بمثابة الدليل القاطع والبرهان الذى يرد على المستشرقين الذين يدعون بأن الطب العربى كان مجرد طب منقول من اليونانى. فلقد جاء الرازى بمعلومات أصيلة فى الطب السريرى، وأضاف الكثير

---

[1] ماهر عبد القادر محمد، دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى. م. س. ص237 وعن ترجمة "الحاوى" إلى اللغات الأوربية، يذكر ماكس مايرهوف أنه قد ترجم على يد طبيب يهودى من صقلية يدعى فرج بن سالم – ويعرف فى العالم اللاتينى باسم فراجوت – بأمر من شارل الأول. وقد انتهى فرج هذا من ترجمة "الحاوى" فى عام 1279 ميلادية، وكانت بعنوان: Liber Dictus Elhavi ، لكن الترجمة لم تنشر إلا فى عام 1486 ( ماهر عبد القادر، المرجع السابق، ص337) فى بريشيا والبندقية فى إيطاليا .

وقد نشرت للحاوى ترجمة لاتينية أخرى باسم Continens Rasis فى البندقية عام 1542 ميلادية (بروكلمان 684/4)، وجاءت هذه الترجمة فى 25 جزء، وبلغ وزنها حوالى 9 كيلو جرامات (داود سلمان، م.س. ص88 –90) كما قدم Green Hill طبعة ممتازة عام 1848.

أما الطبعة العربية لكتاب "الحاوى" فقد تأخرت حتى سنة 1955 (عادل البكرى التعريف بكتاب الحاوى الكبير فى الطب. بحث ضمن أبو بكر الرازى وأثره فى الطب. م.س. ص88). حين ظهر الجزء الأول من هذا الكتاب والذى اعتبره جميع الخبراء بالطب العربى القديم من أهم المصادر. وقد قامت دائرة المعارف العثمانية فى حيدر آباد الدكن بالهند وبمعونة من حكومة الهند بتشكيل فريق من العلماء والباحثين فى تحقيق المخطوطات العربية فى الطب. فجمع هذا الفريق عدة نسخ خطية. واستمر طبع الكتاب. حتى اكتمل فى 1971. وجاء فى مجموعة مكونة من 23 جزء. ويقع الجزء الثالث والعشرين فى قسمين يكون كل قسم منهما مجلدًا.

[2] داود سلمان على، م. س، ص87 .

إلى العلوم الطبية، والطرق السريرية في معالجة المرضى. وكان يُسجّل كل هذه الملاحظات عند ذكرها بالكتاب مشيرًا إليها بقوله (لى). بعد أن يستشهد بأقوال غيره من الأطباء[1].

وأخيرًا، فإن كتاب "الحاوى"[2]. بالنسبة للقراء في الوقت الحاضر، بالإضافة إلى ما فيه من معلومات غزيرة عن طرق العلاج في ذلك الزمان. والأدوية المفردة والمركبة التى أستعملت فيها، فإنه مصدر غزير لمعرفة ما كتبه الأطباء الآخرون الذين أخذ عنهم الرازى من الكتب التى تُعد اليوم من المفقودات، فلولا الرازى، لما عرفنا شيئًا عن مضامين تلك الكُتب التى لم تتطرق لها التراثيات العربية الأخرى، ولا تُوجد لها تراجم لاتينية، أو عبرية، بل إن بعض الكتب التى أخذ عنها الرازى لم تكن قد وردت أسماؤها فى أى كتاب غير الحاوى. ويُعتبر الحاوى على هذا الأساس ما يزال بكرًا لم يعمل به الباحثون باهتمام وشمول ودقة.

---

[1] داود سلمان على. المرجع السابق. ص92

[2] نفس المرجع. ص78 – 79.

## 2- المنصورى Almansoris

كتاب المنصورى، أو كتاب "الطب المنصورى"، أو "الكناش المنصورى"، وهو عشر مقالات جمع فيها الرازى بين العلم والعلم. وتوجد منه نسخ خطية كثيرة[1].

وقد اختلف المؤرخون فى اسم الأمير الذى ألف له الرازى هذا الكتاب، فالبعض[2] قال إنه منصور بن إسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر. والبعض الآخر قال هو : منصور بن نوح بن نصر السامانى[3].

وقد حسم هذا الخلاف فؤاد سيد[4] مستندًا إلى رواية ياقوت الحموى، فذهب إلى أن الرازى قد ألف هذا الكتاب باسم حاكم الرى منصور بن اسحاق

---

[1] باريس أول 2866، 6203، بودليانا 529/1 : 594، 577، 592، وبالعبرية 419 : 3، درسدن 140 الإسكوريال ثان 819 – 821 – 858 – 860، المتحف البريطانى 53/6، المتحف البريطانى ثالث 45، مدريد أول 561 : 1، الموصل 35، 59، 129، 121، 237، 177 سليمية 889، بنكيبور 3/4، رامبو أول 493، 202 – 203، اصفية 936/2، 240، 400، أحمد تيمور باشا، انظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق 361/3. باتافيا أول 231/3. آياصوفيا 2751. الإسكندرية (البلدية): طب 48. عليكره 124: 28. (بروكلمان 684/4 – 685).

[2] ابن النديم والقفطى . وابن أبى أصيبعة .

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان 78/2 – 79 .

[4] يقول فؤاد سيد فى تحقيقه لكتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل بعد أن ذكراسم الأمير الصحيح – كما فى المتن – (أنظر ياقوت 901/2): وقد جاء فيه سهوًا أن منصور هو ابن أخى أحمد بن إسماعيل السامانى بدلاً من ابن عمه. والمؤرخون جميعًا – عدا ياقوت – لم يعرفوا من هو منصور هذا؟ فابن خلكان في ترجمة الرازى (2: 78 – 79) يذكر قولين أحدهما : أنه كتب باسم منصور بن نوح نصر السامانى – وعلى هذا الرأى نظامى العروضى (جهار مقالة ص79) – وقد وهما في ذلك. لأن سلطنة منصور بن نوح كانت من سنة 350 – 360هـ. والرازى توفى قبل ذلك بنصف قرن تقريبًا. ولا يفيد في ذلك قول ابن خلكان أنه ألف للمنصور السامانى وهو طفل. فهذا قول غير مقبول. والقول الثانى لابن خلكان هو أن الكتاب صنف باسم أبى صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن نوح. وهو موافق للصحيح بعد استبدال اسم (نوح) باسم (أسد). =

بن أحمد بن أسد الذى تولى من سنة 290 – 296 هـ - 902 – 908 م من قبل ابن عمه أحمد بن إسماعيل بن أحمد ثانى ملوك السامانيين .

وقد طبع "كتاب المنصورى" باللاتينية عدة مرت، فقد تُرجم إلى اللاتينية بقلم Gerhard V. Cremona، وطُبعت هذه الترجمة فى Mediolani، والبندقية سنة 1497، وليون سنة 1520. وبازل سنة 1544. وطبعت الترجمة اللاتينية للمقالة التاسعة Nonus almansoris بالبندقية في السنوات 1483، 1490، 1493، 1497، وفى بادوا سنة 1480.

ونُشر "المنصورى" بالنص العربى والترجمة اللاتينية على يد Ruska بمدينة هالة سنة 1779. ونشرت ترجمة إيطالية للمقالة الثالثة في البندقية بدون تاريخ Libro tertiodell, Almansore Chiamato Cibaldone[1].

---

= وابن النديم والقفطى ، وابن أبى أصيبعة ينسبون الكتاب إلى منصور بن إسماعيل. وليس فى التاريخ ملك أو وال يعرف بهذا الاسم. ويذكره ابن أصيبعة فى موضع آخر باسم : منصور بن إسماعيل بن خاقان. وهذا قريب من كلام ابن جلجل، ولا يعرف فى التاريخ ملك بهذا الاسم أيضًا. ثم هو يذكره فى موضع ثالث باسم : منصور بن اسحاق بن إسماعيل بن أحمد. وهو يتفق مع الرواية الصحيحة التى ذكرها ياقوت بعد حذف كلمة إسماعيل .

والواقع أن رواية ياقوت هى أصح الروايات والذى يقطع بصحتها ما جاء فى مقدمة إحدى نسخ الكتاب، وهى المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم 129 طب قوله : "أما بعد فإنى جامع للأمير منصور بن إسحاق بن أحمد فى كتابى هذا .. إلخ" وحذف منها اسم الأمير. (طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، هامش ص78، 79).

[1] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربى 4/ 687 .

وقد طبع الكتاب أخيرا بالعربية بتحقيق حازم البكرى الصديقى. بإشراف معهد المخطوطات العربية بالكويت سنة 1987 .

أما محتوى الكتاب فهو كما يلى :

المقالة الأولى : فى المدخل فى الطب . وفى شكل الأعضاء وهيئتها .

المقالة الثانية : فى تعريف مزاج الأبدان والأخلاط الغالبة عليها والاستدلالات الوجيزة الجامعة.

المقالة الثالثة : فى قوى الأغذية والأدوية .

المقالة الرابعة : فى حفظ الصحة . =

ولقد ظل المجلد التاسع من كتاب المنصورى، وهو المعروف عند الغربيين باسم Nonus Almanosris متداولاً في أيدى طلاب الطب في أوروبا حتى القرن السادس عشر[1].

وقد صرح أحد الباحثين الأوروبيين بأنه أخذ من المنصورى ما أعانه على كتابة بحثه في الجدرى والحصبة عند الرازى، مع أن للرازى رسالة مستقلة في ذلك[2]. سيأتى الحديث عنها بعد قليل .

---

=المقالة الخامسة : في الزينة .

المقالة السادسة : في تدبير المسافرين .

المقالة السابعة : جمل وجوامع من صناعة الجبر والخراجات والقروح .

المقالة الثامنة : في السموم والهوام .

المقالة التاسعة : في الأمراض الحادثة من القرن إلى القدم .

المقالة العاشرة : في الحميات وما يتبع ذلك مما يتبع ذلك مما يحتاج إلى معرفته في تجويد علاجها .

[1] ول ديورانت. قصة الحضارة جـ2 من المجلد الرابع، عصر الإيمان. ترجمة محمد بدران. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ط الثالثة 1974. ص192 .

[2] انظر مقدمة الكتاب :

**William Alexander Greenhill : Atreatise on the Small – Pox and Measles by ar – Ràzì London 1848 .**

نقلا عن عبد اللطيف العبد . م. س. ص59 .

# 3- بُرء ساعة

تعد مخطوطة "بُرء ساعة" للرازى بادرة أعمالى في مشروعى التراثى الذى أتبناه تجاه تحقيق ونشر مؤلفات الرازى التى مازالت مخطوطة. وقد نشرت النص المحقق لهذه المخطوطة - الصغيرة الحجم والبالغة الأهمية - في عام 1999، بعد أن نشرت دراسة مستفيضة في الرازى وأثره في تاريخ الطب العربى والعالمى وذلك في الأعوام السابقة لنشر "بُرء ساعة".

في الطبعة الأولى اجتهدت في تقديم أقرب وأدق نص وضعه الرازى، وذلك عن طريق استيعاب وفهم نص المخطوطة، ثم مقابلة النسختين المعتمدتين في التحقيق، وذلك بغرض تلافى أخطاء النساخ، خاصة وأن النسختين لم تنسخ واحدة منها الأخرى، وبالتالى فإن الخطأ الواحد لا يتكرر في النسختين إلا في القليل النادر. وكل ذلك من أجل الوقوف على أقرب نص صحيح للكتاب. وبعد ذلك تم استيفاء جميع خطوات منهج التحقيق عبر صفحات الكتاب.

وفى الطبعة الثانية، أضفت بعض المعلومات الجديدة التى اختمرت عندى على مدار سنوات صحبتى للرازى وكتبه. كما صححت بعض المواضع وعدّلت بعضًا آخر بهدف تحقيق الغرض الذى خرجت هذه الطبعة من أجله. وهو الكشف عن وثيقة من أهم وثائق الطب العربى إبان عصور ازدهاره لاسيما وأن صاحبها يُعد - باعتراف الغربيين - حُجة للطب في العالم منذ زمانه. وحتى العصور الحديثة[1]

وإذا كان الرازى قد أسهب في بعض مؤلفاته الكبيرة وخاصة كتابه "الحاوى" والذى يُعد أضخم موسوعة في الطب العربى. وكتابه جراب

---

[1] الرازى. بُرء ساعة. دراسة وتحقيق خالد حربى. الطبعة الثانية. دار الوفاء. الإسكندرية 2005. المقدمة.

المجربات وخزانة الأطباء، وكتابه التجارب، وكتابه في علاج الأمراض بالأغذية والأدوية الموجودة في كل مكان .. وغير ذلك، إلا أن الرازى لم ينتهج هذا المنهج في كل مؤلفاته، بل وضع رسائل صغيرة الحجم، لكنها لا تقل في الأهمية عن المجلدات الكبيرة.

ومن أهم تلك الرسائل، رسالة "بُرء ساعة" تلك التى جاء تأليفها نتيجة لاشتراك الرازى في أحد مجالس العلم يذكر الرازى أنه كان عند الوزير أبى القاسم بن عبد الله يوما، فجرى بحضرته ذكر شيء من الطب في مجلس فيه جماعة ممن يدعى علمه. فتكلم كل واحد منهم في ذلك بمقدار ما بلغه علمه، حتى قال بعضهم : إن العلل تتكون من مواد قد اجتمعت على مرور الليالى والأيام والسنون والأعوام، وهذا سبيل كونها لا تبرأ في ساعة، بل يكون في مثل ذلك من الأيام والشهور حتى يتم بُرء العليل. فشنع بذلك جماعة ممن حضر من المتطببين، كل ذلك يريدون به المجيئ والذهاب إلى العليل وأخذ الشيء منه. فقال الوزير: ما تقول يا أبا بكر؟ فقال له : أيها الوزير إن من العلل ما تجتمع في أيام وتبرأ في ساعة. فتعجب الحكماء من ذلك. فسأل الوزير الرازى أن يؤلف في ذلك كتابًا يشتمل على جميع العلل التى تبرأ في ساعة واحدة . فبادر إلى منزله، وألف هذا الكتاب، واجتهد فيه، وجعله كما هو شأنه في تأليف الكتب من القرن إلى القدم، وذكر العلل التى يجوز أن تداوى وتبرأ في ساعة واحدة[1].

يحتوى الكتاب على خمسة عشرين بابًا تتناول علاج الأمراض التى يمكن أن تُشفى بسرعة، إذا تم استخدام العلاج الأمثل، ومنها : هيجان العين، والزكام، ووجع الأسنان، والنجر (كثرة الشرب بدون ارتواء)، والدوىّ والطنين في الأذن، والرعاف (النزيف الأنفى)، والشقيقة (الصداع النصفى)، والبواسير، والجراحات الطرية، ووجع الأعضاء، والإعياء والتعب، والزحير

---

[1] الرازى . بُرء ساعة. وتحقيق خالد حربى. ص40 – 41 .

(الدوسنتاريا)، ووجع الأطراف .. وغير ذلك من الأمراض وعلاجاتها التى تؤكد أهمية الكتاب، تلك التى تتجلى في سهولة ويسّر الوصفات العلاجية التى وضعها الرازى للأمراض التى ذكرها في الكتاب، ويمكن الإشارة إلى نماذج منها فيما يلى:

- في علاج الزكام : يكون علاج الزكام الذى هو أضعف العلل في ساعة واحدة، بأن تأمر العليل أن يصب على رأسه ونافوخه ماءً حارًا شديد الحرارة، فإذا أحس بتلك الحرارة في دماغه، برأ في الوقت والساعة. أو يؤخذ شيئًا من الشونيز (حبة البركة)، ويُحمصْ ويُدق حتى يتعجن ويوضع في خِرقة خفيفة ويُشم. فإنه يتحلل ويبرأ في ساعته[1].
- في علاج الرعاف (النزيف الأنفى) : أن يُنفخ في الأنف شب يمانى، أوشياف ماميثا (نبات طبى معروف منذ القدم)، أو يشم رائحة الكافور الأبيض الطيار، فإنه يسكن في الوقت والساعة[2].

ومن هنا تتضح أهمية كتاب "بُرء ساعة" للرازى كوثيقة مهمة من وثائق الطب العربى المزدهر، مازالت فاعلة حتى اليوم، الأمر الذى دفعنى إلى تحقيق ونشر الكتاب، خاصة وأن العالم أجمع ينادى حاليًا بالعودة إلى العلاج بالأعشاب والنباتات الطبيعية .

---

[1] الرازى . بُرء ساعة. وتحقيق خالد حربى. ص53 .

[2] الرازى. بُرء ساعة. وتحقيق خالد حربى. ص77 .

## 4 – جراب المجربات وخزانة الأطباء

موسوعة طبية متكاملة – في غاية الأهمية – للعلاج بالنباتات الطبيعيـة والأعشاب لكل الأمـراض المعروفـة في عصـر الـرازى، والتـى يمكـن أن تصيـب الإنسان من الرأس إلى القدم .

وقد ظل هذا الكتاب مجهولاً إلى وقت قريب، حتى وفقنى الله لتحقيقه ونشره باعتباره وثيقة هامة جدًا من وثـائق الطـب العربـى الإسـلامى المزدهـر . وباعتباره أيضًا أحد مخطوطات الرازى الذى أتبنى تجاهه مشروعًا تراثيًا يهدف إلى تحقيق ونشر ما تبقى من مؤلفات الرجل المخطوطة[1].

وإذا كان الهدف من تحقيق كتاب "جرّاب المجربات وخزانة الأطبـاء" للرازى هو الإسـهام في عمليـة إحيـاء الـتراث العربـى الإسـلامى إبـان عصـوره المزدهرة، فلا شك أن ما بُذل من جهدٍ في سـبيل تحقيقـه قـد جـاء عـن اقتنـاع كـامل بقيمتـه العلميـة مـن حيـث إنـه يعتـبر موسـوعة طبيـة متكاملـة للعـلاج بالأعشاب والنباتات الطبيعية لكل الأمراض المعروفـة في عصـر الـرازى، والتـى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم. وذلـك باسـتثناء بعـض الأمـراض القليلة التى ظهرت حديثًا ولاسيما مرض فقدان المناعة (الإيدز). لكن مما يبـين عظمة وجدوى وفائدة الطب العربى أن هناك أبحاثًا تجرى حاليًا على مفـردات هذا الطب، وخصوصًا على حبة البركة لاستخراج مادة طبيعية تساعد في عـلاج هذا المرض. ومن الملاحظ حاليًا مـدى اهتمـام معظـم دول العـالم المتقـدم بإحيـاء المعالجة بالأعشاب والنباتـات الطبيعيـة ، مـن حيـث إنـها لا تـترك أى آثـار

---

[1] الرازى. جرّاب المجربات وخزانة الأطباء. دراسة وتحقيق وتنقيح. خـالد حربـى. دار الثقافـة العلمية. الإسكندرية 2002 .

جانبية أو مضاعفات إذا أستخدمت الاستخدام الأمثل. والـذى يـأتى مـن قِبـل المتخصصين في هذا الفن، أى الأطباء والصيدلانيين .

وعلى ذلك تتضح أهمية تحقيـق وإخـراج النصـوص المخطوطـة القديمـة المتخصصة في هذا الجانب الهام، ولاسيما الكتب الطبية العلاجية مثـل كتـاب "جرّاب المجربات وخزانة الأطباء"، موضوع هذا العرض، حيـث أرى أن مثـل هذه الأعمال – أى تحقيق ونشر المخطوطات القديمة – إنما توفر الوقت والجهد للمتخصصين، إذ إن هذا الكتاب إنما يحوى المئات من أسماء النباتات وكيفيـة استعمالها في علاج الأمراض المختلفة. فما على الباحثين في الطب والصيدلة، إلا أن يجروا أبحاثهم للتأكد مما صاغه الرازى وغيره من الأطباء القدامـى، وتقديـم نتائج هذه الأبحاث في صورة علاجية عصرية .

وقد جاء الالتزام بتحقيق هذا الكتاب أيضًـا باعتبـاره وثيقـة هامـة مـن وثائق الطب العربى المزدهر تكاد تكون مجهولة – إلى حد ما – فلـم يذكـر هـذا الكتاب من المؤرخين أو المفهرسين الثقات سوى خير الدين الزركلـى في مصنفـة "الأعلام"، وذلك إنما يرجع إلى خلط المؤرخين القدامى، وكذلك بعض الباحثين المحدثـين بـين هـذا الكتـاب "جـرّاب المجربـات وخزانـة الأطبـاء" وكتـاب "التجارب" للرازى، واعتبارهما كتابًا واحدًا . ولكن بعـد حصـولى علـى النسخ المخطوطة لكلا الكتابين، أثبت بالفحص والدراسة والتحقيق أنهما ليـس كتابًـا واحدًا، بل هما كتابين مستقلين، يختلف الواحد منـهما عـن الآخـر، سـواء في الموضوع أو المنهج، أو طريقة العرض. أو الأسلوب .

ولعله من كل ما سبق تتضح أهمية وإخراج كتـاب "جـرّاب المجرّبـات وخزانة الأطباء" لعلم من أعلام الطب في العالم. وهو الرازى. ولأهميته بالنسـبة للمـهتمين بشـئون الـتراث الإسـلامى بعامـة، وللبـاحثين في مجـالات الطـب والصيدلة وتاريخهما، وتاريخ العلوم العربية الإسلامية بصفة عامة.

تحتوى موسوعة "الجرّاب" هذه علـى تسـعة وعشـرين بابًـا تبحـث في علاج الأمراض التى يمكن أن تصيب أعضاء الجسم البشرى من الرأس إلى القدم. وينتهج الـرازى في هـذا الكتـاب منـهجا خاصًـا وضعـه للمتعلمـين، والمرضـى، والأصحاء أيضًا، فتراه يبتدأ كل باب بمقدمة تشتمل علـى حفـظ صحـة العضـو المُعَالج، ومن قبيل ذلك قوله في بداية الباب الثانى "في أمراض الدماغ البـارد": فصل في حفظ جوهر الدماغ . وفى الباب الثانى عشر "في أمراض الصدر" مقدمة لحفظ صحة الصدر .. وهكذا. ثم يذكر المرض وسببه وأعراضه، ثـم يقـدم كافـة العلاجات التى تناسب هذا المرض ..

ونظرًا لكبر حجم موسوعة "جرّاب المجربـات وخزانـة الأطبـاء"، فقـد استغرق تحقيقها وقتًا طويلاً امتد إلى سنوات، فبعـد أن حـاولت الوقـوف علـى أقرب وأدق نص وضعه الرازى، وذلك عـن طريـق عمليـة المقابلـة النقديـة بـين النسخ المخطوطة، قمّت بشرح كافة المصطلحات الواردة بـالنص، ومـا أكثرهـا، وليس أدل على كثرتها من أن فهارسها التى قمت بصنعها في نهاية التحقيق قد بلغت أحد عشر فهرسًا، ومنها : فـهرس الكلمـات الـواردة، وفـهرس الأدويـة المفـردة، وفـهرس الأطعمـة، وفـهرس الحيـوان، وفــهرس المعــادن والأحجــار والأملاح، وفـهرس الفصـائل النباتيـة، وفـهرس الموازيـن، وفـهرس الأمـراض، وفهرس الأعلام .. وغير ذلك .

ولتعميم الفائدة على الباحثين في الطب والصيدلة وعلـم النبـات، قمـت بصنع معجم لجميع المصطلحات الواردة بالنص من أربع لغات هى : العربية، واللاتينية، والإنجليزية، والفرنسية .

من كل مـا سـبق تتبـين أهميـة موسـوعة "جـراب المجربـات وخزانـة الأطباء" للرازى كوثيقة هامة من وثائق الطب العربى الإسلامى المزدهر، مازالت فاعلة حتى اليوم .

## 5 – كتاب التجارب

من أهم وأجلّ كتب الرازى، سجل فيه مئات التجارب الطبية والعلاجية (الحية). التى قام بها بنفسه، وعالج من خلالها مرضاه، وبعد نجاحها، دوّنها مفصلة في هذا الكتاب الأشهب، والذى ظل مخطوطًا، لم يسبر غوره أحد من الباحثين لتحقيقه ونشره حتى عام 2005 . فاتجشمت أنا عناء هذه المهمة (الهامة)، ونشرت الكتاب بدراستى وتحقيقى[1]، وذلك ضمن مشروعى التراثى المعنّى بتحقيق ودراسة ونشر مؤلفات أبى بكر محمد بن زكريا الرازى أعظم طبيب أنجبته العصور الوسطى قاطبة، بل وحُجة الطب في العالم منذ زمانه (القرن الثالث الهجرى) وحتى العصور الحديثة .

ويُعتبر كتاب التجارب من الدلالات القاطعة على أن الرازى يُعد "إمام" في كشف وتطبيق المنهج التجريبى بكافة مراحله المعروفة حاليا. فلقد تحرر الرازى من تأثير المذاهب والنظريات الطبية السائدة في عصره – وخاصة كتابات ابقراط وجالينوس –، فلم يرض بالتسليم بما تتضمنه، إلا بعد إقرار التجربة بذلك، على اعتبار أنها أضمن الطرق وصولاً إلى الحقيقة العلمية، ومن أقواله في ذلك ما يلى[2]:

-وتكون الدعاوى عندنا موقوفة إلى أن تشهد عليها التجارب .. ولا نحل شيئًا من ذلك عندنا محل الثقة، إلا عند الامتحان والتجربة .

-إن الشكوك المغلطة تقع على الأكثر في الفن النظرى أكثر منه في التجربة

---

[1] أبو بكر محمد بن زكريا الرازى، كتاب التجارب. دراسة وتحقيق خالد حربى. دار الثقافة العلمية . الإسكندرية 2002 .

[2] الرازى. كتاب التجارب. دراسة وتحقيق خالد حربى. ص33 .

-العلم الذى يطمئن إلى مذهب مقضى عليه بالوقوف والعزلة، لأن إدماج المعلومات في مذهب يعد بمثابة تحجر علمى .

-عندما تكون الواقعة التى تواجهنا متعارضة والنظرية السائدة، يجب قبول الواقعة ونبذ النظرية حتى، وإن أخذ بها الجميع نظرًا لتأييد مشاهير العلماء.

ومع صدق القول الذى يذهب إلى أن المجرب يباشر التجربة عادة ليثبت قيمة فكرة ، فإن الرازى قد أيقن وظيفة التجربة فى التأكد من صحة الفروض، فإذا أثبتتها التجربة استبقاها، وإذا لم تثبتها، استبعدها . وكتاب التجارب مليىء "بالتجارب" الدالة على تحقق الرازى من الفروض.

وبفضل تطبيق الرازى للمنهج التجريبى بكل دقة وإحكام، استطاع الوصول إلى وضع مبادئ وأسس "علم السريريات" البحتة، أو ما يعرف "بالطب الإكلينيكى" الذى يُعد الرازى بحق رائده الأول. فقد كان لكل مريض عند الرازى تقارير تفصيلية وافية مدوّن فيها كل المعلومات عن الحالة المرضية، وتاريخ تطورها، وأدق التفاصيل من حياة المريض الشخصية والنفسية والاجتماعية، وكل ذلك بغرض الوقوف على تشخيص سليم للمرض، وبالتالى تقديم العلاج المناسب[1].

ولقد اهتم الرازى اهتمامًا كبيرًا بإجراء تجاربه على الأدوية الجديدة قبل تقديمها كعلاج وكان يبدأ أولاً بالتجارب على الحيوانات، ثم على الإنسان. وهذا ما هو متبع تمامًا حاليًا.

وفيما يلى أعرض لبعض التجارب العلاجية التى (جرّبها) الرازى على الحيوانات أولاً، وخاصة القردة، وبعد التأكد من إثبات صحتها. قدمها لمرضاه. بل ودوّنها فى كتابه التجارب ليفيد بها أجيال الأطباء اللاحقين له. ومن لا يحضره طبيب من العامة والفقراء على حد سواء .

---

[1] أنظر. خالد حربى . أبو بكر الرازى فى كتاب التجارب. وتأسيس منهج أصيل فى البحث العلمى. مقال منشور بجريدة الأهرام بتاريخ 2002/12/13 .

-شيخ كان يشكو غشاوة فى عينيه، وإذا أظلم الليل لا يبصر البتة. أمر لا الرازى بأن يشق كبد العنز أو البقر ويدر عليه دار فلفل[1]، ويشوى يكتحل من مائه قبل أن يجف. فأُخبر عن الرجل أنه ما تم ثلاث أكلات حتى انحلت عنه الغشاوة [2].

-شكى شاب نحيف ظلمة العين وأنه لا يبصر شيئًا إلا بعد تثبت، فسأله الرازى عن طعم فمه، فقال: لا أجد طعمًا متغيرًا عما كان والطبيعة معتدلة، وذكر أنه يجد رأسه كأنه يدور: فأمر له الرازى بشرب أقاقيا[3]، ثم قال: قد اجتمع هناك أخلاط ردية، وأمره بتعهد الحمام وتخفيف الغذاء[4].

-امرأة شكت أنها ترعف[5] منذ سنة، وتجد صداعًا شديدًا فى يافوخها، وقد انقطعت عادة حيضها. فأمر الرازى بتبريد رأسها غاية ما يمكن، وشم الكافور. فقالت: إنها تتأذى بالكافور، وتستريح إلى الحرارة. فقال: تستريح إلى الحرارة ساعة، ثم يهيج أنفها بالكافور، وتشرب ماء الرمان المز بكزبرة يابسة، والغذاء فروج فى ماء الحصرم[6]، والسماق[7] الجيد.

---

[1] دار فلفل Bird Pepper . Spur Pepper : هو أول ثمار نبات الفلفل الرومى المعروف .

[2] الرازى . كتاب التجارب، نشرة خالد حربى المحققة . ص122 .

[3] أقاقيا : هو نبات القرظ المعروف فى بلاد العرب .

[4] الرازى. كتاب التجارب. الطبعة المحققة. ص135 .

[5] الرعاف : هو النزيف الأنفى .

[6] الحصرم : هو الكروم أو الكحب. وهو ثمار العنب قبل النضوج، ويقال له فى بداية نضجه "مُجيز" أو "أوشم" وللمتساقط منه "هرور"، وللناضج جدا "شمراخ"، ولليابس "زبيب" و"عنجد" (أنظر. خالد حربى فى تحقيقه لكتاب التجارب للرازى، م. س. ص116).

[7] السماق Ruhus : من أسمائه : التمتم. الجزب. العربرب. الفذب. العترب. وهو نبات منه خراسانى. ومنه شامى أحمر عدسى، أى ثمرة كحبة العدس ولكنها حمراء. والسُماقية. هى طبيخ السُماق. وتعرف فى الموصل حتى الآن باسم "سُماق الربيع" (انظر . خالد حربى فى تحقيقه لكتاب جرّاب المجربات وخزانة الأطباء للرازى. ص87).

-شكى رجل أنه لا يقدر أن يستسوغ الخبز، ويجد خشونة فى حلقه ولا يوجعه إذا مسه. فأمره الرازى بأن يأكل لقمتين ويزيد ما يمضغ. وسأله عن ابتداء العلة، فقال: هى منذ تسعة أشهر. فقال الرازى: هل تعبت؟ قال: أتعبت نفسى بالمشى وكنت أعرق عرقًا كثيرًا. فقال الرازى: عرض هناك غلط، وأمره بأن يأخذ ثلثين تينة وتطبخ وتصفى ماؤها، ويُهرس فيه عشرة دراهم أو أقل خيار شنبر[1]، ويصفى ويلقى عليه ثلاثة دراهم دهن لوز، ويتغرغر به وهو فاتر، ويتجرع بعده الماء الحار الشديد الحرارة، ويتغرغر به أيضًا، ويمسح حرارات عنقه بالدهن، وينطل على ذلك الموضع الماء الحار، ولا يأكل إلا مبسوسًا بدهن، ويجتنب الغليظ من الغذاء، واللحم أيضًا، والماء البارد والجبن[2].

- شكى رجل وجعًا وحرقة فى معدته ويميل إلى ناحية القلب، وكان ماؤه أصفر. فقال الرازى : به يرقان[3] خفى وهذا من غير حمى ولا سعال[4]: وأمره

---

[1] الرازى . كتاب التجارب، الطبعة المحققة، ص141 – 142 .

[2] الرازى. كتاب التجارب ، الطبعة المحققة، ص149 – 150 .

[3] اليرقان : هو مرض الصفراء Bile; Gall : مرض يصيب الكبد فيبدو المصاب أصفر العينين والوجه والجلد. وينتج هذا المرض من زيادة معدل صبغة البيلروبين فى الدم عن نسبتها الطبيعية التى تتراوح بين 0.2 : 0.8 ملجم / 100 سم3 بلازما. وإذا كانت هذه الزيادة طفيفة فلا تعرف إلا بتحليل الدم لأنها لا تحدث تغيرًا فى لون الجلد. أما إذا كانت كبيرة، فيظهر اللون الأصفر واضحًا فى الجلد وبياض العينين .

أما أسباب الصفراء المرضية فهى :

1- زيادة تكسير كرات الدم الحمراء .

2- انسداد كلى أو جزئى للقنوات المرارية .

3- اضطراب الوظائف الكبدية (أبو مصعب البدرى، مختصر الجامع لابن البيطار. دار الفضيلة، القاهرة (د. ت)، ص260).

[4] السعال : قال ابن سينا فى قانونه إن السعال من الحركات التى تدفع بها الطبيعة أذى عن الرئة والأعضاء التى تتصل بها ويقول الطب الحديث إنه يحدث من الالتهابات. كالتهاب الحلق واللوزتين والقصبة الهوائية والنزلات الشعبية. أو استنشاق دخان أو أجسام غريبة. أو بعض الغازات السامة، أو استنشاق الإنسان مواد غذائية تسقط فى القصبة الهوائية. فيكون السعال=

بأن يشرب كل يوم أربعة أواق ماء الرمان المز بوزن درهم طباشير[1] مسحوق، والغذاء خبز بماء الرمان[2].

-شُكى عن امرأة وجع المعدة مع قيء كل ما تأكل من ساعته، ومغص وإسهال، وعطش. أمر الرازى بأن تتقيء بالسكنجبين[3] والماء الحار، ثم تسقى أقراص الطباشير المسكة برُب السفرجل، وإن كانت الطبيعة غير منطلقة، فأقراص الطباشير المطفية بالماء البارد، وأقراص العود[4]. والغذاء فروج بالحصرمية[5]، وتطلى على المعدة بصندل[6] وكافور، وماء ورد[7].

---

=محاولة من الجسم لطردها. والسعال فى حقيقته – كما قال ابن سينا قديما – حركة يقصد بها التخلص من الإفرازات البلغمية (خالد حربى فى تحقيقه لكتاب التجارب للرازى، م.س، ص156).

[1] الطباشير : دواء يتخذ من بذر الحماض الذى لا زعفران فيه، أو الذى فيه سفوف حب الرمان. وهذا الدواء يصلح للتخفيف من الإسهال الشديد (الرازى، منافع الأغذية.تحقيق حسين حموى. دار الكتاب العربى، سوريا 1984، ص282).

[2] الرازى . كتاب التجارب. الطبعة المحققة. ص156 .

[3] السكنجبين : معرب عن سركا أنكبين الفارسية. ومعناه خل وعسل، وهو شراب مشهور يراد به كل حامض وحلو .

[4] العود : خشب وأصول خشب صلب يؤتى به من بلاد الصين، والهند، وبلاد العرب. بعضه منقط مائل إلى السواد، طيب الرائحة، قابض فيه مرارة يسيرة. أجود أصنافه، العود المندلى المجلوب من وسط بلاد الهند، ثم الذى يقال له الهندى، وهو جبلى أصولى، ويفضل على المندلى. وهو أعبق بالثياب (ابن سينا. القانون فى الطب. طبعة مؤسسة الحلبى عن طبعة بولاق القديمة. القاهرة (د.ت). جـ1. ص398).

[5] الحصرمية : طبيخ يتخذ من الحصرم . أنظر ترجمة الحصرم فيما سبق .

[6] الصندل Barge : اسم عربى يطلق على نوع من الشجر يشبه شجر الجوز. ذو ورق ناعم رقيق. وثمر على شكل عناقيد. وجذع شديد الصلابة، لذا يصنع منه أنواع الأثاث والتحف. فضلا عن صناعة العطور (الرازى. المنصورى فى الطب. الطبعة المحققة. ص208).

[7] الرازى . كتاب التجارب. دراسة وتحقيق . خالد حربى. م. س. ص166 .

تلك كانت بعض التجارب التى دوّنها الرازى فى كتابه التجارب، وأوردتها هنا كأمثلة تشير إلى دقة الرازى فى تطبيق ما يُعرف حاليًا "بالتجربة الصيدلانية"، حيث اهتم اهتمامًا كبيرًا بإجراء التجارب على الأدوية الجديدة قبل تقديمها كعلاج للمرضى[1].

وإذا كان الرازى قد عُرف بأنه واضع علم السريريات البحتة، ورائدًا من رواد المنهج التجريبى من خلال أربعة وثلاثين حالة إكلينيكية دوّنها فى كتابه "الحاوى الكبير"، فإن كتاب التجارب مليئ بمئات التجارب التى تؤكد - مع حالات الحاوى - أن صاحبها يُعد بحق "إمامًا" للمنهج التجريبى، وعلم السريريات معًا. وهو بذلك يكون قد أسس منهجًا عربيًا إسلاميًا أصيلاً فى البحث العلمى، أصبح برنامج عمل للأجيال اللاحقة على مستوى العالم.

---

[1] انظر. خالد حربى. كتاب التجارب يؤكد تأسيس الرازى لمنهج أصيل فى البحث العلمى. مقال منشور بجريدة المدينة السعودية. بتاريخ 2002/12/21 .

## 6- سر صناعة الطب

يمثل موضوع هذا الكتاب حلقة مهمة جدًا من حلقات سلسلة مؤلفات الرازى، حيث قصد به "نشر صناعة الطب" ردًا على من ضنّ بها وكتمها، الأمر الذى أدى إلى إبادة ثمرة العلم .

فلقد رأى الرازى[1] أن بعض المتطببين يكتمون أسرار صناعة الطب عن غيرهم لأنهم اتخذوها معاشًا ومكسبًا، فخرجوا بذلك عن أخلاق هذه المهنة الشريفة، فجاء كتابه هذا - فى مقابل الاتجاه المُضنّ - لنشر "صناعة الطب" بأنواعها : الإنذارات ، والضمانات والتجارب المستنفذة من الحكماء، والمؤلفة من كلامهم ونكتهم ورموزهم، ثم ألحق الرازى بذلك طرقًا مما خبره فى نفسه واستدركه بمزاولته وتجربته. ولإتمام الفائدة اختتم الرازى كتابه بفصل مجمل فى الأدوية والأغذية، وبعض أسرار أبقراط التى كتمها غيره، وضنّ بها على الناس.

وجملة القول إن كتاب سر صناعة الطب للرازى يُعد من جُلّ مؤلفات تاريخ الطب العربى، بل والعالمى .

ظل الكتاب مخطوطًا حتى أتى إخراجى ونشرى له ضمن مشروعى التراثى المهتم بتحقيق ونشر أكبر عدد ممكن - ومتاح - من مؤلفات حُجة الطب فى العالم .

يقول الرازى[2]. غير خافٍ على ذى عقل أن لكل صناعة ومهنة، وناموس من الآثار الرياضية باطنًا وظاهرًا، وأن نظام النواميس الموروثة التى

---

(1) أبو بكر محمد بن زكريا الرازى. سر صناعة الطب. دراسة وتحقيق خالد حربى. دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002 .

(2) الرازى. سر صناعة الطب. وتحقيق خالد حربى . ص86 .

ألفته النفوس، واعتادته الطباع . صيانة بالباطن الذى هو اللُب، وإشفاقًا على ظهوره إلى غير أهله وهذا ما أباد ثمرة العلم، وأسقط جناه . فإن رواة ذلك على تطاول الأيام وألوف الأعوام اتخذوه معاشًا ومكسبًا، فزادهم ذلك به ضنًا، وله كتما. وإنى قصدت فى مقالة هذه الدعوة بنشر صناعة الطب إلى أنواعها: الإنذارات، والضمانات، والتجارب التى استفدتها من الحكماء، مؤلفة من كلامهم، أو مجموعة من نكتهم، ورموزهم، وألحقت بذلك طرفًا مما خبرته فى نفسى واستدركته بمزاولتى، فصدقتنى فيه تجربتى. وهاك قطوف من إنذارات وضمانات، وتجارب الرازى التى احتواها هذا الكتاب الهام :

إذا كثر فى بلدة الذباب مع تواتر الأمطار، فأنذرهم بالجدرى والحصبة، والطواعين، والأواكل وسبيل الخلاص [ من ][1] ذلك: الإسهال اللطيف مرات قبل فصل[2] الصيف بربوب الفواكه، وشم الطيوب الذكية، وأكل القنابر مشوية، وذوات الريش، وخلط ما يؤكل ويشرب برب الحصرم .

وإن كثر الضباب بغير مادة المطر، وكان الخريف[3] قبله على حقيقة مزاجه من اليبس، دل على شمول العلل، خاصة، وظهر الصرع[4]، وعلل السوداء، فاقتصر بهم على الحمام المعتدل، والتدبير المنعش للقوة [ المرطبة ][5]

---

[1] أ، ب : مع .

[2] ب : فصله .

[3] ب : الحريف .

[4] الصرع Epilepsy : هو مرض عصبى يتصف بنوبات تشنجية مع فقد الإدراك والغيب عن الوعى. تبدأ النوبة بأن يصرخ المريض ويهوى على الأرض، فيتصلب بدنه ويتشنج ويزرق وجهه،. وربما يعض لسانه. ثم يتهيج ويخرج زبد من فمه. وبعد ذلك يدخل فى دور النوم المصحوب بشخير. وبعد فترة قصيرة تزول الحالة فيصحو من غير أن يتذكر أى شىء مما جرى له. (أبو مصعب البدرى. مختصر. الجامع لابن البيطار. دار الفضيلة – القاهرة د. ت. ص260).

[5] أ. ب : المرطب .

للجسم. ولا تخليهم [ عن ][1] لشراب الصافى العطر الممزوج بعد غذائهم وليكثروا من شم الورد، والبنفسج، واللينوفر[2] وأكل الطين النيسابورى .

إذا كثرت الرياح النكبة دون غيرها، فسدت الطباع المعتدلة، وكان أسلم الناس من مال طبعه إلى ضد طبع الغالب منها، كثرت[3] علل الارتعاش[4]، واللقوة[5].

وسبيل الخلاص منها أن يعاد "المرء إلى"[6] الأسراب والسراديب، وأن يكون الدخول بكندر[1]، وسعد[2]، ولبن[3].

---

[1] أ . ب : من .

[2] اللينوفر، أو اللينلوفر : بحسب جالينوس، هو كرنب الماء، ويسمى حب العروس. يفيد فى الأورام، ويسكن الصداع الحاد والصفراوى. قال عنه الفيروز أبادى : هو ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة، ملين صالح للسعال وأوجاع الجنب، والرئة، والصدر . وإذا عجن أصله بالماء وطلى به البهق مرات، أزاله، وإذا عجن بالزفت، أزال الثعلب . (الرازى، منافع الأغذية ودفع مضارها، تحقيق حسين حموى، دار الكتاب العربى، سوريا، ط. الأولى 1984).

[3] ب : كثرة .

[4] مرض الرعشة : علة آلية تحدث عن عجز القوة المحركة عن تحريك العضل على الاتصال أو إثباته على الاتصال فتختلط حركات إرادية أو إثبات إرادى بحركة ثقل العضو إلى أسفل .
والفرق بينه وبين الاختلاج أن الحركة فى الاختلاج تظهر سواء كان العضو ساكنًا أو متحركًا. وأيضًا الارتعاض كالتشنج Convulsions يقع فى الأعضاء الآلية أى المركبة التى تتحرك بإرادة. والاختلاج يقع فى كل عضو يتهيأ منه الانبساط والانقباض كالأعصاب والعروق والكبد. وقيل الفرق بينهما أن الاختلاج يتحرك إلى جهات مختلفة مائلاً إلى فوق .

[5] لقوة Facialparalysis : هو الشلل الوجنى، تسميه العوام (أبو كعب). وهو غياب الحركة عن جميع عضلات جانب واحد من جانبى الوجه، حيث يغذيها العصب الوجنى، فترتخى هذه العضلات، وينسحب ملتقى الشفتين من الجانب الآخر السليم، فيصبح الوجه باتجاه مائل ويندفع أيضًا الخد المرتخى فى الجانب المشلول عند الزفير. يصبح من العسير جدا على المصاب إذا حاول الصفير. وأيضا تبقى العين مفتوحة فى الجانب المشلول. (أبو مصعب البدرى، مختصر الجامع، ص265) .

[6] زيادة يقتضيها السياق .

إذا كثرت الأمطار فى الشتاء والربيع، ودامت، فقد وبؤا العام، ويلحق الموت كل من كان ضعيفا بالطبع، أو رطب المزاج. وكان الملفت: وجع الرؤس، والهيضات[4].

وسبيل التقدم فى الخلاص منها أن لا يغتذى "المريض"[5] فى الفصلين إلا بما مازجه الخل الثقيف[6]. والطيور، لاسيما من العصافير الجافة، والقنابر، والدراج[7]، [8].

---

[1] الكندر : هو اللبان الدكر .

[2] السعد : ويسمى أيضًا فيقارس، وأروسيسقيطون، ودار شيشفان. له ورق شبيه بالكراث غير أنه أطول منه وأدق وأصلب، وله ساق فيها اعوجاج، طولها ذراع أو أكثر. ثمرة شبيه بتمر الزيتون، أسود اللون طيب الرائحة، مر المذاق. تنفع أصوله (بذوره) من القروح، وتفتت الحصاة، وتدر البول، وتحدر الطمث جدا. (ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت)، 20/3).

[3] ب : لبنى .

[4] هيضة Cholera : مرض وبائى معد، دور حضانته قصير جدا، لذلك تظهر أعراضه فجأة بقىء شديد وإسهال سائل أسمر اللون كدر، فيه كتل صغيرة كحبات الرز، وانقطاع البول وهبوط الحرارة المحيطة للجسم أولاً، ثم دور حمى مع بحران بولى. ثم يزرق لون الأطراف بعد أيام، وحينذاك تظهر علامات الخطر .

والهيضة يسببها نوع من الجراثيم تدعى الضمان Vibrion اكتشفها العالم كرخ فى مصر عام 1883. وتنحصر الآفة فى باطنة الأمعاء الدقيقة. كذلك فإن براز الشخص يكون شديد العدوى (الرازى، المنصورى فى الطب، حازم البكرى الصديقى، معهد المخطوطات العربية، الكويت 1987، ص665).

[5] زيادة يقتضيها السايق .

[6] الخل الثقيف : هو الخل شديد الحموضة .

[7] الدراج : هو طائر السمان المعروف .

[8] + ب : الإسهال .

ويستعد بالربوب المبردة المسهلة، كُرب السفرجل الساذج. والكمثرى ويلجأ إلى العلالى، والمواضع الشمسية دون بروز إليها إذا أقبلت الفواكه واختلفت فى النضج والإدراك[1]. فلا يستعمل منها شىء، فهى قاتلة.

وتكثر الحميات [ الوبائية ][2] إذا تكدر الهواء. وكثر ذلك فيه فى أى فصل ظهر، فأنذر بكدر الحواس والتبلد، وعلل النسيان .

والسبيل إلى دفع ذلك : التقدم فى "استعمال"[3] الطيوب المعتدلة، ثم استعمال الحمام المعتدل إثر ذاك، "و"[4] التغرغر بماء .

معجون [للحمى][5] المحرقة بديع مختبر : اهليلج كابلى أصفر مثقال، بذر هندباء[6]، وفرنجمشك من كل واحد مثقال، دار صينى لذع، وزنجبيل حديث من كل "واحد"[7] نصف مثقال، كافور حديث مثقال، يسحق الجميع سحقًا بليغًا، ويُنخل، وينحل العنبر فى دهن الفستق، وتلت به الأدوية"[8]، ثم يعجن بثلاثة أمثاله من عسل العناب، ويُعطى [منه][9] للمحموم زنة مثقال إلى مثقال ونصف بشراب تفاحى سكرى.

صفة دواء لهذه الحمى عجيب التأليف: اهليلج هندى أصفر. وأملج من كل[10] واحد مثقالين، قرفة، قرنفل، أسارون، صندل من كل واحد[11] مثقال،

---

[1] + أ . ب : وأسرع تكون الحيوان فيها .
[2] أ . ب : الوبية .
[3] زيادة يقتضيها السياق .
[4] زيادة يقتضيها السياق .
[5] أ . ب : الحمى .
[6] الهندباء : بقلة خضراء تؤكل .
[7] زيادة يقتضيها السياق .
[8] عبارة ما بين الأقواس مقروءة بصعوبة فى ب .
[9] أ . ب من .
[10] – ب
[11] – أ .

بذر ورد، وبذر خشخاش. وبذر خيار من كل واحد نصف مثقال. يسحق الجميع، ويلت بدهن التفاح[1]. ويعجن بثلاثة أمثاله من عسل. وخيار شنبر. ويعطى للعليل "منه"[2] زنة مثقالين بأوقيتين من شراب الرمان السكرى.

صفة دواء عجيب لحمى الربع[3]: يؤخذ سنا[4]، وأسارون، ووج من كل واحد مثقال، دار صينى فواح زنة ثلاثة مثاقيل، بذر هندباء، وفرنجمشك، وبذر بطيخ[5] من كل واحد نصف مثقال، يسحق الجميع بثلاثة أمثاله من عسل الاهليلج الكابلى، ويأخذ منه[6] العليل ثلث أوقية بأوقية من شراب سكنجبين ممسك ، وقد وصفت له أشياء، ذكر أنه قد عملها قبل وصفى. "و"[7] لم تقع بحيث أريد .

ولما طال ذلك بى وبه، [قبلت][8] استضافته، وأقبلنا نلتقى دائمًا للنظر والبحث. وطال مقامى[9] عنده، فرأيت أنه إنما يقوم إلى الخلاء قيامًا متواترًا عقب النوم، ثم تحتبس[10] الطبيعة وقتًا طويلاً[11]. فسألته : هل تلك حاله بعد

---

[1] ب : التفح .

[2] زيادة يقتضيها السياق .

[3] حمى الربع : هى التى تأتى كل أربع أيام .

[4] السنا : نبات ربيعى كأنه الحناء. إلا أن عوده أدق منها. وفيه رخاوة. وله زهر إلى الزرقة يخلف حبًا مفرطح إلى الطول محزوز الوسط إلى اعوجاج ما. ومنه نوع عريض الأوراق أصفر الزهر يسمى بالحجاز عشرق. ويدرك بالصيف. وأجوده الحجازى. يسهل الأخلاط. ويستخرج اللزوجات من أقاصى البدن. وينقى الدماغ من الصداع العتيق. والشقيقة وأوجاع الجنين. ويذهب البواسير. وأوجاع الظهر. (تذكرة داود 228/1).

[5] ب : بطخ .

[6] ـ أ .

[7] زيادة يقتضيها السياق .

[8] فى كل النسخ : تركب .

[9] ب : مقام .

[10] ب : حبس ،

[11] ب : طوبل .

نومه بالليل؟ فقال : كذلك : فحدسّت أن خلطًا حارًا[1] كان ينزل من رأسه إلى معدته، فيهيجها على دفع ما فيها. وذلك[2] أنه ما دام جالسًا يقظان يتبزق. فقدرت أن ذلك الخلط كان "ينزل من رأسه إلى معدته"[3] في حال النوم.

فأمرته بحلق رأسه[4]، ودلكته بالخردل، والمسك[5]. ودام ذلك، فانقطع عنه ذلك الإسهال المزمن الطويل

## حكاية :

خصّ[6] قوم[7] كثير من التلف، فكانوا يشكون من اليبس في معدتهم. "فأعطيتهم"[8] مربى اللينوفر دون شرابه، وسقيتهم [الزبد][9]، والشراب الأبيض الماهي ممزوجًا بمثله من ماء[10] مثلج. وكنت أتعهدهم بالفراريج المعلوفة [المتخذة][11] بالزبدة، وبالحملان مكردنة، مرشوشة بلعاب حب السفرجل، ودهن اللينوفر.

كان لي صديق[12] يسامرني على قراءة كتب جالينوس، وكان يشكو حرقة في معدته تتضاعف عليه بليتها عند ابتداء الهضم. فوصفت له أشياء

---

[1] ب : حار.

[2] – أ.

[3] ما بين الأقواس مقروء بصعوبة في ب.

[4] ب : رأس.

[5] – أ جـ.

[6] ب : خاصة.

[7] ب : قوما.

[8] زيادة يقتضيها السياق.

[9] في كل النسخ : مزيدة.

[10] – أ.

[11] في كل النسخ : أخذ.

[12] + أ : سل.

كثيرة ذكر أنه استعملها، فأخذت ثلاث[1] أواق من مربى الورد. والبنفسج السكريين[2]، وسحقتها[3] حتى تداخلت. وأذبت[4] نصف مثقال من عنبر دسم في أوقية من دهنم اللينوفر الطرى، وعجنت[5] بهما امربى عجنًا بليغًا، وألزمته إياه، فبرأ برءًا تاما.

## حكاية[6]:

اقتصرت فى الحميات الشمسية على[7] الحمام المعتدل العذب البارد، ثم الماء البارد، ودبرته تدبير التقشعر .

حكاية[8]:

اقتصر فى الحميات المطبقة والوبيئة على[9] ربوب الفواكه المسهلة، وعلى الطيوب، والتليين اللطيف .

---

(1) ب : ثلاثة .

(2) ب : السكرين .

(3) أ : وسحقها .

(4) ب : ذبت .

(5) – أ .

(6) – أ .

(7) ب : من .

(8) – ب .

(9) + ب : رب .

## 7- مقالة في النقرس

من أهم وأخطر كتب الرازى، بل وكتب تاريخ الطب العالمى قاطبة، حيث يعد هذا الكتاب وثيقة جليلة. قدمها الرازى ليس للمشتغلين بالطب فحسب، بل وللإنسانية جمعاء. ويكفى أن نعرف أن هذا الكتاب يحتوى على تشخيص تفريقى بين أعراض كل من مرض النقرس، ومرض ألم المفاصل فمن الإسهامات الأصيلة التى قدمها الرازى للإنسانية جمعاء، تفرقته بين الأمراض المتشابهة الأعراض، والتى تعتمد على علم الطبيب وخبرته. وطول ممارسته، وذكائه، وقوة ملاحظته، وتجاربه[1] وقد توفر كل ذلك فى الرازى، الأمر الذى جعله سباقًا فى هذا المجال، فلم يسبقه أحد من السابقين عليه، سواء من أطباء اليونان، أم من أطباء العرب والمسلمين.

وتعتمد نظرية الرازى فى التشخيص بصفة عامة على وضع سؤال رئيس مؤداه : ما الفرق بين الأمراض، ومما يتكون هذا الفرق؟ ثم يخبرنا بكيفية التفتيش عن هوية محددة لهذا الفرق لمرضين أو أكثر متشابهين ظاهريًا، وينتهى مقررًا أن الفرق لا يبنى على أساس فهم حقيقته، ولكن يُبنى على قاعدة الملاحظة السريرية المختلفة عند الفحص. وذلك ما هو معمول به منذ الرازى، وحتى الآن.

ومن هنا أتى تحقيقى ودراستى ونشرى لكتاب مقالة فى النقرس للرازى. والكتاب يحمل رقم (6) فى سلسلة مؤلفات الرجل التى أعكف على تحقيقها ونشرها منذ سنوات طويلة . وليس من شك فى أن تلك المؤلفات تكتسب أهميتها من أن صاحبها يُعد بحق أعظم طبيب أنجبته العصور الوسطى

---

[1] انظر الرازى. مقالة فى النقرس. دراسة وتحقيق خالد حربى. دار الوفاء. الإسكندرية 2005. ص75 .

قاطبة، بل وحجة الطب فى العالم منذ زمانه، وحتى العصور الحديثة. وكل ذلك بغرض إحياء وإظهار جانب مشرق من جوانب تراثنا العربى الإسلامى المجيد، مازال فاعلاً حتى اليوم .

ولأهمية وفاعلية نص كتاب "مقالة فى النقرس" للرازى، صدرت نشرتى له فى بداية عام 2005 . وكان قد سبقها نشرة أخرى قام بها فريق العمل بإدارة المخطوطات (أكثر من مائة موظف) بقيادة يوسف زيدان بمكتبة الإسكندرية .

وبظهور نشرتى ، اكتشف المتخصصون والمهتمون بشئون التراث العلمى العربى، أنها أدق وأصوب من نشرة يوسف زيدان وفريقه، بل وصل الأمر بأحد الأساتذة المحترمين[1]، بدافع قومى قوى، إلى أن يؤلف كتابًا وضعه خصيصًا للمقارنة بين نشرة يوسف زيدان وإدارته (كفريق عمل يفوق عدده المائة) لنقرس الرازى، ونشرة العبد لله كفرد، وسمى الأستاذ الدكتور محمد خليفة السعداوى كتابه هكذا: "تراثنا المخطوط بين العبث والجدية، دراسة نقدية مقارنة بين نشرة مكتبة الإسكندرية "يوسف زيدان" ونشرة خالد حربى لنقرس الرازى" وانتهى بعد المقارنة العلمية الموضوعية المحايدة إلى التقرير بأن جهدى كفرد فاق (فبركة) يوسف زيدان وفريقه[2].

ويسعدنى ويشرفنى أن أضع أمام القارئ الكريم هنا مقتطفات من المقارنات العلمية الموضوعية المحايدة التى وضعها الدكتور السعداوى فى كتابه،

---

(1) الأستاذ الدكتور محمد خليفة السعداوى، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية .

(2) محمد خليفة السعداوى. تراثنا المخطوط بين العبث والجدية دراسة نقدية مقارنة بين نشرة مكتبة الإسكندرية "يوسف زيدان" ونشرة خالد حربى لنقرس الرازى. الإسكندرية 2005. ص32 .

والتى تبين بحق الفرق بين العبث والجدية فى التعامل مع نصوص تراثنا العربى الإسلامى المجيد .

ابتدأ الدكتور السعداوى مقارنة النشرتين قائلا[1].

تقع نشرة زيدان بلغاتها الأربع (العربية - الإنجليزية - الفرنسية - الألمانية) فى 178 صفحة، وتقع نشرة حربى باللغة العربية فقط فى 191 صفحة. قدم زيدان نشرته بمقدمة فى 3.5 صفحة، فى حين قدم حربى نشرته بمقدمة جاءت فى 103 صفحة .

وبعد أن رد على يوسف زيدان اتهاماته للرازى والتى أوردها فى مقدمة نشرته، وذلك بالأدلة العلمية التى وردت فى نشرتى، قال مانصه :

وبعد كل ما سبق، نصل الآن إلى نص "مقالة فى النقرس" للرازى فى كل من النشرتين. حيث يبدأ بصفحة 13 فى نشرة زيدان، ويبدأ بصفحة 104 فى نشرة حربى. وسوف نقارن صفحات النشرتين - ومعنا مخطوط الرازى أيضًا - بمحاولة الوقوف على مواضع الاختلاف. ونترك للمتخصصين الحكم على النشرتين ليقرروا أيهما أحق بالبقاء، فالبقاء فى العلم للأصوب.

فى ص13 من نشرة زيدان هامش (7) ورد فيه أن لفظة (إليه) ناقصة من المخطوط، وهى غير ناقصة لا من المخطوط ولا من نشرة حربى.

وفى الهامس (9) من نفس الصفحة قال زيدان فى ترجمة الأمير الذى كتب له الرازى الكتاب: هو منصور بن نوح السامانى صاحب خراسان وما وراء النهر يذكره ابن الأثير فى أحداث سنة 366هـ. فيقول : فى هذه السنة. مات الأمير منصور بن نوح، منتصف شوال. وكان موته ببخارى. وكانت

---

[1] محمد خليفة السعداوى. تراثنا المخطوط بين العبث والجدية، يوسف زيدان. وخالد حربى. ص16 - 17 .

ولايته خمس عشرة سنة، وولى الأمر من بعده ابنه أبو القاسم نوح، وكان عمره حين ولى الأمر ثلاث عشرة سنة، ولقب بالمنصور (الكامل فى التاريخ 673/8).

وفى نفس الهامش قال حربى - وهو المتخصص فى الرازى - فى نشرته أخطأ معظم المؤرخين القدامى - وتبعهم بعض الكتّاب الجدد - فى تحديد اسم وشخصية الأمير "منصور" الذى ألف له الرازى كتابه "المنصورى" وهذا الكتاب "النقرس" فقال ابن النديم والقفطى، وابن أبى أصبيعة: إنه منصور بن إسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر. وهذا خطأ. وقال ابن الأثير وابن خلكان ونظامى عروضى: إنه منصور بن نوح بن نصر السامانى، وذلك غير صحيح أيضًا والصواب أنه حاكم الرى منصور بن إسحق بن أحمد بن أسد الذى تولى من سنة 290 - 296هـ/ 902 - 908م من قبل ابنه عمه أحمد بن إسماعيل بن أحمد ثانى ملوك السامانيين. ولو دقق وعرف الذى أخطأ - يقصد يوسف زيدان - وقال هو منصور بن نوح الذى تولى 15 سنة وتوفى سنة 366. أى تولى سنة 351هـ، فلو عرف (فقط) أن الرازى توفى سنة 313هـ، لاستنتج أن الرازى توفى قبل أن يولد أميره المزعوم أصلاً (انظر التحقق من ذلك تفصيلاً فى، خالد حربى، الرازى الطبيب وأثره فى تاريخ العلم العربى، ملتقى الفكر، الإسكندرية 1999 ، ص82).

فى ص14 من نشرة زيدان ورد : الباب الخامس: لماذا لا (ينقرس النساء). فالفعل ينقرس للمذكر، وقد ورد هكذا فى المخطوط، ولم يصوّبه زيدان، وهو ما فعله حربى. فقال "تنقرس". وفى التعليق عليه فى الهامش قال زيدان إن كلمة "النقرس" غير عربية. بينما أكد حربى أنها عربية أصيلة اعتمادًا على الفيروزأبادى، فقال: النقرس فى اللغة: بالكسر، ورد ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين. والهلاك والداهية العظيمة. والدليل الحاذق الخريت. والطبيب الماهر النظار المدقق كالنقريس فيهما (القاموس المحيط

253/2)، ولم يكتف حربى بذلك، بل أورد تعريف النقرس فى الطب الحديث أيضًا (هامس 1/ص111) وهو الأمر الذى خلت منه نشرة زيدان الذى لم يُعرِّف النقرس لا لغويًا ولا طبيًا حديثًا، وذلك من أهم مقتضيات منـهج تحقيـق ونشـر النصوص المخطوطة[1].

احتوت نشرة زيدان على كثير من الألفاظ التى ذكر فى التعليـق عليـها فى الهوامش أنها وردت خطأ فى المخطوط، وبـالرجوع إلى المخطـوط – المرفـق بالنشرة – وجدنا أن مثل هذه الألفاظ صحيحة مثل "لحج" هكذا فى المخطـوط، فقال زيدان : إنها كانت اللحج (ص17) وكل ذلك ليوهم زيدان القارئ بأنه هو الذى صححها فى هوامشه تلك التى أراد لها أن تزداد بالافتراء على الرازى أو الناسخ، ومع ذلك جاءت أقل بكثير جدًا من هوامش خالد حربى[2].

هذا بالإضافة إلى أن زيدان غيّر بعض الألفـاظ الصحيحـة فـى المخطـوط وأوردها خطأ بدون التعليق عليها مثال ذلك (ص18) لفظة (إليها) أوردها هكذا وهى فى المخطوط (إليهما) وهو الصواب، والعبارة هى: "وتقطع انصباب المـادة إليهما" أى القدمين. فقدم واحدة هى التى يرد (إليها) يـا زيـدان. ومثـل هـذه الأمور تتنافى مع مبدأ الأمانة العلمية الذى يجب أن يتحلى بها المحقق[3].

فى ص19 من نشرة زيدان قال فى هامش (8) عن عبارة "غليظًا مريًا ولا محتدًا بلغميًا" تموضع خاطئ فى العبارة .. بينما قال خالد حربى عن نفس العبارة (هامش 1/ص 116): عبارة ما بين الأقواس جاءت فى منتهى الدقة من الرازى، وما يفهمها إلا المستوعبون جيدًا للنـص، حيـث أراد أن يشـير – فـى إيجاز متقن – إلى أن الصنف الثالث من النقرس يمكن أن يحدث إذا كان الـدم

---

[1] السعداوى. تراثنا المخطوط بين العبث والجدية . ص 19 .

[2] السعداوى. تراثنا المخطوط بين العبث والجدية . ص 19 .

[3] السعداوى. المرجع نفسه . ص 19 .

غليظًا مريًا أو محتدًا بلغميًا. ويحدث أيضًا من زيادة نسبة الدم فى الجسم مع ضعف القدمين . وقوله : "وإن لم يكن الدم فى جوهره غليظًا مريًّا أو محتدًا بلغميًا "يتضمن إثبات مبهم، يُفهم منه أن الصنف الثالث من النقرس يحدث عن الدم الغليظ المرى، أو المحتد البلغمى، أو عن كثرة وزيادة الدم بصفة عامة. وعلى ذلك يمكن توضيح أصناف النقرس وأسبابها فيما يلى :

الصنف الأول ← سببه أن يكون الدم مريًا .

الصنف الثانى ← سببه أن يكون الدم بلغميًا غليظًا .

الصنف الثالث ← سببه أن يكون الدم غليظًا مريًا أو محتدًا بلغميًا أو من كثرة وزيادة الدم فى الجسم . انتهى كلام خالد حربى فقارن أيها القارئ الكريم بين محقق فاهم ومستوعب للنص وآخر عكسه[1].

فى ص124 من نشرة خالد حربى قال الرازى : "وقد يوجد دليل سادس، يؤخذ من البول < إن كان > (غليظًا نيًا) ، فلفظة غليطانيًا قرأها حربى هكذا، وهى قراءة صائبة، تعنى إن كان البول غليظًا . أما زيدان (ص26) فأخطأ خطأ فادحًا بقراءته لها (غليظًا نيًا) وكأنه يريد أن يعلمنا أن من البول ما يكون نيًا، ومنه ما يكون مطبوخًا، وإن كان لم يرشدنا بطريقة طبخه، فيكون له السبق فى ذلك، ومثلما "يعمل من الفسيخ شربات" كما يردد دائمًا! ولكن يبدو أن شرباته جاءت هذه المرة فى منتهى المرارة[2]!

مع أن كتاب الرازى مقسم إلى أبواب، ولم تذكر فيه لفظة (فصل) إطلاقًا، إلا أن زيدان قال فى هامش (1) ص27 (لاحظ عنوان الفصل التالى) فالذى لم يدرك إذا كان الكتاب مقسمًا إلى أبواب أم فصول. فما بالك بتحقيقه لمتنه[3].

---

[1] السعداوى. المرجع نفسه . ص 20 .

[2] السعداوى. المرجع نفسه . ص 20

[3] السعداوى. المرجع نفسه . ص 21

فى نهاية الباب الحادى عشر من الكتاب قال الرازى : "فأما العدس والباذنجان والفطر والقنبيط والكرنب وما أشبه ذلك من الأشياء المتعفنة من الكشك والمصل فإنهما مذموميين". وعلى صفة "مذموميين" وضع زيدان هامش وغيّرها إلى مذمومان، معتقدًا أنها تعود على الكشك والمصل فقط (هامش 3/ص 31). أما حربى فقد وضع هامشه على (فإنهما) وغيرها إلى (فإنهم) وقال (هامش6، ص130) ط : فإنهما، والصواب كما أوردته، لأن الصلة (مذموميين تعود على كل المفردات التى ذكرها، وتضر بصحب النقرس، وهى : العدس، والباذنجان، والفطر، والقنبيط، والكرنب، والكشك، والمصل واستطرد قائلاً: إذا كانت الصفة تبدو إنها تعود على مفردين اثنين (الكشك والمصل) فهذا ليس صحيحًا حيث ورد بالمخطوط (بياض) بمقدار كلمة، بعد كلمة المصل مباشرة، فيكون مقصود الرازى أن صفة الذم تعود على جمع، وليس على مثنى، وهنا يبدو حربى وكأنه يريد أن يقول لزيدان: أقرأ النص قراءة مستوعبة لكى تفهمه[1].

فى الباب الثالث عشر قال الرازى: "فأما الإسهال الذى يحتاج أن يستعمل فى الأخلاط وجذبها عن العروق كالأهليلج وما يجرى مجراه فهذه صفته: "هذه الفقرة حققها زيدان هكذا (ص37): فأما الإسهال الذى يحتاج أن يستعمل فى الأخلاط الحارة لجذبها من العروق – كالإهليلج وما يجرى مجراه فهذه صفته .. واضح أنه استبدل لفظ (الحادة) (بالحارة) بدون الإشارة إلى ذلك فى الهامش (4، 5) كما غيّر فى الهامش (4، 5) (بجذبها) إلى (لجذبها) و(فالإهليلج)، إلى (كالإهليلج)، ويفهم من ذلك أن الإهليلج هو الذى يجذب من العروق. وهذا فهم خاطئ لأن الرازى يقصد الأخلاط الحادة – وليست الحارة كما ادعى عليه زيدان – هى التى تجذب عن العروق[2].

---

[1] السعداوى، المرجع نفسه ، ص 21 .

[2] السعداوى، المرجع نفسه ، ص 22 .

أما حربى فقد حقق نفس الفقرة هكذا : "فأما الإسهال الذى يحتاج أن يستعمل فى: الأخلاط الحادة وجذبها عن العروق (فبطبيخ الإهليلج) وما يجرى مجراه (وهذا) صفته: وقال فى هامش (1) ص139 : عبارة ما بين الأقواس وضعها الرازى فى غاية الإيجاز ودقة التعبير الذى لا يفهمه إلا المستوعب والفاهم لنص الكتاب بأكمله - فضلاً عن التمرس بأسلوب الرازى فى كتبه الأخرى - فالرازى يقصد أن الأخلاط الحادة الموجودة فى الجسم بصفة عامة يجذبها الإسهال - بالأدوية المركبة التى سوف يوصفها - بعيدًا عن العروق التى يصاب صاحبها بالنقرس إذا ذهبت تلك الأخلاط إليها[1].

وفى نفس الباب، قال الرازى: "يؤخذ من الإهليلج الأصفر وزن خمسة دراهم منقا (منقى) من نواه فيدق وينخل بحريرة ويصب عليه من الماء المغلى أوقيتين، ويحرك ويصفى .. "واضح أن كل هذه الأفعال تعود على لفظ الإهليلج، وليس على الخمسة دراهم فقط وذلك هو مقصود الرازى، ة والذى فهمه حربى جيدًا، وذلك الفهم الذى جاء عكس فهم زيدان. الذى تصور أن صفة (منقى) تعود على الخمسة دراهم فيغيّر فى صواب نص الرازى، وفهم حربى، فقال : "خمسة دراهم منقاة من نواة" ولو تدبر فى الأفعال التى أتت مباشرة بعد عبارة "منقاة من نواة" التى أوردها، وهى : فيدق، وينخل ويحرك ويصفى - كما فهم حربى - أن مقصود الرازى هو : منقى من نواه "مع الاعتذار للرازى نيابة عن زيدان، وتطبيقًا للقاعدة الفقهية "العذر بالجهل"[2].

فى الباب الرابع عشر قال الرازى: "والطريق الأخرى أن يستعمل الفصد.." وضع كل من زيدان وحربى هامش على لفظة (الأخرى) وفى الوقت الذى غيرها زيدان - جهلاً بقواعد اللغة - إلى (الآخر) (ص41) ثبتها حربى

---

[1] السعداوى. المرجع نفسه . ص 22 .

[2] السعداوى. المرجع نفسه . ص 23 .

وعلق عليها قـائلاً: (ص146) هكـذا فـى المخطـوط (أى الأخـرى) وذلـك عـين الصواب من الناحية اللغوية، فالطريق فى اللغة مؤنثـة! وكأنـه يُعلّـم زيـدان - وفريقه - قائلاً قل (الطريق الأخرى) ولا تقل (الطريق الآخر).

فى الباب الخامس عشر قال الرازى : "ولكن يحتـاج إلى أن يسـتقصى إخراج كل ما فى المعدة لأن (كلما) يبقى فيها بعـد التـهوع يفسـد ويسـتحيل". وضع كل من زيدان وحربى هامش على لفظه (كلما)، وفى حين غيّرها زيدان- جهلاً بقواعد اللغة العربية أيضًا إلى (كل ما)، ثبتها حربى كما أوردها الـرازى (كلما) وعلق عليها فى الهامش (ص 149) قائلاً: هذه لقطة لغوية بديعة أوردها الرازى، فلفظة "كلما" تنقسم فـى الأصـل إلى (كـل - مـا) ومـا موصلـة بمعنـى الذى، وعليه فلا تأتى متصلة بكل إلا فى حالة الشرط نحو قولـه تعـالى "كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا". وقياسًا على ذلك قـال الـرازى: كلما يبقى فيها بعد التهوع (فعل الشرط) يفسد ويستحيل (جواب الشرط)[1].

فى الباب السابع عشر مـن المخطـوط قـال الـرازى : "يـداف الشـمس بالدهن" ووضع كل من زيدان وحربى هامش على لفظة (يـداف)، وقـال زيـدان فى الهامش (ص50) "فى المخطوط : (يدلف) ولا معنى لها .. والمقصود بقولـه يداف أن يذاب الشمع فى الدهن ويخلط به". إن المدقق فى هذه العبارة سرعان ما يكتشف أن زيدان يناقض نفسه مع (تلكيك) واضح ضـد الـرازى، فيقـول إن الرازى أورد اللفظة (يدلف) ثم يقول: لا معنى لها هنا .. وبعدها مباشرة يقول: والمقصود بقوله (يداف) وهذا إقرار بأن الرازى أوردها يداف. وهو بذلك يكـذب على نفسه وعلى القارئ وينتهى بتشدين تعريـف خـاطئ للفظـة يـداف قـائلاً: والمقصود بقوله يداف أن يذاب الشمع فى الدهن ويخلط به: فتأمل أيها القارئ الكريم وقارن ذلك بما أورده خالد حربى - المتمرس بتحقيـق الكتـب الطبيـة -

---

[1] السعداوى. المرجع نفسه . ص 24 .

تعليقًا على نفس اللفظة إذ قال يداف: فعل مضارع اصطلح على أنه مصطلح طبى قديم شاع استخدامه بمعنى (يخلط) إلا أن البعض من المحدثين (يقرأه ويفسره) بمعنى (يُذاب) وهذا خطأ حيث أن فعل (يذاب) لابد وأن يتبع بحرف الجر "فى" فنقول يذاب كذا (فى) كذا وهو مالم يحدث فى معظم أمهات كتب تاريخ الطب العربى والتى استخدمت الفعل بمعنى "يخلط: "والذى أتى فى كل حالاته متبوعًا بحرف الجر (باء) فيقال يداف كذا (بـ) كذا، أى (يُخلط) وهاك بعض الأمثلة التوضيحية الظاهرة فهمها للعيان: ".. وهكذا زعم أن الطين إذا (ديف) بخل"، أى إذا خُلط بخل، وليس إذا (ذاب) بخل. و"فإن جميع هذه الأقراص، لما كانت تجفف تجفيفًا شديدًا، صارت تنفع الجراحات الخبيثة بعد أن (تداف) مرة بشراب حلو، ومرة بعقيد العنب. "، وعلى هذا المثال قد (تداف) أيضًا هذه الأقراص فى بعض الأوقات بالخل وبالشراب وبالماء.."، و"لأنه قد (يداف) بكل واحد من هذه الأنواع فيكون منه دواء نافع" .. وهكذا يتضح جليًا أن الفعل (يداف) يعنى (يُخلط)، ولا يعنى (يُذاب)، فتيقن! (الأمثلة التوضيحية مأخوذة من جامع ابن البيطار 3/ 145 – 146)[1].

وفى الباب العشرين، ورد العنوان فى المخطوط: "العرون" وكذلك (فتضعف)، والمقصود: (العشرون) و(تضعف) فأصلحهما زيدان وحربى، لكن الأول لم يشر إلى ذلك – وكأنه الرازى – فى حين أشار الثانى فى هامش (1) ص165، وهامش (1) ص166. وبهذا الباب ينتهى كتاب الرازى "مقالة فى النقرس" إلا أن سقطات نشرة زيدان لم تنته بعد، وإليك الآتى، خلافًا لما سبق:

أسقط زيدان ألفاظًا من المخطوط مثل (من) ليضع بدلاً منها من عنده (على) هامش 3– ص23 وليقول : لا يستقيم بدونها سياق العبارة، ومع ذلك لم تستقم كما استقامت عند حربى الذى وضع بدل (من) (مع)، وأشار إلى ذلك فى

---

[1] السعداوى. المرجع نفسه . ص 25 .

هامش 5– ص120. وبعض الألفاظ موجودة فـى المخطـوط، ولا يسـتقيم السـياق بدونـها، فقال عنـها زيدان: زيادة فى المخطوط"، ومع ذلك تركها فى المتن. وقد اتفق جمهور المحققين - الثقات - على أن اللفظ الزائد يرفع من النص، مثـال لفظة (ماء) هامش 11– ص29 من نشرة زيدان[1].

تدخل زيدان فى النص بدون استئذان صاحبه، فغيّر ألفاظًا (صحيحة) من المخطوط بدون الإشارة إليها فى الهامش، مثل (وكل سن) ص33، وهى فى المخطوط (ولكل سن) وهو الصـواب. وفـى ص34 (يقلـل)، وهـى فـى المخطـوط (نقلـل)، وهـو الصـواب. وفـى ص35 (اسـتمرأه) أوردهـا هكـذا كمـا هـى فـى المخطوط، لكنه كتب فى الهامش أنها فى المخطوط (استمره). وأيضًا (مـا فيـه) ص48، أوردها هكذا كما هــى فـى (المخطـوط) وكتـب فـى الهـامش أنـها فـى المخطوط (بما). وفى ص50 (دقاقا)، وهى فى المخطوط (رقاقا)، وهو الصــواب. ومثل هذه الأمور تعد من قَبيلْ التعدى السافر على مؤلف النـص، وتبعـد تمامـا عن أمانة المحقق العلمية[2].

فى هامش 7– ص36، أورد زيدان (:+خ : وقـد صـار)، أى أن (وقـد صار) زيادة فى المخطوط، وهو الذى رفعها، والحقيقة أنها ليست كذلـك، بـل هو افتراء واضح يريد به زيادة هوامش الصفحة. وفى المقابل هناك ألفاظ سـاقطة من المخطوط، وقال عنها فى الهامش إنها زائدة، مثل لفظة (الخصيان) ص21. ويدخل فى محاولة زيادة هوامـش الصفحـة بـدون وعـى أيضًـا، تغيـيره الرسـم الإملائى لبعض الألفاظ فى حرف أو اثنين، ليقـول هـو الـذى صححـها، مثـل (نتى) ص52، وهى هكذا فى المخطـوط، فوضـع عليـها هامشـا، وقـال: "فـى

[1] السعداوى، المرجع نفسه، ص 26.

[2] السعداوى، المرجع نفسه، ص 26.

المخطوط (بقى)، وهو كذب، وتلك حيلة دنيئة يتقنها مرتزقة التراث، ويعرفها عنهم، المحققون الثقات[1]

احتوت نشرة زيدان على تشكيل خاطئ لبعض الألفاظ مثل (الحلُم)، أوردها (الحِلْم) ص22، والرازى يقصد: "ما العلة التى لها لا يحدث النقرس بالصبيان قبل وقت الحلُم" (عنوان الباب السابع من المخطوط). وأيضًا: (خَبزه) أوردها (خُبزه) ص32، والرازى يقصد : "وأكله فى اليوم الثانى من خَبزه" (الباب الثانى عشر من المخطوط). و(تُخرج) أوردها (تخْرج) ص40، فتغير المعنى أيضًا عن مقصود الرازى، وهو: "وما أشبه ذلك من الحبوب التى تُخرج الأخلاط كلها عن البدن" (الباب الثالث عشر من المخطوط)، فأنظر الفرق بين (تُخرج) للرازى، و(تخْرج) لزيدان بالنسبة للأخلاط[2].

والأفظع والأشنع أنك ترى زيدان فى بعض المواضع، يقلب الصواب كما أورده الرازى إلى خطأ، مثل لفظة (وتبين) 46، فخطأ الرازى: وقال: (ويبين)، والعبارة فى المخطوط ونشرة حربى هى: "فإذا قوى العضو بصب الماء البارد، لم يقبل مادة، وبردت المادة التى انصبت إليه، وسكن الألم (وتبين) للعليل صلاح كثير" (الباب السادس عشر من المخطوط، وص152 من نشرة حربى)، فتبين أيها القارئ الكريم.

وكل ذلك فضلا عن أن زيدان – ومعه فريق عمله – قد تسرع حتى فى نسخ المخطوط، فسقط منه ألفاظ بدون أن يشعر، لاهو، ولا فريق عمله، وذلك مثل لفظة (المرى) ص23. والعبارة هى – فى المخطوط الباب الثامن وحربى ص120 –: "النقرس الذى يحدث عن الدم المرى الحار" فأوردها زيدان هكذا: "النقرس الذى يحدث عن الدم الحار"، ولو نظر فقط – لادقق – إلى السطر

---

[1] السعداوى. المرجع نفسه . ص 27 .

[2] السعداوى. المرجع نفسه . ص 27 .

الأعلى من السطر الذى أسقط منـه اللفظـة، لوجدهـا فيـه، وهـو عنـوان البـاب الثامن: "ما دليل النقرس الذى يحدث عن الدم المرى؟" وأسقط زيدان أيضًا شبه جملة (فى طعامه) ص23، والعبارة هى - فى المخطـوط البـاب الثـامن وحربـى ص120- "والجوارشنات الحارة وما أشبه ذلك". وأسقط زيـدان حـرف الجـر (فـى) ص52، والعبـارة هـى - فـى المخطـوط البـاب الثـامن عشـر، وحربـى ص162 "فأما فى أوائلها"، فأوردها زيدان "فأما أوائلها" وهكذا..[1].

وفى الاتجاه المضاد من اتجاه الإسقاط من النص، تـرى زيـدان يضيـف فى النص من عندياته بدون الإشارة إلى ذلـك مثـل عبـارة: (سـاعة أن يصفـى) ص38، فلفظة (أن) غير موجودة فى المخطوط، وفى مثل هذه الحـالات يجـب بل ويحتم على المحقق أن يقول: "زيادة يقتضيها سياق النص"، أو أى عبـارة من هذا القبيل. والعجيب أن زيادة زيدان هذه أشارت إلى عدم فهم النص، دلنا على ذلك نفس الموضوع من نشرة حربـى (ص139)، إذ ورد: "ويصفـى ويلقـى عليه من الإهليلج الأصفـر المـنزوع النـوى المسـحوق المنخـول، وزن أربعـة عشـر درهما < ويغلــى > سـاعة < و > يصفـى وهـو يغلـى غليانـا شـديدا، ويحـرك ويترك" فما بين القوسين زيادتان من حربى، أشار إليهما فى هامش الصفحة، وبهما تم ضبط النص وفهمه[2].

ويدخل فى ذلك أيضًا تغيـير زيـدان لبعـض الألفـاظ بـدون الإشـارة إلى ذلك، وبدون أن يدرى أنه عكس المعنى الذى أراده الـرازى (المخطـوط، البـاب الثالث عشر) وفهمه حربى (ص140) فغيّر زيـدان (فـى) إلى (مـن). والـرازى يقول: "فإن أراد مريد أن يلين طبيعته (فى) هذا الحـال بحبـوب، اتخـذ حبًـا هذه صفته: "فالرازى الطبيب يقصد من هو (فى) حالة، أو مصـاب بـالنقرس،

---

[1] السعداوى. المرجع نفسه . ص 28 .

[2] السعداوى. المرجع نفسه . ص 29 .

بينما فهم البروفيسور زيدان "أن يلين طبيعته (من) هذا الحال. أى أن يتخلص نهائيا من النقرس"[1]!

وننتهى من كل ذلك إلى أن نشرة زيدان قد خلت تماما من آية فهارس للتحقيق الذى يتطلب منهجه العلمى، صنع مثل هذه الفهارس فى نهاية النص المحقق. أما نشرة (حربى) فقد تضمنت سبعة فهارس، بالإضافة إلى معجم (عربى - لاتينى - إنجليزى - فرنسى) لبعض المصطلحات الواردة فى نص الرازى وبيان الفهارس هو :

1- فهرس الكلمات الواردة .

2- فهرس الأدوية المفردة والمركبة .

3- فهرس الأطعمة .

4- فهرس الطيور والحيوانات .

5- فهرس الأمراض .

6- فهرس الموازين .

7- فهرس الإعلام [2].

وإذا علمت عدد المصطلحات والكلمات والأدوية والأطعمة والطيور والحيوانات والأمراض والموازين والأعلام التى احتوتها فهارس نشرة حربى، وهو (136) (فى 7 فهارس بخلاف المعجم) لفهمت على الفور لماذا لم يصنع زيدان فهارسا لنشرته، والسبب هو أنه لم يعلق ويشرح إلا على (42)، وترك هذا العدد الضخم من المصطلحات (94) مصطلحا بدون تعريف أو تعليق. ناهيك عن بعض ما عرفه من مصطلحات جاء خاطئا. فضلا عن أن معظم تعريفاته

---

(1) السعداوى. المرجع نفسه . ص 29 .

(2) السعداوى. المرجع نفسه . ص 30 .

جاءت مقتضبة لا تؤدى المعنى الكامل الذى يريده القارئ فى النصوص المحققة[1].

ومن الأمثلة على النموذج الأول، أقصد تعريفاته الخاطئة، الهامش رقم9. ص13 وهو الخاص باسم الأمير الذى ألف له الرازى (الكتاب)، فقد سبق أن ذكرت أن هامش حربى رقم 1، ص108 خطأه، وذكر منصور آخر، غير منصور زيدان (ارجع لبداية المقال). ومن هذا القبيل أيضًا مصطلح "المنتن" هامش 4، ص40، قال زيدان نصا – من عندياته، حيث لم يذكر مرجع – "أظنه – تأمل ظنه هذا بعد قليل – يقصد بالمنتن الحلتيت، وهو دواء بشع الرائحة، ومنه صنف لا رائحة له، لكن فعله ضعيف". قارن أيها القارئ الكريم ذلك التعريف الزيدانى بما ورد عند حربى، هامش 3، ص144، إذ قال: "المنتن هو الحلتيت، والحلتيت هو صمغ، فتأمل فى قول من قال – وهو ليس بطبيب أو صيدلانى أو حتى عشّاب – "دواء بشع الرائحة، ومنه صنف لا رائحة له، لكن فعله ضعيف"، وقول من قال – مستعينًا بأقوال لأئمة الطب العربى مثل الرازى، وابن سينا، وابن البيطار –"دواء بليغ فى علل العصب لا يعدله شيء من الأدوية . وله فى ذلك خاصية عجيبة"[2].

أما النموذج الثانى والخاص بأن معظم تعريفات زيدان الباقية "مقتضبة" لا تؤدى المعنى، فمنها الهندباء، وعنب الثعلب (ص24)، التربد، السكبينج، الجاوشير (أوردها خطأ الجاوشى) الوشن (ص39)، الكاكنج، أنواع الطين (ص48)، لسان الحمل (ص49) حى العالم، أشراس (ص50)، بزرقطونا (ص51). وهاك مثال واحد فقط من ذلك، ويمكنك مراجعة الباقى فى الصفحات المشار إليها : (لسان الحمل) قال زيدان: "نبات مشهور منه نوعان:

---

[1] السعداوى. المرجع نفسه . ص 30 .

[2] السعداوى. المرجع نفسه . ص 31 .

كبير، وصغير ينبت فى الأجام والسباخات والمواضع الرطبة "وقال حربى (هامش 4، ص156) : "لسان الحمل (الثور) (البوراجو) Borago : عشب حولى، وقد يزرع لمدة عامين متتاليين، ساقه قائمة عصيرية سميكة. ويصل ارتفاع النبات إلى أكثر من 60سم. وتغطى الساق بشعيرات كثيفة تشكل ما يشبه الفرشاة الكثيفة. وأوراقه كبيرة يصل طولها من 11 - 21سم. والأزهار نجمية الشكل صغيرة لايزيد قطرها عن 25سم، ولونها أزرق فاتح، وهى تجذب لها النحل، ولذلك يزرع النبات فى المناطق التى يكثر فيها تربية النحل خاصة إنجلترا وفرنسا. وينتشر فى سوريا ويسمى (الحمحم)، كما أخذت العديد من الدول فى زراعته، حيث يستعمل منه فى الطب رؤوسه المزهرة، والأوراق الخضراء بعد تجفيفها فى الظل (على الدجوى، موسوعة النباتات الطبية .. 244/1)"[1].

وإلى هذا الحد تنتهى مقارنتنا بين نشرة خالد حربى، ونشرة مكتبة الإسكندرية بمعرفة يوسف زيدان وفريقه، تلك المقارنة الموضوعية المحايدة - من الجلدة إلى الجلدة - والتى عرضت على كبار العلماء فأقروا بكل ما جاء فيها ونحن إذا نضعها أمام أكبر قدر من المتخصصين، والمهتمين، وجمهور القراء الواعى ليشاركونا الرأى بأن الجهد الفردى المخلص والجاد قد يفوق (فبركة) مؤسسة كاملة. فنشرة خالد حربى لنقرس الرازى تفوق - بالأدلة التى قدمناها - نشرة مكتبة الإسكندرية أو بالأحرى نشرة يوسف زيدان[2].

---

[1] السعداوى. المرجع نفسه . ص 32 .

[2] السعداوى. المرجع نفسه . ص 32 .

## 8- الجدرى والحصبة Small – Pox Measles

وقد وضع الرازى فى وصف الجـدرى والحصبـة رسـالة مـن 14 فصـلا تُعتبر من أفضل ما بقى من التُراث الطبى فى الإسلام. وقـد بـين الـرازى فيـها علاقة الطفح بارتفاع درجة الحرارة، ونبـه إلى ضـرورة فحـص القلـب والنبـض والتنفس أثناء المرض[1]، وكذلك البراز، وأدلى بنصـائح قيمـة فـى سـبيل وقايـة الوجه والفم واجتناب التشوهات التى من شأن الجدرى أن يحدثها.

ويُعد كتاب الجـدرى والحصبـة مـن أقيّـم الكتـب التاريخيـة فـى علـم الأوبئة، وهو إحدى روائع الطب الإسلامى كما يقول سارتون[2]. وهو من أوسـع مقالات الرازى الطويلة الكثيرة الشهرة فى أوروبا، والتى نشرت لأول مرة باللغة العربية مصحوبة بترجمة لاتينية قام بها شاننج Channing بلندن سنة 1766. وكان قد سبقها ظهور ترجمة لاتينية لهذه الرسالة فى فيينا سـنة 1556، كمـا ظهرت ترجمة إنجليزية قام بـها جرينـهل Greenhill ونشـرتها جمعيـة سـيد نهام سنة 1848. وقد عرفت هذه الرسالة فيما مضى باسم الوبـاء de Pestes، وهى كما يقول نوبرجر Neuburger "تعتبر حيث تكون حلية التأليف الطبـى العربى وزينته، ثم يُتابع كلامه قائلاً "إنها تحتل مكانة عالية من الأهمية فـى تاريخ علم الأوبئة باعتبارها أول مقالة عن الجـدرى، وهـى تُظـهر الـرازى فـى صورة الطبيب ذى الضمير المتحرر من أسر الهـوى، والـذى يسـير فـى الطريـق الذى خطه أبقراط".

---

[1] كارم السيد غنيم. ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين. الزهراء للأعـلام العربـى بـدون تاريخ. ص128

[2] عمر فروخ. عبقرية العرب فى العلم والفلسفة. المكتبة العصرية ببيروت. الطبعة الرابعة 1985. ص119.

ويقول ول ديورانت[1]. وكانت رسالته فى الجـدوى والحصبـة آيـة فـى الملاحظة المباشرة والتحليل الدقيق، كما كانت أولى الدراسات العلمية الصحيحة للأمراض المعدية، وأول مجهود يبذل للتفرقة بين هذين المرضين. وفى وسعنا أن نحكم على ما كان لهذه الرسالة من بالغ الأثر واتساع الشـهرة إذا عرفنـا أنـها طبعت باللغة الإنجليزية أربعين مرة بين عامى 1498، 1866.

ولبيان أهمية وخطورة كتاب الجدرى والحصبة للرازى بصـورة أوسـع، أترك الحديث لأحد المستشرقين الغربيـين (المغرضـين فـى أحيـان كثـيرة) وهـو دنلوب، والذى ترجمت له كتابه "الرازى فى حضارة العرب"، حيث يقول[2]: ويمكن أن نأخذ النص التالى كمثال لكلام الرازى فى الجدرى والحصبـة، يقـول الـرازى : بمجـرد ظـهور أعـراض الجـدرى، يجـب أن نعتنـى عنايـة خاصـة بالعينين، وبعد ذلك بالحلق وفيما بعد بالأنف والأذن والأربطة بالطريقـة التـى سأصفها. وبالإضافة إلى هذه الأعضاء، قد يكون من الضرورى أحيانًا بالنسبة لنا أن يمتد اهتمامنا ليشمل أخمص القدمين، وكف اليدين، لأنه أحيانًـا مـا ينشأ ألم شديد فى هذه الأماكن بسبب ظهور طفح جلـدى بـها، كمـا تزيـد خشـونة الجلد الأمر صعوبة .

وبمجرد ظهور أعراض الجدرى قم بوضع ماء الورد فى العينين من وقت لآخر. واغسل الوجه والعينين بالماء البارد عدة مرات فى اليوم. وذلك لأنـه لـو كان وقوع المرض محتملاً، وكانت البثرات قليلة العدد، فإنك بهذه الإجـراءات ستمنع ظهورها فى العينين. "وهذا ما يجب عمله حقًا لوقايـة أكـثر. لأنـه إذا كان مرض الجدرى محتملاً. ولكن نسبة حدوثه ضئيلة فإنه من النـادر حـدوث

---

[1] ول ديورانت، قصة الحضارة جـ2 من المجلد الرابع. عصر الإيمان . م. س. ص191 .

[2] دنلوب. الرازى فى حضارة العرب. ترجمة وتقديم وتعليق خـالد حربـى. دار الثقافـة العلميـة. الإسكندرية 2002. ص13. وبعدها .

أى بثور فى العينين. ولكن عندما ترى أن الطفح شديد والبثور معدودة فى بدايته، مع وجود حكة فى الجفون واحمرار فى بياض العينين. وتكون بعض الأماكن أكثر احمرارًا من أماكن أخرى، فإنه فى هذه الحالة ستزداد البثور بالتأكيد إذا لم يتم اتخاذ إجراءات حازمة وشديدة جدًا

لذلك ينبغى فى الحال وضع نقط ماء الورد الذى نُقع فيه السماق[1] فى العينين. ولعدة مرات يوميًا. وسيكون من الأكثر فاعلية أيضًا عمل قطرة (غسول) للعينين من ماء الورد، يقطر بعضها فى العينين. أو يقطر فيهما بعض من عصير حب الرمان الحامض بعد أن يُدق جيدًا ويعصر ويصفى بقطعة قماش نظيفة. وبعد ذلك يتم غسل العينين بالغسول أو القطرة المركبة من قرن الخشخاش[2] الأحمر، وعصير عنب غير مكتمل النضج، والصبار، وأقاقيا[3]

---

[1] السُماق Rhus. من أسمائه: التمتم، والعبرب، والعربرب، والقذب، والعترب. وهو نبات منه خرسانى ومنه شامى أحمر عدسى أى ثمرته كحبة العدس ولكنها حمراء. ويذكر ابن سينا فى "القانون" أن طبيخه يسود الشعر، ويضمد به ليمنع الورم، وينفع الدامس، ويمنع تزايد الأورام وقيح الأذن (الرازى، منافع الأغذية ودفع مضارها، تحقيق حسين حموى، دار الكتاب العربى. سوريا 1984. هامش ص63).

والسماقية. هى طبيخ السماق. وتعرف فى الموصل حتى الآن باسم (سماق الربيع)، تطبخ كما تطبخ الحصرمية. ولكن يبدل عصير الحصرم بماء السماق المنقوع والمصفى. ويضاف إليها قليل من السلق المقطع. وقطع الجزر، وكبب لحم أحمر (الرازى، المنصورى فى الطب، تحقيق حازم البكرى الصديقى. معهد المخطوطات العربية، الكويت 1987، هامش ص661) (المترجم).

[2] الخشخاش Papaver (أبو النوم) عشب حولى يصل ارتفاعه إلى 50 – 150سم. له أوراق مفصصة. تحوى أنسجتها مادة لبنية. ويحمل العشب أزهارًا طرفية كبيرة بيضاء أو بنفسجية. والثمرة علبة مستديرة الشكل تنفتح بواسطة ثقوب، وتعرف باسم "أبو النوم"، وهى التى يستخرج منها مادة الأفيون Opiun (على الدجوى. موسوعة النباتات الطبية والعطرية. مطبعة مدبولى. القاهرة 1996. الجزء الثانى. ص252) .

[3] أقاقيا. هو نبات القرظ المعروف فى بلاد العرب. ومنه المثل القائل : "كمنتظر القارظين. الذى يضرب لمن ذهب وغاب ولا أمل فى رجوعه

بمقدار جزء من كل واحد منهم. (عشر) من الزعفران[1] فإذا قطرات أيضًا بعضًا من هذا الغسول فى العين، فإنه سيكون مفيدًا فى هذا الوقت .

ولكن إذا رأيت المرض شديد، والطفح مستمر فى الانتشار، بحيث إنك تستطيع أن تستنتج أن البثور ستظهر فى العين، لأنك سترى احمرارًا متزايدًا فى بعض أماكن الغشاء الصلب الأبيض الموجود فى حدقة العين نفسها، وتجد أنه عندما تقطر فيها بعض الأدوية التى وصفنها. فإنها لا تزيد الاحمرار كلية، ولكنها تقلله لوقت ما، وبعده يعود بشدة أكثر مما كان عليه من قبل، أو على الأقل يعود الاحمرار، ويستمر كما كان قبل أن تستعمل هذا العلاج. ففى هذه الحالة لا يجب أن تستمر أكثر من ذلك فى استعمال مثل هذا العلاج. وقطر فى العين بدلاً منه قليلاً من الكافيار النباتى، والذى لا يوجد به خل أو أى حمض آخر.

إن البثور التى تنشأ فى غشاء العين الصلب الأبيض لا تؤثر على الرؤية. ولكن البثور التى تنشأ فى القرنية تعوق الإبصار، ويجب معالجتها طبقًا لدرجة بروزها بواسطة مثل هذه الأدوية المذابة القوية، والتى سنتناولها بالتفصيل، والتى تكون أحيانًا ناجحة حقًا، وأحيانًا لا تكون طبقًا لحالة البثور من حيث قلتها أو كثرتها، أو بروزها.

---

[1] الزعفران : بالسريانية الكُركُم. والفارسية كركيماس. ويسمى بالجساد. والجاتد. والرعبل. والدلهقان. وهو نبات ينبت كثيرا بالمغرب. زهره كالباذنجان . فيه شعر يميل إلى البياض. إذا فُرك فاحت رائحته. وهو يدرك فى أكتوبر. ولا يعدو أصله فى الأرض خمس سنين. ومن منافعه أنه يقوى الحواس ويهيج شهوة الباد فيمن أيس منه ولو شما. ويذهب الخفقان شربا. وإن خُشيت به تفاحة وأدمن شمها صاحب الشوصة والبُرسام (التهاب الرئة) والخناق. برأ (داود الأنطاكى. تذكرة أولى الألباب الجامع للعجب العجاب. المعروفة بتذكرة داود). جزءان. طبعة مكتبة للثقافة. القاهرة (د. ت). الجزء الأول. ص202 .

ولكن إذا نشأت بثرة كبيرة فى غشاء العين (وعاء طبقة العين)، فعندئذ أمزج الكحل فى ماء الورد، وقطره فى العين عدة مرات أثناء النهار، ثم ضع على العين ضمادة، أو قطرة فيها بعض من الغسول المذكور أعلاه بعد إضافة مقدار من الزعفران والهيماتيت[1]. وبذلك قد لا يقع أو يظهر أى بروز كبير.

وهذه الأشياء هى ما يجب معرفتها فيما يتعلق بالعين فى هذا المقام.

وينبغى بعد ذلك الاهتمام بالحلق والفم لكى لا تنشأ أى بثور فيهما تزعج المريض، أو تعوق تنفسه، لأن هذا الأمر قد يقع فى الأنواع السيئة للجدرى المستعصى على العلاج، وعند حدوث نوبات الاختناق العنيفة. وعندما يصل المريض إلى هذه الحالة، فلا أمل فى شفائه.

ولهذا السبب ينبغى على المريض، بمجرد بدأ أعراض الجدرى فى الظهور، أن يتغرغر بعصير الرمان الحامض، أو بمزيج السُماق أو عصير التوت الأبيض المركز، أو بعض من تلك الأشياء التى ذكرناها.

وإذا لم يكن فى متناول اليد شىء مُعَدْ، فيمكن استخدام الماء البارد النقى. ويجب أن يكون ذلك بكثرة، حتى لا يكون هناك أى طفح فى الحلق على الإطلاق. وإذا ظهر الطفح، فسيكون قليلاً جدًا. ولذلك يجب أن تقوى هذه الأماكن حتى لا يتم مهاجمتها ببثور قليلة، الأمر الذى يؤدى إلى الاختناق.

ويجب على المريض أن يسرع، ويثابر فى استخدام هذا العلاج عندما يكون هناك بالإضافة إلى أعراض الجدرى، خشونة أو نشاز فى الصوت، وصعوبة فى التنفس، وألم حول، وفى الحلق.

فاذا رأيت هذه الأعراض شديدة جدًا، فقم بإخراج الدم[2] من وريد الرأس، وذلك حتى بعد انتهاء الطفح كلية. أما إذا وجد المريض أى شىء فى

---

[1] الهيماتيت : يعرف بحجر الدم. وهو خام هام من الحديد ذو لون أحمر.

[2] يقصد عملية الفصد Blood Leting وهى عملية إخراج الدم بشق العرق.

فمه أو فى حلقه يسبب له الألم، ولم تكن درجة حرارته مرتفعة، فعندئذ دعه يلعق تدريجيًا الزبد الممزوج بحلوى السكر الأبيض. ولكن فى حالة عدم وجود أى حرارة أو طفح، أعطه مزيج من الهلام النباتى لحبوب عشبة البراغيث. واللوز المقشر، وحلوى السكر الأبيض. وبذلك سيكون المريض على استعداد للشفاء التام.

يتضح من هذه العملية الدوائية الطويلة، مدى إتقان ودقة طريقة الرازى العلاجية بوضوح شديد. وذلك ليس بأى شكل طبى بدائى، ولكن على العكس من ذلك سنقتنع بالاتفاق مع مايرهوف فى قوله بإن الرازى كان بلا شك أعظم طبيب فى العالم الإسلامى، وواحد من الأطباء العظام فى جميع الأزمنة .

وعلى أية حال فإن مثل هذا النوع من النقاش يُظهر الطب العربى فى أوجه، وأفضل صوره. وما يقوله الرازى هنا قد قال به ابن سينا فيما بعد.

يتضح مما سبق أن كتابات الرازى تتصف بالموضوعية ومقتضية، إلا أنها واسعة المعانى وعميقة، ولا يدخل فيها من كليات الطب الفلسفية، إلا ما يُحقق الفائدة المضمونة فى التطبيق. والرازى دون شك أول من كتب من الأطباء العرب فى القواعد الطبية بشكل متكامل فى التشخيص والعلاج ومبادراته وابتكاراته الطبية هى الأساس الذى ارتفع عليه صرح الطب العربى فيما بعد[1]. وذلك بالإضافة إلى المؤلفات العلاجية المليئة بأسماء النباتات، والأعشاب الطبية التى عالج الرازى بها مرضاه، والتى تجرى عليها الأبحاث حاليًا للعودة إلى العلاج بما يصلح منها.

---

[1] كمال السامرائى. م.س. ص16 .

# الفصل الثالث

## منهج البحث العلمي

## عند الرازي

# عناصر الفصل

**تمهيد**

**أولاً : معالم المنهج التّجريبى :**

1- المُلاحظة　　　2- التَّجربة

3- الفُروض　　　4- تحقيق الفروض

**ثانياً : منهج البحث العلمى عند الرازى .**

1- تمهيد :

2- مراحل المنهج عند الرازى .

**أ - الملاحظة عند الرازى**

1- الملاحظة الوصفية　　　2- اقتران الملاحظة بالخبرة

3- الملاحظة المقارنة

**ب - التجربة عند الرازى :**

1- التجربة الموجهة　　　2- التجربة الصيدلانية

3- التجربة الذاتية　　　4- التجربة الكيميائية

**جـ - الفروض وتحقيقها عند الرازى .**

- بيان أهمية نصوص الرازى المختارة من الناحية المنهجية والابستمولوجية.
- خاتمة الفصل (النتائج)



**- تمهيد :**

المنهج هو الفكرة المركزية التى تميز أى علم من العلوم[1]. ويقـوم منـهج البحث العلمى فى العلوم الطبيعية - والطب من بينها - على المشاهدة Observation، والتجربة Experiment، إلى جانب القيام بأعمال يُطلق عليها ألفاظ مثل الاختبار Test، والتأييد Comfirmation، والتحقيق Verification. ويختلف ترتيب هذه الخطوات من مذهب إلى آخر :

ففى المنهج الاستقرائى Inductive Method نجد العالم يرتب قضاياه بحيث تكون المشاهدة والتجربة هى الأساس الذى يقوم عليه سائر القضايا فى النظرية الواحدة، مما يؤدى إلى الكشف عن قوانين الظواهر وصياغة النظرية العلميّة.

وفى المنهج الاستنباطى Deductive Method نجد العالم يجعل من الفروض والقضايا العامة أساسًا، بينما يأتى دور المشاهدة والتجربة كتأييد للفرض أو استبعاده[2].

وواضح أن كلا المنهجين يعتمدان أساسًا على خطوات واحدة. ويتمثل الاختلاف بينهما فى ترتيب هذه الخطوات.

ويأتى الحديث فى هذا الفصل عن منهج البحث العلمى عند الرازى. ومن المعروف أن الرازى قد اتبع المنهج التجريبى لاعتماده على المشاهدة والوصف والتجربة فى بحوثه. لذا فإن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: ما هذا المنهج؟ وما عناصره؟ وللإجابة على هذا السؤال يجدر بى أن أتعرض بصورة

---

[1] ماهر عبد القادر محمد : التراث الإسلامى. الكتاب الأول "العلوم الأساسية" المركز المصرى للدراسات والأبحاث 1985. ص105 .

[2] راجع محمد على أبو ريان. وآخرين: دراسات فى المنهج العلمى لدى الأطباء العرب
1- دراسة مقارنة عن منهج ابن سينا فى كتاب القانون. مجلة الإسكندرية الطبية العدد الأول 1972. ص3

موجزة لخطوات المنهج التجريبى، وذلك لكى تكون موجها يرشدنا إلى استخلاص عناصر المنهج التجريبى من بين أفكار الرازى التى تشير الى ذلك. لاسيما وأنها أشتات متفرقة فى كثير من كتبه.

وهناك سؤال منهجى آخر هو: إلى أى من فريقى البحث ينتمى الرازى؟ هل يتفق مع الاستقرائيين، هؤلاء الذين يتصورون العلوم كلها قائمة فى جمع المشاهدات، واشتقاق القضايا العامة منها بعد اختبارها بالتجربة. أم أنه ينتمى إلى الاستنباطيين، هؤلاء الذين يتصورون العلوم جميعًا فى صورة مقدمات مسلم بصدقها، نتأدى منها إلى نتائج؟ هذا ما سوف يتضح فى نهاية الفصل.

## أولاً: معالم المنهج التجريبى:

### 1- الملاحظة Observation:

الملاحظة، هى توجيه الانتباه نحو ظاهرة ما بغرض مشاهدتها. وتختلف ملاحظة الرجل العادى عن مُلاحظة العالم، فالرجل العادى لا يبغى التوصل إلى كشف علمى. وهذا ما يجعل ملاحظته تخضع لغرض النفع العام الخاص بالحياة العملية. أما الملاحظة العلمية للعالم، فإنها تتجاوز مجرد مراقبة الظواهر لأنها تعنى تركيز الانتباه لغرض البحث، وذلك يتطلب بصيرة ذات تمييز وإدراك عقلى لأوجه الشبه والاختلاف، وحدة الذهن وقدرته على التمييز والفهم العميق. فبعد أن تنقل الحواس (وأهمها البصر) للعقل ما يلاحظه من وقائع. فإن على الباحث أن يقوم بإدارة العقل حول الوقائع التى تلقاها من الحس. ويعمل نقده فيها، لأن الحس قد يُلقن العقل إحساسات خاطئة. لكن الذهن المتأهب سرعان ما يُدرك مواضع الخطأ فى الموضوعات التى عرضت عليه. وهذا الموقف من العقل يدفع العالم إلى محاولة التثبت من ملاحظاته عن طريق استخدام الدليل العكسى[1].

---

[1] راجع ماهر عبد القادر محمد: أسس المنطق الصورى ومناهج البحث العلمى. دار المعرفة الجامعية 1997. ص159 وبعدها.

وتتضمن الملاحظة الفعالة[1] مراقبة شيء ما وتقدير أهميته بإرجاعه إلى شيء آخر مُلاحظ ومعروف من قبل، ولذلك فهي تشتمل على عنصرين في آن واحد : الإدراك الحسِّي، والعُنصر الذهني .

والملاحظة العلمية بالمعنى الدقيق[2]. هي تلك التي يبدأها المرء من فرض يحاول التحقق من صحته. ويجب أن تكون هذه المُلاحظة دقيقة كل الدقة. فلا نغفل أى عامل قد يكون له أثر في إحداث الظاهرة. ومن أجل هذا كان علينا أن نفرق – كما فعل كلودبرنارد – بين نوعين من الملاحظة: الملاحظة البسيطة، والملاحظة المسلحة. فالأولى تقوم على الحواس المجردة مباشرة، أما الثانية فنستعين في تحقيقها بالأجهزة المختلفة التي تساعدنا في اكتشاف ظواهر لا يمكن أن تُكتشف بالحس المُجرد، أو وضع الظواهر تحت سلطاننا، ومُراقبتها بدقة، أو تكرار الظواهر في أحوال ملائمة.

## 2- التجربة Experiment:

أما التجربة، فتعني ملاحظة الظاهرة بعد تعديلها تعديلاً كبيرًا أو قليلاً بإضافة بعض الظروف عن عمد، بحيث تكشف الظاهرة عن خصائصها التي لا تتوفر لنا ملاحظتها في الظروف الطبيعية. لذلك تسمى التجربة أحيانًا "ملاحظة مستثارة" حيث لا تقف عند تسجيل ما تجود به الطبيعة، بل تتدخل باستثارة ظاهرة معينة. وتُسجل ما تكشف عنه في حالتها الجديدة. والتجريب نوعان: نوع يُسمى التجريب للرؤية يبدؤه الإنسان دون فرض في ذهنه يود تحقيقه. والنوع الثاني هو التجريب الحقيقي، وفيه نبدأ من فرض نعتقد بصحته ونجرى التجارب من أجل تحقيقه[3].

---

[1] و. أ. ب. بفردج: فن البحث العلمي. ترجمة زكريا فهمي. دار النهضة العربية 1963. ص171.

[2] عبد الرحمن بدوى. مناهج البحث العلمي. وكالة المطبوعات الكويت 1977. ص135.

[3] محمد محمد قاسم: المدخل إلى فلسفة العلوم. دار المعرفة الجامعية 1996. ص63 .

وللتجربة غرضان[1]. كثيرًا ما يكون كلاهما مستقلاً عن الآخر، فهي تُتيح ملاحظة وقائع جديدة لم تكن متوقعة من قبل، أو لم تكن معالمها قد اتضحت بعد تمامًا. وتحدد مدى مطابقة الفرض المعمول به لعالم الوقائع الملاحظة كما تتضمن التجربة عادة إحداث واقعة تحت ظروف معروفة، يُستبعد فيها أكثر قدر ممكن من المؤثرات الخارجية، ويُمكن إجراء ملاحظة دقيقة، وبذلك يمكن التوصل إلى ما بين الظواهر من ارتباطات.

**3- الفروض Hypotheses:**

الفرض في معناه العام "ظن" Guess أو تخمين، أو "افتراض" Supposition يتقدم به الباحث لتفسير واقعة ما، أو إيجاد علاقة ما بين مجموعة من الوقائع. ومادام الفرض اقتراح، فقد يتطور أثناء البحث إلى سلسلة من الاقتراحات التي تفضي إلى مزيد من الأبحاث العلمية وتفسير وقائع جديدة[2].

والفرض هو أهم وسيلة ذهنية لدى الباحث، ووظيفته الرئيسية هي أنه يُوحي بتجارب أو ملاحظات جديدة. والواقع أن أغلب التجارب وكثيرًا من المشاهدات تُجرى خصيصًا لاختبار الفروض. ومن الوظائف الأخرى للفرض أنه يساعد على تقدير أهمية شيء أو حادث قد لا يعني شيئًا لولا هذا الفرض. فالعقل المؤمن بفرض التطور مثلاً قادر على القيام بعدد من المشاهدات الهامة أثناء رحلة ميدانية، يفوق بكثير ما يمكن أن يقوم به ذهن غير مزود بهذا الفرض فمن الواجب استخدام الفروض وسيلة للكشف عن حقائق جديدة، لا غايات في ذاتها[3].

---

(1) راجع بفردج، المرجع السابق، ص ص32 – 33.

(2) راجع ماهر عبد القادر، المرجع السابق ص ص185 – 186.

(3) بفردج، المرجع السابق، ص84.

وتكشف دراسة أعمال العلماء واكتشافاتهم عن صلات وثيقة بين الفرض والخيال والحدس. أما عن الخيال، فإن العلماء والمبتكرون يعرفون أهميته في الأبحاث العلمية وفى التوصل للاكتشافات المتعددة. ومن أمثلة ذلك: أن انتقال نيوتن من تفاحة ساقطة إلى قمر ساقط، كان عملاً من أعمال الخيال المتأهب. فأصالة الكشف العلمى ترتد إلى الخيال الذى يتحلى به العالم ويجعله يقوم بتركيب أشياء جديدة ليست موجودة فى الواقع أصلاً على حالتها التركيبية. وهذا ما يجعلنا نقول عن مكتشف ما أنه "موهوب"[1]. ولا تقل أهمية عامل الحدس فى الكشف العلمى عن الخيال، بل إن من العلماء مثل "أينشتين" من يجعل له الصادرة فى الكشف العلمى. ولكن بعض المناطقة مثل كارل بوبر ينظرون إلى عامل الحدس على أنه قفزة لا عقلية أو لا منطقية من المجهول إلى المجهول ويشيرون بهذه القفزة إلى خطوة الفرض[2].

4- تحقيق الفروض :

بعد وضع الفروض المناسبة نبدأ فى تمحيصها أولاً اعتمادًا على منهج مزدوج، سلبى فى جانب، وإيجابى فى الجانب الآخر : يتمثل المنهج السلبى فى استبعاد الفروض التى لا تتفق يقينًا مع الحقائق المسلم بها من قبل أو القوانين الثابتة، كما يتصل به ما يسميه "كلودبرنارد" (برهان الضد). ومعناه أن نأتى ببرهان مضاد على الحالة التى أثبتناها إن أمكن. ففى امتحان العكس نوع من إثبات الأصل. أما فى المنهج الإيجابى فنقوم بإثبات صحة الفروض فى كل الأحوال المتغايرة المكنة .. فإذا ما لاحظنا مع التنويع المستمر حدوث الظاهرة تابعة لعلة معينة على الدوام، نستطيع أن نثبت صحة الفروض يقينًا[3].

---

[1] ماهر عبد القادر : المرجع السابق ص186 .

[2] المرجع السابق . ص193 .

[3] محمد محمد قاسم : برتراند راسل : الاستقراء ومصادرات البحث العلمى. دار المعرفة الجامعية 1996. ص42 .

ومما لا شك فيه أن التحقق من الفروض فى المنهج العلمى يتم عن طريق التجربة. ويتضمن المنهج العلمى بصورته التقليدية والمعاصرة طرق عدة لهذا التحقق تبدأ من فرنسيس بيكون (1561 - 1626) صاحب القوائم الثلاثة: الحضور، والغياب، ودرجات المقارنة. وجون ستيوارت مل (1806 - 1873) وطرقه الخمس: الاتفاق - الاختلاف - الجمع بين الاتفاق والاختلاف - البواقي - الاقتران في التغيير . مرورًا بالوضعية المنطقية ومبدأ التحقيق . وكارل بوبر (1902 - 1994)، ومبدأ القابلية للتكذيب.. وغير ذلك.

تلك كانت مراحل أو عناصر المنهج التجريبى الذى يصطنعه العلم الطبيعى (ملاحظة - تجربة - فروض - تحقق من الفروض) بصورته التقليدية والجدير بالذكر أن ترتيب هذه الخطوات يختلف فى المنهج العلمى المعاصر الذى يبدأ من حيث انتهى المنهج التقليدى، فيبدأ من الفروض. ويحاول التحقق منها عن طريق الملاحظة والتجربة .

وقبل أن انتقل إلى محاولة الكشف عن هذه المراحل عند الرازى. تجدر الإشارة إلى نقطة هامة فى هذا الصدد، وهى تتعلق بنشأة هذا المنهج التجريبى الذى يصطنعه العلم الطبيعى. حيث كانت مثار جدل بين الباحثين. فمنهم من رده إلى قدماء المصريين منذ أقدم عصور التاريخ. ومنهم من أرجعه إلى أرسطو خاصة وعلماء اليونان بوجه عام . ولكن جمهرة الباحثين على اتفاق فى أن هذا المنهج كان اختراعًا أوربيًا وضع أصوله الباحثون من الغربيين فى مطالع العصور الحديثة. بل ترتد نشأته على وجه التحقيق إلى فرنسيس بيكون فى إنجلترا إبان القرن السابع عشر. ويقتضى المنهج فى صورته التقليدية أن يتوخى الباحث دراسة الظواهر الجزئية كما هى موجودة بالفعل فى عالم الواقع. عن طريق ملاحظتها وإجراء التجارب عليها - متى تيسر ذلك - والتوصل عن طريق

هذه الدراسة التجريبية للوقائع المحسوسة إلى وضع قوانين عامة، تمكن الباحث من السيطرة على الطبيعة، والإفادة من مواردها، وتحقيق الرخاء والرفاهية في حياة الإنسان، ولا سبيل إلى إقامة العلوم الطبيعية في كل صورها بغير هذا المنهج الاستقرائي التجريبي، ومن هنا أخذت العلوم الطبيعية تنشأ في أوروبا منذ القرن التالي لنشأة المنهج العلمي (القرن الثامن عشر)، وكان منها ما يدرس الجزئيات الجامدة كعلم الطبيعة، والكيمياء والفلك ونحوه، ومنها ما يدرس الكائنات الحية كعلم الطب ووظائف الأعضاء وغيرهما[1].

لكن استقراء تاريخ الفكر يشهد بأن العرب كانوا في العصور الوسطى أسبق من الغربيين إلى ابتداع المنهج التجريبي التقليدي بكل خطواته ومراحله واصطناعه في البحث العلمي الصحيح مما أدى إلى سبقهم في ابتداع العلوم الطبيعية وإقامة بنياتها[2].

ويرتد المنهج التجريبي عند المسلمين إلى منهجهم في القياس الأصولي[3]، أو قياس الغائب على الشاهد عند علماء أصول الفقه والمتكلمين. ويقوم هذا القياس على الفكرتين اللتين أقام جون استيوارت مل استقراءه العلمي العلمي عليهما، وهما قانون العلية أو التعليل The Law of Universal caustion، وقانون الإطراد في وقوع الحوادث The Law of uniformity nature. ولم يكتف الأصوليون بهذا، بل يرون أنه لابد من طرق لإثبات العلة،

---

[1] توفيق الطويل: العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي. ودراسات عملية أخرى. دار النهضة العربية 1968. ص31 .

[2] نفس المرجع ص32، وراجع في ذلك: محمد جلال موسى. منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الكونية. دار الكتاب اللبناني. بيروت 1972.

[3] على سامي النشار. مناهج البحث عند مفكري الإسلام. ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاطاليسي. دار الفكر العربي. ط الأولى 1947. ص87 .

لأن العلة هى الصفات التى يستند عليها الحكم فابتدعوا طرقًا لإثباتها[1] توازى طرق الاستقراء التى وضعها المحدثون لتحقيق الفرض

## ثانيًا : منهج البحث العلمى عند الرازى

### 1 – تمهيد :

من الثابت أن العلماء المسلمين لم يكتبوا كتابات واضحة فى المنهج كما هو الحال اليوم. إلا أنهم قد اتبعوا طريقة أكاديمية دقيقة فى الدرس والتلقين، إذ كانوا يتحدثون عن الموضوعات التى يكتبون فيها. وفى أثناء الحديث كان المصنف يرى أنه من الضرورى أن يذكر قاعدة معينة، أو خطوة منهجية ضرورية لأجل البحث وتحرى الصدق، وحث القارئ أو المتعلم لأهمية اتباع تلك الخطوة بالذات دون غيرها. ولكن هذه القواعد كانت ترد على سبيل التنبيه لا التخصيص. وهذا ما نلمسه فى مجال الطب[2].

فلقد اهتم أطباء المسلمين اهتمامًا بالغًا بالطب السريرى، وذلك إنما يرجع إلى اهتمامهم البالغ بالمنهج التجريبى فى العلوم الطبيعية، ولاسيما الطبية منها، ويؤكد ذلك الكم الهائل من المؤلفات الطبية الذى وصلنا من تراث الحضارة الإسلامية، حيث يتضح منها أن المنهج التجريبى فى أدق وأجلى

---

[1] وهذه الطرق هى : أ – أن تكون العلة مؤثرة فى الحكم. ب – أن تكون العلة وصفًا منضبطًا غير مضطرب. وهذا يوجب أن تكون ظاهرة جلية حتى يمكن نقلها إلى الفرع. وأن تكون سالمة. أى لا يردها نص أو إجماع. وألا تكون معترضة بعلل أقوى منها. وألا توجب للفرع حكمًا وللأصل حكمًا غيره وألا توجب ضدين. جـ – أن تدور العلة مع الحكم (المعلول) وجودًا. فكلما ظهر. ظهر (طريقة التلازم فى الوقوع عند مل). د – أن تدور العلة مع الحكم عدمًا. فكلما اختفت اختفى (طريقة الاختلاف فى الوقوع عند مل). (أنظر المرجع السابق. ص89 – 91).

[2] ماهر عبد القادر. التراث الإسلامى. م. س. ص105 .

خطواته المعروفة حاليًا كان هو أسلوب ومنهج أطباء الحضـارة الإسـلامية سـواء كان ذلك فى ممارسة الطب أو فى تعليمه[1].

ويأتى الرازى فى مقدمة هؤلاء الأطبـاء الذيـن اسـتخدموا هـذا المنـهج، حيث تعد آثاره من الركائز الهامة فى تاريخ هذا العلم، ولعل أهم ما فيها هـو، وضع الرازى للمبادئ الأساسية لعلم السـريريات البحتـة، وعـدم الوقـوف عنـد المبادئ النظرية، فلقد بهر التراث اليونانى العلمى والفلسفى الذى نقل إلى اللغة العربية أطباء القرنين الثانى والثالث من الهجرة لدرجة أنهم قد شـعروا تحـت وطأة هذا التراث بنوع من التبعية الفكرية تجلت فى مؤلفاتهم فيما بعـد. وفيمـا يختـص بـالطب كـانت أقـوال كـل مـن أبقـراط وجـالينوس – لاسـيما نظريـة الأخلاط[2] لا تساورها أى شك. وقد تبارى علماء ذلك العصر فى تفسير أسـباب الأمراض وأعراضها على أساسها، مستمدين من هذا المذهب ضربًا من الاطمئنان الفكرى، عازفين عن التحقق والتجربة[3].

أما الرازى فقد تحرر فكريًا مـن تأثـير هـذه المذاهـب والنظريـات، فلـم يرض بالتسليم بما تتضمنه، إلا بعد إقـرار التجربـة بذلـك، فقـد كـان اهتمامـه الأول منصبًا على التجربة العلمية باعتبارها أضمـن الطـرق وصـولاً إلى الحقيقـة العلمية، وقد أدرك الرازى أن التجربة علـم ذات أصـول وفـروع، وكـان ينصـح تلامذته بإحكام الأصول وقراءة الفروع فإنه من غير هذين لا يصح لـه شـىء ولا

---

[1] راجع أحمد فؤاد باشا. علوم الطب فى تراث المسلمين، مجلة الأزهر جـ11. عدد إبريل 1995. ص1532 .

[2] أنظر تفاصيل هذه النظرية فى الفصل الأول من هذا الكتاب .

[3] الرازى. كتاب القولنج. تحقيق صبحى محمود حمامى. منشورات جامعة حلب. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. معهد المخطوطات العربية. ط الأولى 1983 . ص8 .

يهتدى لأمر من الأمور فى الصناعة[1]. وكان يصف الأطباء الذين يقتصرون على النظر فى الكتب بالجهل، بل ويحذر منهم لأنهم ينظرون فى الكتب فيستعملون منها العلاجات وليس يعلمون أن الأشياء الموجودة فيها ليست هى أشياء تستعمل بأعيانها، بل هى مثالات جعلت لتحتذى عليها وتعلم الصناعة منها[2].

ومن هنا كان الرازى يفضل ويؤازر الطبيب الذى يعتمد على التجربة. ويقف بجانبه إذا ما اختلف فى الرأى مع طبيب القياس، وذلك لأنه يرى أن أغاليط الفن النظرى تفوق أغاليط الفن العملى[3]. فلابد للطبيب من أن يجمع بين رجلين أحدهما فاضل فى الفن العلمى من الطب، والآخر كثير الدرية والتجربة. ويصدر عن اجتماعهما فى أكثر الأمر. فإن اختلفا فى شيء فليعرض ما اختلفا فيه على كثير من أصحاب التجارب، فإن أجمعوا جميعًا على مخالفة صاحب النظر، قبل منهم[4].

## 2- مراحل المنهج عند الرازى

### أ : الملاحظة

#### ( أ ) الملاحظة الوصفية

إن من أهم ما يتميز به الرازى عن غيره من الأطباء المعروفين الذين حدثنا عنهم ابن أبى أصيبعة، وغيره من مؤرخى الطب العربى، هو تدوينه للحالة المرضية، والتى تسمى فى الطب الحديث الحالة السريرية Clinical

---

[1] الرازى. رسالة إلى أحد تلامذته. مخطوط بدار الكتب المصرية. ضمن مجموعة تحت رقم 19 طب تيمور. ورق 117 وجه .

[2] نفس المصدر . نفس الصفحة .

[3] جلال موسى. منهج البحث العلمى عند العرب .. م. س. ص187 .

[4] الرازى. محنة الطبيب. نقلا عن المرجع السابق. نفس الصفحة .

case[1]. وهى السيرة المرضية لشخص معين، والشكوى، ونتائج الفحص. وتطور الأعراض نحو الأحسن، أو نحو الأسوأ بسبب ظروف معينة تحيط بذلك الشخص. فإذا أصيب شخص ما بمرض من الأمراض، وأصيب شخص أخر بنفس المرض، وظهرت عليه نفس الأعراض ذاتها، فعندئذ يقرر الرازى بأن لدينا حالتين سريريتين وليس حالة سريرية واحدة، وذلك لأن لكل مريض منهما ظروفه الصحية والجسمية والنفسية الخاصة به، والتى تؤدى إلى شدة المرض، أو نقصه، أو الشفاء منه، أو الهلاك به[2].

وقد اتبع الرازى الأسلوب العلمى الصحيح فى تناوله للأمراض[3]. فيبتدء بتعريف المرض، ويثنى بذكر أعراضه، وينتهى إلى ذكر العلاج. فيقول مثلا عن إسهال الأطفال: "ويتكرر حدوث الإسهال فى الأطفال من سبب ظهور الأسنان كما ذكرنا، أو الصفراء والبلغم، وعلامة كونه من الصفراء هو: إذا كان لون براز الطفل ليمونيا ذا رائحة حادة ويخرج دون توقف. وعلامة البرد والبلغم هو: كون البراز أبيض يخرج منقطع، وإذا كان البلغم لزجا فالخروج يأتى سريعا.

ومن الأمثلة القوية على استخدام الرازى لأسلوب الملاحظة الوصفية الدقيقة، ذلك الوصف - الذى يعتبر الأول من نوعه فى تاريخ الطب - الذى ميز به بين أعراض مرضى الجدرى والحصبة إذ يقول: "يسبق ظهور الجدرى حمى مستمرة تحدث وجعا فى الظهر وأكلان فى الأنف وقشعريرة أثناء النوم. والأعراض الهامة الدالة عليه هى: وجع الظهر مع الحمى والألم اللاذع فى

---

[1] عادل البكرى. دراسة لبعض الحالات السريرية التى ذكرها الرازى. بحث ضمن: أبو بكر الرازى وأثره فى الطب م. س ص41 .

[2] خالد حربى . بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية. م. س. ص429 .

[3] محمود الحاج قاسم محمد : تاريخ طب الأطفال عند العرب - جامعة بغداد. مركز إحياء التراث العلمى العربى. ط الثالثة 1989. ص91 .

الجسم كله، واحتقان وألم فى الحلق وفى الصدر مصحوب بصعوبة فى التنفس، وسعال وقلة راحة . والتهيج والغثيان والقلق أظهر فى الحصبة منها فى الجدرى على حين أن وجع الظهر أشد فى الجدرى منه فى الحصبة"[1].

ولم يترك الرازى صغيرة، ولا كبيرة تتعلق بالمريض، إلا وسجلها فى سجل خاص ليعرف ما إذا كان لها من تأثير فى حدوث المرض أم لا. فكانت صفحة المريض عند الرازى عبارة عن دراسة تحليلية متضمنة: تاريخ إصابة المريض، وتطور حالته ووصف مزاجه، والاستفسار منه عن اسمه، وجنسه، ومهنته، وعمره، وبيئته، وأحوال معيشته، وعما إذا كان قد أصابته أمراض سابقة، أو أمراض وراثية فى أهله أو فى بيئته[2]. ومن امثلة ذلك ما ذكره فى "الحاوى" عن عمر المريض "رأيت خراجًا فى الرئة جمع ونفث دمًا صار مدة وبرئ، وذلك فى صبى ابن خمس سنين[3]. وذكر عن المهنة أنه عالج: وراقًا، وبذارًا، وصانعًا، وبوابًا .. إلى غير ذلك. هذا إلى جانب وصف مزاج المريض ووضع اسمه قرين المرض الذى أصابه، وكل ذلك فى استمارة المريض الخاصة.

فكان الرازى يدون كل مشاهدته، ويعطى خبرته بطريقته السريرية الخاصة. ومعظم كتبه تحمل طابعه العلمى الذى اتخذ من المريض خير كتاب يستنسخه عن استجواباته وفحصه، ومعالجته مسجلاً جميع مشاهداته وخبرته الخاصة فى خدمة الطب[4].

---

(1) النص نقلا عن ماهر عبدالقادر محمد : دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى دار المعرفة الجامعية 1991. ص322 .

(2) راجع : أحمد فؤاد باشا. علوم الطب فى تراث المسلمين. م. ص ص1532 .

(3) الرازى. الحاوى طبعة حيدر أباد الدكن بالهند (15 جزء) 1971 . مجـ 4 . ص115 .

(4) خالد ناجى. الرازى استاذ الطب السريرى. بحث ضمن أبو بكر الرازى وأثره فى الطب. م. س. ص41 .

ويتضح هذا بوضوح من الحالات الإكلينيكية التى ذكرها فى كتابه "الحاوى"[1]. وقد اتفق كل من أطلع على هذا الكتاب على أن هذه الملاحظات السريرية هى خير دليل على مهارة الرازى ودقة ملاحظاته، وغزارة علمه، وقوة منطقه فى استخراج النتائج من معطيات البحث "الإكلينيكى"[2]. وهى تتعلق بدراسة سير المرض، والعلاج فى كل حالة مع تطور حالة المريض ونتيجة العلاج[3].

## 2- اقتران الملاحظة بالخبرة :

وكثيرًا ما كان الرازى يقرن ملاحظاته بخبرته السابقة فى تشخيصه للمرض وتقديم العلاج المناسب. ومن أمثلة ذلك: أن جاءته امرأة قال عنها: أنها تجوع ولا تشبع ويعرض لها لذع فى المعدة، وصداع، فسقيتها أيارجًا، فأسهلها حيات طوالاً ، الواحدة إثنا عشر ذراعًا وأكثر، فسكنت عنها تلك الشهوة المفرطة. وعلمت أن ذلك كان من أجل امتصاص تلك الحيات كل ما كانت تأكله.

---

[1] لقد جمع المستشرق ماكس مايرهوف هذه الحالات ونشرها ذاكرًا أن عددها ثلاث وثلاثون حالة Max Meyerhof : Thirtythree clinical Observation by Rhazes, Isis, Vol23, No.66 September 1935 بينما ذكر الدكتور جلال موسى أن عدد هذه الحالات هو أربعة وثلاثين حالة. وهذا هو الرأى الصواب. ومن أمثلة هذه الحالات ما يلى:

يقول الرازى: نقى رجل بدنه بالسقمونيا. فأصابه فى اليوم الثالث إن قام براز كثير مع لذغ وحده، ثم لم يزل ذلك يتعاهده بأدوار ونوائب كأن يتقدمه لذع ووجع. ثم يخرج براز كثير. وكان هذا الرجل يتعاهده القولنج، فعلمت أن أمعائه كانت ضعيفة من الأصل. وأن السقمونيا أصابها. فصارت تقبل الفضول من الجسم. فغذوته بحساء من خندروس. وحب الرمان. فسكن الوجع. إلا أقله ثم سقيته عصارة السماق لتقوى أمعائه وتصلح تقرحًا إن كان حدث فى سطح الأمعاء. وأمرته أن يأكل خبزه بشراب قابض. ويأكل الفاكهة القابضة بشىء قليل. فبرأ برأ تامًا (الحاوى 3/6).

[2] الأب جورج قنواني: تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والوسيط م. س. ص134 .

[3] قدرى طوقان. العلوم عند العرب. دار مصر للطباعة بدون تاريخ. ص137 .

فالحالة هنا هى وجود (حيات البطن) أو الدودة الوحيدة فى الأمعاء، والتى يزيد طولها على الأثنى عشر ذراعًا أى ستة أمتار، وهذا هو طولها الحقيقى، وهى تسبب الجوع واضطرابات المعدة، وفقر الدم الذى أحدث الصداع عند هذه المرأة التى ذكرها الرازى. أما المعالجة فكانت بالأرياج، وهو دواء يحتوى على السقمونيا، والأنتيمون، والروند، والزعفران، والجنطيا، وغيرها، له تأثير مسهل، ومدر للبول، وطارد للديدان[1]. وقد استخدم الرازى خبرته السابقة فى تشخيص هذه الحالة "وعلمت أن ذلك كان من أجل امتصاص تلك الحيات كل ما كانت تأكله" وقد ساعده ذلك على تقديم العلاج الناجح.

ومما يدل أيضًا على أن الرازى كان شديد الملاحظة لا تفوته ظاهرة دون أن يقرنها بخبرته سواء فى الحيوان أو الإنسان، قوله مثلاً عن ملاحظاته فى النفاخات المائية[2]: "أنه قد يحدث نفاخات ماء فى ظاهر الكبد أكثر من حدوثه فى سائر الأعضاء". ويستطرد فيقول: "نرى فى كثير مما نذبح من الحيوانات نفاخات فى أعلى الكبد مملوءة من ذلك الماء، فإن اتفق فى بعض الأوقات أن تنفجر هذه النفاخات، فإن ذلك الماء ينصب فيعبر الفضاء الذى فى جوف الغشاء الممتد على البطن فى الموضع الذى يجمع فيه المستسقون الماء.. ومن انحرفت كبده، أدى إلى وجع مع حكة مستديمة فى فمه، ومؤخرة رأسه، وإبهامى رجله، وظهر فى قفاه بثر شبيه بالباقلاء ومات فى اليوم الخامس من طلوع الشمس، وأعراض هذا المرض اعتراء المريض حالة من عسر البول والتقطير. وهذا وصف لانفجار الأكياس الهايداتيكية وتوقف عمل الكلى.

---

[1] عادل البكرى م. س. ص67 والحالة فى الحاوى 91/5.

[2] خالد ناجى. م. س. ص32.

### جـ الملاحظة المقارنة :

يمكن أن أقف على هذا النوع من الملاحظات عند الرازى من نقده للأطباء السابقين عليه فى مواضع عديدة. ومن أمثلة ذلك ما يلى:

1- أثبت الرازى بمتابعة مشاهداته أن جالينوس قد وقع فى خطأ. فقد أخطأ جالينوس فى تشخيصه لمرض "القولنج" على أنه حصاه فى الكلى. فيذكر الرازى أن جالينوس قال فى كتابه "فى الأعضاء الآلمة": إنه كان حدث به وجع شديد فى ناحية الحالبين والخواصر، وأنه كان لا يشك أن به حصاه فى إحدى نواحى الكلى إلى المثانة، وأنه لما احتقن وخرج منه بلغم لزج، سكن وجعه على المكان، فعلم (الرازى) أنه أخطأ فى حدسه، وأنه كان به وجع القولنج[1]. ولكن الرازى قد استطاع من خلال تركيز انتباهه على ما هو مشاهد أن يقف على جوانب الشبه والاختلاف بين أعراض الحصاة فى الكلى، وأعراض القولنج وقرر وفقًا لمشاهدته الدقيقة أعراض وعلاقات هذا المرض وهى: "إذا حدث فى البطن تحت السرة أو فى إحدى الخاصرتين وجع شبيه بالنخس.. ثم كان معه غثى وتقلب نفس، واشتد سريعًا، حتى يعرق العليل منه عرقًا باردًا، فأظن أنه وجع القولنج، ولاسيما إذا كان الذى به هذا الوجع قد أصابه قبل ذلك تخم كثيرة أو أكثر من أطعمة غليظة أو باردة[2].

ويؤكد الرازى على أن تشخيص القولنج ليس أمرًا هينًا نظرًا لتشابه آلام الأحشاء الموجودة فى الجوف السفلى من البطن. "وقد يحدث فى الأمعاء أوجاع يظن بها أنها وجع القولنج فى ابتداء كون السحج (التقرحات المعوية) وترك

[1] الرازى. كتاب القولنج. ص40 .

[2] الرازى. القولنج ص40 .

الحيات والديدان، وذلك ينبغى أن تكون عنايتنا بتفصيل هذه الأوجاع المشبهة لوجع القولنج منه عناية شديدة، لئلا يقع فى العلاج خطأ[1].

ويأتى تشخيص الرازى للقولنج أيضًا بناء على السوابق المرضية المباشرة والبعيدة، وعلى موضع الألم وشدته، وانتشاره، والأعراض المرافقة للألم من غثى، وقيىء، وحمى، وعلى فحص المفرغات من براز وبول كمًا وكيفًا، وعلى الاختبار العلاجى. وينتهى الرازى إلى أن وجع القولنج يكون من برد المعدة. وبرد الكليتين[2].

2- ذكر الرازى فى كتابه "التجارب"[3] أن شيخًا كان به عرجة وكان لا يصل عقبه الأرض من رجله اليسرى. وقال الرجل أمرنى بعض الأطباء بالفصد. فقال الرازى بناءً على مشاهداته وسابق خبرته: قد أخطأ عليك بالفصد. ثم أمر الرجل بمد رجله، فلم يستطيع ليبس الوترين اللذين تحت الركبة. فقال هذا من صلابة هذين الوترين وجفافهما، ثم أمر بأن يؤخذ مقل اليهود ومخ وساق البقر، ويصنع منهما مرهما، ويصب الرجل على رجله ماء حار، ويسخن الخل، ويعلق رجله عليه ويضمد الركبة بهذا الضماد، ويمد الرجل كل يوم قليلاً قليلاً على سبيل التدرج تستوى وتمتد . وهكذا حتى برأ الرجل .

## ب - التجربة عند الرازى :

اهتم الرازى اهتمامًا بالغًا بالتجربة باعتبارها معيار الفصل بين الحق والباطل. فما تثبته التجربة فحق ومقبول. ومالم تثبته فباطل ومرفوض حتى

---

[1] الرازى. القولنج ص36 .

[2] الرازى : جراب المجربات وخزانة الأطباء دراسة وتحقيق خالد حربى، ص273.

[3] الرازى : كتاب التجارب. مخطوط معهد المخطوطات العربية، مكتبة أحمد الثالث رقم 5-19. ورقة 35 ظهر .

وإن كان قائله من فطاحل العلماء وقد تـرك الـرازى نصوصًـا بليغـة كثـيرة فـى أهمية التجربة منها[1]:

- وتكون الدعاوى عندنا موقوفة إلى أن تشهد عليها التجارب ولا نحل شيئًا من ذلك عندنا محل الثقة، إلا عند الامتحان والتجربة .
- إن الشكوك الغلطة تقع على الأكثر فى الفن النظرى أكثر منه فى التجربة.
- العلم الذى يطمئن إلى مذهب مقضى عليه بالوقوف والعزلة، لأن إدماج المعلومات فى مذهب يعد بمثابة تحجر غلفى.
- عندما تكون الواقعة التى تواجهنا متعارضة والنظرية السائدة، يجب قبول الواقعة ونبذ النظريـة حتـى، وإن أخـذ بـها الجميـع نظـرًا لتـأييد مشـاهير العلماء

وإذا قال الرازى رأيًا فقيل له، ولكن من قبلك رأوا غير ذلك، فيجيب: هؤلاء رجال ونحن رجال[2].

ويمكن أن أقف على عدة أنواع من التجارب عند الرازى فيما يلى:

## 1- التجربة الموجهة :

لم تكن التجربة عند الرازى تجربة إتفاقية كتلـك التـى وجدناهـا عنـد الأطباء اليونان، بل كانت تجربة موجهة، أى ترتبها فكرة مسبقة، ومن أمثلـة هذه التجربة أن الرازى حينمـا أراد أن يتحقـق مـن أثـر الفصـد كعـلاج لمـرض السرسام، قسم مرضاه إلى مجموعتين، عالج إحداهما بالفصد، وامتنع عن فصـد الأخرى. ثم راقب الأثر والنتيجة فى كل أفراد المجموعة حتى انتهى إلى حكم فى قيمة العلاج. ويقول فى ذلـك: "فمتـى رأيـت هـذه العلامـات، فتقـدم فـى

---

[1] الرازى. التولنج. ص9 .

[2] خالد ناجى. م. س. ص41 .

الفصد، فإنى قد خلصت جماعة به وتركت متعمدًا جماعة. استوى بذلك رأيًا، فسرسموا كلهم[1].

وهاك مثال آخر من "المرشد" يدل على فهم الرازى لما يجب أن تكون عليه بالتجارب من ضرورة موجهات أو ضوابط Controls إذ يقول: سافر رجل نبيل فى الصيف أيامًا، ورجع وبه حمى مطبقة قوية الحرارة جدًا، فألزمنيه بعض الملوك. فلما كان فى اليوم الرابع. قلق جدًا واشتدت حمرة لونه. وأقبل بغير أشكاله، ويضرب بنفسه الأرض. وصار الهواء الذى يخرج بالتنفس من الحرارة إلى أمر عظيم جدًا. وحدث عليه بعد هنيهة خفقان، وكنت أقدر أنه سير عف، فلم بقى على تلك الحال ساعتين، وأكثر، أمرته أن يحك داخل أنفه طمعًا فى انفجار الدم. فلما لم يكن ذلك، ورأيت الحرارة والكرب والقلق يتزايد. سقيته مقدار عشرة أرطال من الماء الصادق البرد جدًا، فخصر مكانه. وانطفأ ما به، ودر بوله، ولانت حماه[2].

ففى هذه الحالة (وهى ضربة شمس Sunstroke) كان ارتفاع درجة الحرارة بمثابة موجه للرازى فى تقديم العلاج المناسب، والذى تمثل فى الماء البارد الصادق البرد جدًا.

وهذا النوع من التجارب لا يخرج عن ما يسمى بالتجربة الضابطة Controlled experiment التى تعتبر من أهم المبادئ فى التجارب البيولوجية، حيث تتضمن مجموعتين[3] متشابهتين أو أكثر (تتماثلان من جميع الوجوه باستثناء ذلك التنوع الكامن فى جميع الكائنات البيولوجية) أحداهما هى مجموعة الاختبار للتجربة التى يراد معرفة تأثيرها. وتختار هذه المجموعة عادة بطريقة عشوائية. وتتوخى الطريقة التجريبية التقليدية جعل المجموعات

---

[1] الحاوى 219/11 عن جلال موسى. م. س. ص186 .

[2] الرازى المرشد أو الفصول . تحقيق البير زكى إسكندر. م.س. ص106

[3] راجع بفردج. فن البحث العلمى. م. س. ص33 .

متشابهة قدر الإمكان من جميع الوجوه فيما عدا العامل المتغير الوحيد المراد دراسته. ومازالت هذه القاعدة متبعة على نطاق واسع وبخاصة في تجارب الحيوانات، وإن كانت طرق الإحصاء الحديثة تتيح الآن تخطيط تجارب لاختبار عدد من المتغيرات في آن واحد.

## 2- التجربة الصيدلانية :

ولقد اهتم الرازي اهتمامًا كبيرًا بإجراء تجاربه على الأدوية الجديدة قبل تقديمها كعلاج. وقد بدأ أولاً بالتجارب على الحيوانات ثم على الإنسان. وهذا ما هو متبع تمامًا في العصر الحديث. فقبل تقديم الدواء الجديد أو تسويقه يجب التأكد من كونه أمينًا عند استخدام الإنسان له، إذ تجرى التجارب المختلفة في المختبرات الكيما - حياتية، والفسيولوجية، والفارماكولوجية، وذلك أملاً في تجربته على أنسجة الحيوانات المختلفة بصورة تدريجية، أي ابتداء من أقل الحيوانات رقيًا في سلم التدرج حتى أرقاها، وهو القرد. وبعد ذلك تجرى التجارب على الإنسان بعد أخذ الموافقات الرسمية في الدولة التي تتبع لها المؤسسة العلمية التي استنبطت الدواء[1]. وهذا ما نجده عند الرازي مفصلاً. فكان يبدأ بتجريب الدواء على الحيوان، وبالذات على القردة على اعتبار أنها شبيهة بالإنسان، ومثال ذلك أنه لما أراد أن يتحقق من خواص الزئبق، أسقاه قردًا. ويقول في ذلك: "أما الزئبق العبيط فلا أحسب أن له كثير مضرة إذا شرب، أكثر من وجع شديد في البطن والأمعاء، وقد سقيت أنا منه قردًا كان عندي، فلم أره عرض له إلا ما ذكرت، وخمنت من تلويه وقبضه بفمه ويديه على بطنه. أما إذا صب في الأذن منه. فكان له نكاية شديدة[2].

---

[1] عليا رشيد عزه، الرازي وعلم الفارماكولوجي. بحث ضمن: أبو بكر الرازي وأثره في الطب. م. س. ص53.

[2] محمد كامل حسين. ومحمد عبد الحليم العقبي "طب الرازي" دراسة تحليلية لكتاب الحاوي. م.س. ص17.

ومما يثير للعجب أن الرازى قد استخدم طريقة تعتبر من أحدث الطرق فى علم الفارماكولوجى، وهى تطبيقه للتجارب السريرية Cinical Trials فى منهجه العلاجى، وذلك عندما قسم مرضاه - فى المثال السابق ذكره - إلى مجموعتين بغرض معرفة تأثير الفصد على مرض السرسام، فهذه الطريقة تستخدم الآن لمعرفة تأثير دواء جديد على المرضى أو الأصحاء بعد الانتهاء من تجربة الدواء ذاته على الأنسجة والحيوانات[1].

وفى يومنا هذا هناك نوعان من التجارب[2]: إحداهما أن يعطى العلاج المرضى ويقال لهم أنهم قد أعطوا علاجًا جديدًا، ثم يقارن المجرب مدى تأثير الدواء بمقارنة مرضى أخرين لم يأخذوا العقار. أما الطريقة الثانية فتدعى بطريقة العمى المزدوج double blind، ولا تختلف هذه الطريقة كثيرًا عن سابقتها، إلا فى عدم معرفة المريض أنه قد أخذ علاجًا جديدًا. كذلك لا يعرف المرضى المقارن بهم أنهم لا يعطون دواء البته، وإنما يعطون مادة ليس لها تأثير طبى، كالسكر أو النشا، ثم يلاحظ التغيرات على المرضى، وتسجل النتائج. وهناك طريقة ثالثة : هى أن مساعد الطبيب (الطبيب المتمرن) وكذلك المرضى، والمرضى المقارن بهم يجهلون تمامًا ماهية الدواء، والوحيد الذى يعرفه هو الطبيب المشرف، وهذه الطريقة تسمى بطريقة العمى الثلاثية Triple Blind Test ثم تسجل النتائج .

وقد استخدم الرازى الطريقة الأولى - والنص السابق يوضح ذلك - فلا عجب أن نطلق عليه الطبيب الدوائى .

---

[1] عليا رشيد عزه. المرجع السابق، ص54 .

[2] نفس المرجع . ص54 - 55 .

### 3- التجربة الذاتية :

هذا ولم تتوقف التجربة عند الرازى على حد الحيوان أو الإنسان سقيما كان أو عليلا، بل نراه يطبقها على نفسه أيضا فيقول فى ذلك: "جربت فى نفسى ورأيت أن أجود ما يكون أن ساعة ما يحس الإنسان بنزول اللهاة والخوانيق، يتغرغر بخل حامض قابض مرات كثيرة، فإنه يخرج منه بلغما لزجا ويقلص اللهاة من ساعته والورم فى الحلق أكثر بلغمى. والخل موافق جدا لقطع ما حصل ويمنع ويردع، فلا شىء مثله، وبحسب هذه العلة يجب أن يكون الخل أقبض، فإذا لم تكن حادة، فليكن أقل قبضا"[1].

وهذا المثال يعتبر خير دليل على أن الرازى قد أدرك أهمية التجربة ووظيفتها فى التحقق من صحة الفروض[2]. وهو ما يتبع الآن فى مناهج العلوم الحديثة. وما فعله الرازى يذكرنا بما فعله أحد رواد التشريح المقارن في العصر الحديث، وهو الأسكتلندى "جون هنتر" John Hunter (1928)، فلكى يعرف ما إذا كان مرض السيلان مرضا متميزا عن الزهرى، فإنه نقل إلى نفسه عمدا عدوى السيلان، ولكن من سوء حظه أن المادة التى استعملها لتلقيح نفسه كانت تحوى أيضا جراثيم الزهرى، مما أدى إلى إصابته بالمرضين معا!. وكان هذا أساس الاعتقاد الباطل الذى ساد وقتا طويلا، وهو أن أعراض المرضين مظهر لمرض واحد[3].

ولقد استفاد الرازى من كثرة تجاربه، وعلمته التجربة ضرورة أن يستدل على المرض بكثرة من الاستدلالات. لاسيما فى حالة الأعضاء الباطنة التى لا ترى بالعين. فيقول : "علل الأحشاء ونحوها من الأعضاء المستترة عن

---

(1) الرازى. الحاوى 3/ 279 .

(2) انظر الفروض والتحقق منها عند الرازى بعد قليل .

(3) احمد فؤاد باشا، م. س. ص1533 .

البصر أصعب تعرفا لتواريها عن الحس، والحاجـة فـى ذلـك إلى الاسـتدلالات كثيرة"[1]. ولذلك نراه يؤكد علـى التثبت مـن الأعـراض للوصـول إلى المسـببات الصحيحة للمرض، فيقول مثلا فى حالـة حمـى[2]: "لنضـع أن حمـى حدثـت ونريد معرفتها من أى جنس. فأقول أن ما يحتاج إليه : هـل كـان لهـا سـبب باد، أم لا؛ وهل ابتدأت بنافض وكيف صورة نفضه. وكيف مزاج ذلـك البـدن "ومن بين الاستدلالات التى اهتم بـها الـرازى، الاسـتدلال بـالبول، والنبـض. والنفس، أما عن البول فقد كان سائدا على أيام الرازى أنه يدل على حالة الدم. وينصح الرازى من "يريد أن يتفقـد حـال البـول أن يتركـه يسـكن سـاعات ثـم يتفقده، وينبغى أن يؤخذ البول بعد انتبـاه العليـل مـن نومـه الأطـول قبـل أن يشرب شيئا. فإذا شـرب، فسـدت حالتـه إذ البـول يـزداد صبغـا مـالم يـأكل الإنسان أو يشرب"[3].

وعن النبض ينصح الرازى بضرورة أن يكـون الطبيـب ملمـا بخصـائص النبض الطبيعى فيميز بين الضعيف والقوى، والصلب واللين.

وعن النفس يقول: "يمكن أن يؤخذ الدليل من النفس أبين وأوضح منـه من النبض فى بعض الأحوال، فإذا رأيت النفس يدخل سريعا ويخرج سـريعا، فإنه يدل على حرارة، ويجب أن يتسم ذلك كله باستقصاءه"[4].

ومن خلال التجارب وقف الرازى أيضا على أثـر الوراثـة فـى الإصابـة بالعديد من الأمراض، فيقول عن حالة مريض لم يعلـم سـر مرضـه : "وقـد كـان كثرة التبول يقوى ظنـى بـالخراج فـى الكلـى. وكنـت لا أحكـم أن أبـاه أيضـا

---

(1) خالد ناجى. م. س. ص37 .

(2) نفس المرجع . نفس الصفحة .

(3) الرازى. محنة الطبيب. مجلة المشرق. العدد 54 سنة 1960. نقلا عن جلال موسى م. س. ص185 .

(4) الرازى . الحاوى 3/ 291 .

ضعيف المثانة يعتريه هذا الداء، فينبغى أن لا يغفل بعد ذلك غاية النقص إن شاء الله"[1].

## 4- التجربة الكيميائية :

### (أ) تمهيد :

تدخل الكيمياء ضمن نطاق العلوم الطبيعية العملية، تلك التى تنهض على التجربة رأسا .

ويرجع اهتمام الرازى بدراسة الكيمياء إلى إدراكه أن موضوعها يتصل اتصالا وثيقا بدراسة الطب، ولذلك نراه يصنف كتابا قيما فى الكيمياء[2] أسماه "سر الأسرار" ويعرف فى العالم الغربى باسم Libersecre torum ضمنه المنهج الذى كان يتبعه فى إجراء تجاربه الكيميائية[3]. ومع أن الرازى كان مهتما بتحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة[4]، إلا أنه يبتدئ هذا الكتاب بوصف

---

(1) نقلا عن خالد ناجى. م. س. ص37 .

(2) يعتبر الرازى هو مؤسس الكيمياء فى الشرق والغرب. إذ بمجيئه كان هذا الفن قد بمر بمراحل طويلة ابتداء من العصر اليونانى. ومرورا بعصر جابر بن حيان. والجاحظ الذى يقول عنه جورج سارتون إنه استخدم طريقة التقطير الجاف فى استخراج ملح الأمونيا من روث الحيوانات. وقد أطلق سارتون أيضا على المدة التى تقع بين عامى (132 – 185هـ) = (750 – 800) عصر جابر بن حيان. وذلك لمجهوداته العظيمة فى علم الكيمياء. (انظر : Sarton Introduction to the History of Science 3 vols. Baltimore 1929, Vol. 1, p. 597.
وهذا الرأى يقوم ضد رأى بعض المستشرفين الذين يقللوا من شأن جابر. ويعتبرونه شخصية أسطورية ولاسيما المستشرق ماكس مايرهوف.

(3) راجع : قدرى طوقان. المرجع المذكور ص140. وأيضا
Seyyed Hossein Nasr; Islamic Studies , Librarie Du Beirut 1967, P. 92 .

(4) يعود الاعتقاد فى تحويل المعادن الخسيسة إلى شريفة إلى عهد اليونان. وذلك استنادا إلى نظرية العناصر الأربعة. والتى تذهب إلى أن جميع الأجسام تتألف من عناصر أربعة متباينة هى الماء. والهواء والتراب. والنار. وقد توهم بعضهم إنه إذا أعاد تركيب هذه العناصر على ما يهوى. استطاع مثلا أن يحول النحاس إلى ذهب أو الرصاص إلى فضة . =

المواد التى يشتغل بها، ثم يثنى بوصف الأدوات والآلات التى يستعملها، ثم يختتم بوصف الطريقة التى بمقتضاها يستطيع تحضير المركبات الكيميائية من المواد التى تتجمع لديه .

وكان لاعتماد الرازى الكبير على التجارب العلمية، على نقيض ما سبقه من الكيمياويين الذين أعاروا التأملات الفكرية والاستنباطات المنطقية اهتماما كبيرا، كان له أثره فى استحداث كثيرا من الأجهزة والأدوات الكيماوية. وقد أشار فى كتابه "سر الأسرار" إلى عدد كبير من المواد الكيميائية والأجهزة المعقدة التركيب[1]، وصف منها عشرين جهازا، منها ما هو معدنى، ومنها ما هو زجاجى، فضلا عن ابتكاره لأجهزة جديدة، وكان يعنى بوصف التفاصيل. وقد قسم المواد إلى أربعة أقسام: المعدنية، والنباتية، والحيوانية. والمواد المشتقة، ثم قسم كل منها إلى أقسام أخرى[2]. ولابد أنه قد امتلك مختبرا

---

=وقد اهتم العرب بهذا الجانب من الكيمياء إلا أنه لم يكن هو الغاية من وراء تجاربهم. بل لقد كشفوا عن قوانين، وعرفوا الكثير من المواد التى قامت عليها الكيمياء الحديثة. وقبل أن يأذن عصر جابر بن حيان (132 - 185) بالرحيل. كانت الكيمياء قد تخلصت من خرافات الأقدمين. واقتربت من حدود المنهج العلمي. وفى الوقت الذى نجد فيه الكندى (حوالى 185 - 252هـ) يؤلف رسالة فى بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة. وكذلك إنكار الشيخ الرئيس ابن سينا لهذا الأمر، نجد أن هذا الوهم القديم قد استهوى الأوروبيين حتى القرن التاسع عشر الذى يطلق عليه عصر العلم والنور. فقد صرح آخر مشاهير الكيمياويين فى أوروبا، ويدعى (هلمونت) (ت1944) بأنه قد حول الزئبق إلى ذهب. وما كان ذلك إلا وهما. وقد قام طبيب إنجليزى يدعى "جايمس برايس" عام 1782 بتجربة استخدم فيها مسحوقين. الأول أبيض والثانى أحمر حول بهما الزئبق إلى ذهب وفضة. وبعد عام طلب منه إعادة التجربة. فعجز. فانتحر. راجع عمر فروخ. عبقرية العرب فى العلم والفلسفة. م. س. ص113 - 116 .

(1) فاضل أحمد الطائى. أعلام العرب فى الكيمياء. الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية العامة - بغداد 1986. ص158 .

(2) د. ماهر عبد القادر محمد. التراث الإسلامى. م. س. ص136 .

جيدا كما أشار إلى ذلك هولميار[1]، حيث ذكر الكؤوس الزجاجية والخزفية، والجفنات، والبوتقات، والدوارق، والأحواض، والأفران، والملاقط، وأنواع المصابيح، وملاعق الاحتراق. كما استخدم عددا كبيرا من الحمامات كالحمام المائى، وحمام الرمل، وحمام الرماد، وحمام البخار.

وواضح أن هذا التنظيم الذى كان يتبعه الرازى بين آلاته وأدواته، ومواده هو التنظيم العلمى المتبع فى المختبرات الحديثة اليوم[2].

وتنحصر التجربة الكيميائية عند الرازى فى العمليات الكيميائية التى أجراها لتحضير المواد المختلفة مثل[3]: التنقية : Purification، والتشميع Ceration، والحل Solution، والعقد Fixation. ومن طرق التنقية : التقطير disillation، والاستنزال discency، والتشوية Roasting، والطبخ Cooking، والتلغيم amalgamation، والتصعيد Sublimation. والتكليس Calcination. وأشير فيما يلى إلى مراحل سير بعض هذه العمليات لتكون بمثابة الدليل الواضح على تجربة الرازى فى مجال الكيمياء[4]:

**- التنقية :**

تستهدف هذه العملية إبعاد الشوائب أو المواد الغريبة عن المادة الرئيسية التى يتوخاها الكيمياوى، وتستخدم فى هذه الطريقة عمليات متعددة تعتمد الواحدة منها على نوع المادة الرئيسية والشوائب، ومن أهمها: التقطير، والتبلور الجزئى.

---

[1] فاضل أحمد الطائى. المرجع السابق . ص158 .

[2] عمر فروخ. عبقرية العرب فى العلم والفلسفة . م. س. ص17 .

[3] جلال موسى. منهج البحث العلمى عند العرب .. م. س. ص139 .

[4] فاضل أحمد الطائى. أعلام العرب فى الكيمياء. م. س. ص197 - 198 .

## - التقطير :

وتتضمن هذه العملية تحويل السائل بواسطة جهاز التقطير الذى يتألف من دورق التقطير والمكثف، ودورق استلام المـادة المقطـرة. ويعـبر عـن هـذا كلـه (بالأنبيق). وتستعمل هذه الطريق لفصـل السـوائل بعضـها عـن البعـض الآخـر لتفاوت درجة غليان السوائل، أو فصل السوائل عن المواد الصلبة فى المحـاليل التى تتألف من مذاب صب ومذيب سائل. وتعتمد درجة الحرارة ونوع التسخين على طبيعة المواد نفسها.

## - التشوية :

لقد استخدمت هذه الطريقة ولازالت تستخدم إلى يومنا هذا فى تحضير بعض المعادن من خاماتها، ويستخدم الرازى فى هذه العملية الهواء الساخن أو الأثال (الفرن) حيث توضع المادة فى صلاية بعد بلها بالماء، ثم تنقل إلى قارورة داخل قارورة أخرى، وتسخن الأخيرة على نار حتى تزول الرطوبـة منـها، ثـم يسد فم القارورة الداخلية التى تحتوى المادة ويستمر التسخين مدة طويلة. ولابد من القول هنا بأن إضافة المادة إلى المادة المعدة للأشواء ضرورية لطرد الهـواء مـن القارورة الداخلية بواسطة بخار الماء المتطاير.

## - التسامى والتصعيد :

ويقصد بالتسامى : تحول المادة الصلبة إلى بخار ثم إلى مادة صلبة مـرة ثانية دون أن تمر بحالة السيولة مثل اليود والكافور وغيرهمـا. ويسـتعمل لهـذا الغرض المكثف العمودى حيث يربط بقارورة التقطير، وقد يبرد المكثف بـالهواء دون الحاجة إلى المادة البـاردة إن كـان التسـامى يتـم بدرجـة حـرارة منخفضـة نسبيا. حيث تستقر المادة المتسامية على الجدار الداخلى للمكثف الهوائى على هيئة بلورات نقية للمادة المتسامية، وهى عملية تنقية بلا شك، حيث تتخلـص

المادة المتسامية من غيرها وتبقى فى دورق التقطير. وقد أشار الرازى إلى هذه العملية إشارة واضحة جلية واستخدمها بشكل يقرب من استخدامها الآن.

أما عملية التصعيد: فهى عبارة عن تسخين المادة السائلة المزوجة بسوائل ذوات درجات غليان عالية أو بمواد صلبة، فعند تسخين المادة فى دورق التقطير على حمام مائى، أى لا تزيد درجة حرارته على المائة درجة مئوية، فإن المواد المتصاعدة أو المتطايرة - كما تسمى أحيانا - تتكاثف فى المكثف وتنزل إلى دورق الاستلام. والجدير بالذكر أن الكندى قد استعمل هذه الطريقة فى كتابه الموسوم (تصعيد العطور) كما أنه استعملها بجهاز مماثل للجهاز الذى استخدمه الرازى، وإن كانت طريقة الكندى فى تصعيد العطور قد اعتمدت على أساس فيزيائى آخر يسمى التصعيد بالبخار أو التصعيد بواسطة بخار الماء.

وهناك العديد من العمليات الكيميائية الأخرى التى ضمنها الرازى كتابه "سر الأسرار" والذى يعتبر بحق أقرب ما يكون إلى دليل مختبر واضح، وذلك على ما يرى شارحه الدكتور فاضل أحمد الطائى[1].

## (جـ) الفروض وتحقيقها عند الرازى:

سبق أن ذكرت أن الفرض هو أهم وسيلة ذهنية لدى الباحث، ووظيفته الرئيسية هى أنه يوحى بتجارب أو ملاحظات جديدة، والواقع أن أغلب التجارب وكثيرا من المشاهدات تجرى خصيصا لاختبار الفروض. وبالنسبة للرازى فقد لعبت الفروض دورا بارزا فى منهجه العلمى العام. ويمكن التحقق من ذلك بالأمثلة التالية:

---

[1] أعلام العرب فى الكيمياء. مرجع مذكور.

**مثال 1 :**

ذكر الرازى حالة رجل أصابه فالج Hemiplegia من حر كثير وصوم، فأسقى أيارجا، ولقى من ذلك بلاء شديدا حتى أنه أقعده. ثم عولج بالحمام والأشياء المرطبة والمروخ بالدهن، فبرأ. وهذه الحالة يطلق عليها مغص الحرارة Heatcramps[1]، وهو التقلص المؤلم فى عضل الأطراف، ويحدث عند المشتغلين فى بيئة حارة، فينضح منهم عرق غزير يؤدى إلى نقص كلور الصوديوم فى الجسم، ومما يساعد على حدوث المرض التزام حمية قليلة الملح. وفى هذه الحالة كان المريض صائما، فنقص عنده الملح، واستعمل الإرياج، وهو مسهل، فساءت حالته، ثم عولج بالمواد المرطبة كما يقول، فانخفضت عنده الحرارة، وقل التعرق، وبرأ من مرضه، وفى هذه الحالة افترض الرازى أن "الإرياج" يصلح لهذا المرض، فلما أعطاه إياه، وانتظر يلاحظ النتيجة. رأى أنها جاءت عكسية. مما أدى به إلى استبعاد هذا الفرض، ووضع فرض آخر تمثل فى إعطاء المريض "المواد المرطبة". وكان هذا فرضا صائبا أيدته الملاحظة من : انخفاض الحرارة، وقلة العرق، فبرأ المريض، وثبت عند الرازى هذا العلاج لمثل هذا المرض. وهنا يكون الرازى قد استخدم أحد وسائل المنهج التجريبى الحديث، وهو ما يعرف ببرهان الضد على رأى كلود برنارد.

**مثال 2 :**

قال الرازى : كان يأتى عبد الله بن سوادة حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام، ومرة غب[2]، ومرة ربع[3]، ومرة كل يوم، ويتقدمها نافض يسير. وكان يبول مرات كثيرة. فحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن

---

[1] عادل البكرى، م. س. ص65 .

[2] غب : بمعنى أنها تأتى يوما وتغيب يوما .

[3] ربع : بمعنى الحمى التى تأتى كل أربعة أيام مثل الملاريا .

تنقلب ربعا، وإما أن يكون به خراج فى كلاه، فلم يلبث إلا مديدة حتى بال مدة. فأعلمته أنه لا تعاوده هذه الحميات، وكان كذلك، وإنما صدنى فى أول الأمر عن أن أبت القول بأنه به خراجا فى كلاه أنه كان يحم قبل ذلك حمى غب وحميات آخر. فكان الظن بأن تلك الحمى المخلطة من احتراقات تريد أن تصر ربعا موضع قوى. ولم يشك إلى ابتداء ثقلا فى قطنه (ما بين الفخذين)، لكن بعد أن بال مدة، قلت له : هل كنت تجد ذلك؟ قال نعم: فلو كان كبيرا! لقد كان يشكو ذلك وأن المدة نقيت سريعا، فدل على صغر الخراج. فأما غيرى من الأطباء فأنهم كانوا بعد أن بال أيضا لا يعلمون حاله البته[1].

يتضح من النص أن الرازى فى محاولة تشخيصه للمرض قد افترض فرضين بناء على ما رآه من مشاهدات "فحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعا، وإما أن يكون به خراج فى كلاه. وقد شخص الرازى المرض أولا على أنه ملاريا "تريد أن تنقلب ربعا" على افتراض أنه كان يشخص ويعالج فى بلد تكثر فيه القشعريرة وهذا هو الفرض الأول. أما الفرض الثانى فقد تمثل فى وجود خراج فى كلى المريض. ولما لاحظ الرازى خروج مدة مع بول المريض، كانت هذه الملاحظة بمثابة تأييد للفرض الثانى. فاستبقاه. واسنبعد الأول، وشخص المرض على أنه التهاب فى الكليتين Pyelilis. وقد قام بالعلاج بناء على هذا التشخيص، فشفى المريض.

وهنا يذكرنا الرازى بقاعدة هامة فى المنهج العلمى الحديث. وهى ما تعرف "بالاستبعاد المنظم" Systematic elimination، وتدخل علوم الأحياء. ومنها الطب ضمن تطبيقاتها. فعند البحث عن سبب مرض مثلا. تستبعد

---

[1] النص ذكره: الأب جورج قنواتى. تاريخ الصيدلة والعقاقير.. م. س. ص135 – 136 وعمر فروخ: عبقرية العرب .. م. س. ص119 و
Ad. Browne, Arabian Medicine, Camb. 1921, P. 51 – 52.

مختلف الأسباب المحتملة، إلى أن يتبقى فى النهاية مجال ضيق يمكن التركيز عليه. وهذا ما فعله الرازى بمنتهى الوضوح والدقة.

وبعد فتلك هى خطوات المنهج التجريبى الذى اتبعه الرازى فى بحثه العلمى سواء كان فى الطب، أم فى الكيمياء. ومن الملاحظ أن الرازى لم يتحدث عنها بصراحة كنموذج Paradigm أو موديل Model إذا ما اتبعه العالم أو الباحث، تأدى منه إلى كشف علمى جديد، بل أنه أشار إلى هذه الخطوات فى كثير من كتبه، لاسيما "الحاوى" الذى يحوى أربعة وثلاثين حالة سريرية (إكلينيكية)، والتى اعتمد عليها الباحثون للتقرير بأن الرازى قد استخدم المنهج التجريبى، وأرسى قواعد الطب السريرى.

إلا أن الرازى لم يقتصر على هذه الحالات فقط، بل أن له مئات من الحالات التجريبية ضمنها كتبه الأخرى مثل: كتاب "جراب المجريات وخزانة الأطباء" – الذى نشرته محققا عام 2002 – الملىء بالكثير من الحالات أو الوصفات العلاجية التى جربها الرازى، وليس أدل على ذلك من أنه يتبع كل وصفة بلفظة "مجرب" والأكثر من ذلك أن للرازى كتابا مستقلا يحمل اسم "التجارب"[1]. يحتوى على مئات التجارب التى تعبر تعبيرا واضحا عن استخدام الرازى للتجربة. فكان يجرب علاجاته على أول مريض يأتيه ويسأله الدواء لعلة ما، فيصف الرازى كذا وكذا من العلاجات. ومادام أنه قد أملى هذه

---

[1] ذهب بعض الباحثين إلى أن كتاب "التجارب" لا يخرج عن كونه كتاب "جراب المجربات وخزانة الأطباء" بل أننا نجد أن إحدى المؤسسات العلمية المتخصصة فى لندن وهى Welcome Institute Library سجلت فى فهارسها الأسمين لكتاب واحد أى "التجارب" و"جراب المجربات وخزانة الأطباء". وقد استعار الباحث ميكروفيلما لهذا الكتاب، فوجد عنوانه هكذا: "جراب المجربات وخزانة الأطباء" و"التجارب" وبفحص شريط الميكروفيلم. وجد أنه يحتوى على نسختين لكتاب "التجارب" يتفقان مع النسخة الموجودة فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة. وأن هؤلاء الثلاثة إنما يختلفون تمام الاختلاف عن كتاب "جراب المجريات وخزانة الأطباء". وقد انتهيت من تحقيق ونشر الكتابين عام 2002 .

الحالات. فلابد وأن ما وصفه من علاجات قد أصاب المريض وشفى على أثـره.
وهذا يمثل نجاح التجربة عنده، وهو القائل: "لا نحـل شـيئا مـن ذلـك عندنـا محل الثقة. إلا بعد الامتحان والتجربة لـه"[1]. فالحقيقـة فـى الطب غايـة لا تدرك. والعلاج بما تنصه الكتب دون إعمال الماهر الحكيم برأيه خطر[2].

كما يعتبر كتاب الجدرى والحصبة Small – Pox & Measles أيضـا من أبرز الأمثلة على استخدام الرازى للمنـهج العلمـى التجريبـى. ففيـه تظـهر أصالة الرازى الطبية بكل وضوح من حيث أنه لم ينقل مادته عـن سـابقيه مـن أطباء اليونـان كـأبقراط. وجـالينوس، أو غيرهمـا، بـل اعتمـد فـى ذلـك علـى ملاحظاته وتجاربـه الشـخصية، ويتضـح مـن الكتـاب أن الـرازى هـو أول مـن تحدث عن الأمراض المعدية Infections diseases من خلال وصفه وتشخيصه الدقيق للجدرى والحصبة، وذلك اعتمادا علـى علامـات. وأعـراض ظـهورهما.
ومن ذلك مثلا: أنه لاحظ أن ارتفاع درجة الحـرارة يـؤدى إلى الإصابـة بـالطفح الجلدى وظهور بثور مرض الجدرى على الجلد[3].

هذا إلى جانب كتابه "المرشد" أو الفصول. وكتابـه "سـر الأسـرار" فـى الكيمياء، وغـير ذلـك. وقـد أتيـت ببعـض النصـوص مـن هـذه الكتـب كأمثلـة لاستخدام الرازى للمنهج التجريبى. وهنا أجد سؤالا منهجيا يطرح نفسه بصورة مباشرة، مـؤداه: لـماذا هـذه النصـوص دون غيرهـا مـن أقـوال الـرازى؟ ويـأتى الجواب على ذلك فى أن ما تخيرته من نصوص للرازى إنما تمثل أهمية خاصة سواء من الناحية المنهجيـة، أو مـن الناحيـة الابسـتمولوجية (المعرفيـة). فمـن الناحية المنهجية تدل النصوص السابقة دلالة قوية على تطبيق الـرازى للمنـهج التجريبى بخطواته المختلفـة. وقـد قدمـت لهـذه النصـوص – فـى مواضعـها – التحليل اللازم لإثبات صحة هذا الكلام .

---

[1] النص مذكور فى بداية الفصل .

[2] ابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء. ص240 .

[3] Holt; P. M, Annk; S.L and Lewis; B: The Cambridge History of Islamic Society and Civilization, Vol2, P. 770 .

أما مـن الناحيـة الابستمولوجية فيمكـن القـول إن الـرازى قـد صنـف مقدماته الأبستمولوجية (المعرفيـة) إلى صنفـين : قضايـا يقينيـة، وقضايـا غـير يقينية. الأولى هى التى نتحقق من صدقها بالاختبار والتجربة، وهى تنحصر فى أقـوال السـابقين النظريـة التـى ضمونـها كتبـهم دون أن يقدمـوا البرهـان علـى صدقها. ويرجع عدم يقين مثل هذه القضايا عند الرازى إلى اعتقاده بأن "أغاليط الفن النظرى تفوق العملى". ولذلك أدرك الرازى أن الطبيب مهما كثرت قراءاته ومطالعاته، فإنه لا يصل إلى حقيقة نهائية، وعليه أن لا يتوقف فى العلاج عند ما قرء فقط، بل عليه أن يتأكد منه بإجراء تجاربه التى تؤيد صحة ما قرأه مـن عدمه. وعليه ألا يغتر بأسماء أصحاب المؤلفات، فيسلم بآرائهم تسـليما أعمـى، فقد يكون من بين هؤلاء المؤلفين الكبار من وضع نظرية، أو طريقـة فـى العـلاج كان مسلما بها فى أيامه، ثم جاء من بعده من أثبت بطلان هذه النظرية أو تلك الحقيقة.

وتذهب الدكتورة سهام النويهى إلى أن كارل بوبر (فى القرن العشـرين) قد قدم لأول مرة دورا جديدا للتجربة فى العلم، حينما ذهب إلى أن النظريـات العلمية لا تؤسس من وقائع يقينية أو محتملة، بل إن هذه الوقائع تستخدم من أجل اختبار النظرية. فالتخمينات (النظريات) توضع أولا مـن أجـل المحاولـة والتجريب، وتحذف إذا ما تعارضت مع الملاحظات[1]، وهـو مـا كـان يفعلـه الرازى تماما فى القرن العاشر، أى قبل بوبر بحوالى ألف عام!

وقد فعل الرازى ذلك تماما (فى القرن الرابع الهجرى)، حينما تصـدى لنظريات السابقين عليه، وحاول اختبارها بالتجربة .

فالرازى قام بالتجربة العملية فى التعامل مع القضايا اليقينية للسابقين عليه. وصاغ بوبر هذا الإجراء على هيئة مبدأ فى نظريته العلمية المعاصرة .

---

[1] سهام النويهى. تطور المعرفة العلمية. مقال فى فلسفة العلم. ط القاهرة بدون تاريخ. ص35.

## نتائج الفصل :

عرضت فى هذا الفصل لخطوات المنهج بصورة موجزة، وكان ذلك بمثابة تمهيد لاستخلاص هذه الخطوات عند الرازى، فجاء الحديث عن أنواع الملاحظة، فرأينا أنها تمثلت فى: الملاحظة الوصفية، وكيف جمع الرازى بين خبرته وملاحظاته، والملاحظة المقارنة. وكانت هذه المرحلة إحدى مراحل المنهج عند الرازى، والتى أوضح من خلالها أن المعرفة تستمد من ملاحظة أوجه الشبه وحالات التكرار بين الوقائع التى تحدث حولنا .

ثم انتقل الحديث إلى دور التجربة، ورأينا كيف أنها تلعب دورا رئيسا فى منهج الرازى، إن فى الطب، أو فى الكيمياء. وقد اتضح لى أن الرازى كان يتفهم الطرق الفنية التجريبية التى يستخدمها تفهما صحيحا، وأدرك أن للتجربة حدودا معينة لا يجب أن تتعداها. كما وقف على درجة الدقة التى يمكن التوصل إليها فى كل تجربة، وذلك من خلال تسجيله لجميع التفاصيل التى لم يقدر أهميتها أثناء إجراء التجربة. ومما لا شك فيه أن هذه قاعدة هامة فى المنهج العلمى الحديث .

وبالجملة كان اهتمام الرازى منصبا على التجربة العلمية باعتبارها أضمن الطرق الموصلة إلى الحقيقة العلمية . ومع صدق القول الذى يذهب إلى أن المجرب يباشر التجربة عادة ليثبت قيمة فكره، فإن الرازى قد أيقن وظيفة التجربة فى التأكد من صحة الفروض، فإذا أثبتتها التجربة استبقاها، وإذا لم تثبتها. استبعدها. وقد تضمن هذا الفصل بعض الأمثلة الدالة على تحقيق الرازى من الفروض .

من كل ما سبق أستطيع أن أستنبط ترتيبا منطقيا لمراحل المنهج العلمى عند الرازى يمكن توضيحه بهذه الصورة :

1- ملاحظة تجربة ملاحظة تجربة .

2- فرض ملاحظة تجربة .

3- تجربة ملاحظة تجربة .

وقد قدمت النصوص التى ترسم هذه الخطوات. وهنا يظهر الرازى وكأنه قد طبق المنهج التجريبى بصورتيه التقليدية والمعاصرة، إذ أنه لم يقف على ترتيب ثابت فى خطواته. كما يتفق مع علماء المناهج المعاصرين، فهو يقترب من المنهج الحديث الذى يعرف بالمنهج الفرضى الاستنباطى، ويقوم على الاندماج بين المنهجين الاستنباطى والاستقرائى. فإذا كان البحث العلمى عبارة عن مشاهدات توحى بفروض، ثم استنباط نتائج من هذه الفروض، ثم مراجعة هذه النتائج على الواقع لقبولها أو رفضها، فإننا فى المرحلتين الأولى والأخيرة نكون فى الاستقراء، والمرحلة الثانية نكون فى الاستنباط. وقد قام الرازى بمثل هذه الخطوات .

ومع التسليم بعدم اعتماد العلوم الطبيعية الحديثة على أحد المنهجين دون الآخر. وعلى الرغم من اعتماد بعضها على أحدهما بدرجة أكبر، فإننى يمكن أن أقدم إجابة على السؤال الذى طرح فى بداية الفصل، وهو: إلى أى الفريقين ينتمى الرازى، إلى الاستنباطيين، أم إلى الاستقرائيين؟ والإجابة هى: أن الرازى ينتمى إلى الفريق الاستقرائى، فلقد رأينا أن الملاحظة والتجربة قد شكلتا أساسا عنده تنهض عليه سائر نتائجه. وكان من نتائج ذلك أن أرسى الرازى قواعد علم جديد كان هو رائده الأول، وهو الطب السريرى (الإكلينيكى)، والذى لاغنى عنه لأى طبيب فى التشخيص والعلاج.

وأختتم الحديث فى هذا الفصل بالقول : بأن مناهج البحث العلمى التى طبقها الرازى لازالت منذ أحد عشر قرنا قائمة حتى اليوم. فقد أولى عملية استجواب المريض أهمية كبيرة وكان "لا يمل مساءلته". ويسجل نتائج الاستجواب فى وثائق يرجع إليها. وكان يبوب الحالات كل على حدة مع تأكيده على التشخيص التفريقى، وتقديم العلاج المناسب للعلة، وهذا ما سوف أتعرض له تفصيلا فى الفصل القادم.

# الفصل الرابع

## منهج الرازى فى التشخيص والعلاج



## أولاً : التشخيص العام

انتهيت فى الفصل السابق إلى أن الرازى قد عوّل على الاحتكام إلى التجربة من حيث أنها المحك الذى يفصل به بين الحق والباطل فيما يقبله من آراء. وقد ساعده هذا كثيرا فى التشخيص السليم للأمراض باعتباره الأساس الذى يُقرر على ضوئه العلاج المفيد. فلقد أثبتت التجربة فيما مضى أن هذا المرض يسبقه كذا وكذا من الأعراض. فإذا ما لاحظ الطبيب هذه الأعراض، فسرعان ما يُقرر المرض الذى يشكو منه المريض بناء على سابق خبرته من كثرة المشاهدات والتجارب، والتى على ضوئها يُقرر العلاج اللازم لهذا المرض أيضًا.

وأحاول فى هذا الفصل تتبع منهج الرازى فى التشخيص والعلاج، وذلك من خلال بعض ما توفر من كتبه، وما كُتب عنه.

يُعتبر كتاب "القولنج" للرازى من البراهين القويّة على إرسائه لقواعد التشخيص السريرى. فقد جاء فيه بقواعد مازال معمولا بها حتى الآن فى المجال الطبى. وهى تتمثل فى أهمية ودقة استجواب المريض، فينبغى "للطبيب أن لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج، ثم يقضى بالأقوى"[1]. وكذلك العناية بفحص المريض فحصًا كاملاً فجسم المريض عضو واحد يجب فحصه فحصًا شاملاً. يقول الرازى معلمًا طلابه: "ابدأ بدراسة حالات المريض وتأثير المرض عليه، وهل أنه يستطيع السير منفردًا، أم مستندًا، وعلى أية جهة يستند، ووضع يديه أثناء السير، وهل هما على أعلى البطن أم أسفلها، أم على الرأس، أم على الصدر. وتكلم معه لمعرفة هل هو مالك لقواه العقلية، أم فى حالة خمول، وهل حالته تنذر بالخطر أم لا بمجرد إلقاء نظرة عامة على المريض"[2]. وتسجل كل هذه الملاحظات فى صفحة المريض الخاصة مع التأكيد على أهمية السوابق المرضية المباشرة والبعيدة والوراثية .

---

[1] ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء .. م. س، ص421 .

[2] خالد ناجى، م. س، ص37 ـ 38 .

ويبتدئ الرازى كلامه فى كتاب "القولنج" بنقد الكتب[1] التى قرأها عن القولنج. وكيف أن أصحابها قد أسهبوا فيها إسهابًا يكتنفه الغموض. وأطالوا بما لا ينفع ليس لا على العليل فقط، بل وعلى الطبيب أيضًا وكان قصدهم بذلك "تهويل على القارئ، وإيهام له أن المؤلف لذلك الكتاب فى غاية العلم والمعرفة والحذق فى الصناعة .. وهؤلاء المؤلفون قد أكثروا أيضًا من الأدوية والصفات على غير تحديد لها ولا تفصيل ولا تمييز"[2].

لذلك نرى الرازى فى الباب الثانى من هذا الكتاب يؤكد على التشخيص الدقيق لأنه القاعدة التى يقرر وفقًا لها العلاج الصحيح. كما ينصح الطبيب بأن يكون فى غاية المهارة والحذق فى التفريق بين وجع القولنج[3]. وبين كافة الأوجاع الشبيهة له.

ومن خلال هذه الملاحظات يُقرر الرازى قاعدتين أساسيتين من قواعد التشخيص السريرى. وهما[4]:

1- المراقبة المُستمرة للمريض إلى أن يتم وضع التشخيص، وتقدر مُدة المراقبة فى القولنج بساعتين .

2- الاختبار العلاجى، وهو أن يُعطى العليل علاجًا. مراقبًا أثره. وموجهًا للتشخيص وفقًا لهذا الأثر.

---

[1] يقول الرازى : إن أكثر من قال فى وجع القولنج ممن قرأنا كتبهم. حشوها وطولوها بما لا ينفع به فى علاج هذا الوجع كثير نفع .. وأنا سالك فى هذا الأمر مسلكًا خلاف ما سلكوه. وقاصد إلى ما ينفع العليل من تدبير وعلاج دون ما يتصلف ويتبجح به الأطباء من الكلام الذى لا منفعة فيه.. وانى وجدت جل الكتب التى قرأتها فى هذا المعنى ينحو أصحابها نحو القصد الذى ذكرت. لا نحو القصد النافع المجدى على العليل. (الرازى. كتاب القولنج. تحقيق صبحى محمود حمامى. م. س. ص ص33-34.

[2] الرازى. كتاب القولنج. ص32 .

[3] انظر تشخيص الرازى للقولنج فى الفصل السابق تحت عنوان "الملاحظة المقارنة".

[4] الرازى . كتاب القولنج. ص182 .

وفى كتابه "المرشد" يضع الرازى فصلاً مجملاً فى الاستدلال على علل الأعضاء الباطنة، يتضمن مجموعة من القواعد ينبغى لمن يريد التشخيص السليم من الأطباء أن يتبعها، فيذهب إلى أن الحاجة إلى استدلال العلل الباطنة يحتاج إلى ما يأتى[1]:

1- العلم بجواهرها أولاً بأن تكون قد شُوهدت بالتشريح، لكى إذا برز منها شىء عرف. مثال ذلك: أنه متى خرج بالنفث شىء من جوهر الرئة، لم يعرف ذلك إلا من قد شاهد ذلك الجوهر فى الرئة مرات.

2- العلم بمواضعها، فإن من علم أن الحس والحركة تكون بالعصب والنخاع والدّماغ، لم يقصد عند بطلانها قصد علاج أعضاء أُخر.

3- العلم بأشكالها، فإنه قد تستدرك من ذلك أيضًا العلة بأى عضو هى. مثال ذلك: أن الورم الهلالى الشكل الذى فى الجانب الأيمن ما دون الشراسيف يدل على الورم فى الكبد، إذ شكل الكبد كذلك.

4- العلم بأعظامها، ومثاله: أن الحصاة التى تعظم عن مقدار بطون الكُلى، ليس يمكن أن يكون تُولدها فى الكُلى.

5- العلم بما تحتوى عليه، ومثال ذلك: أن الدم الرقيق الأحمر خاص بالشريان، والزبدى خاص بجرم الرئة.

6- العلم بفضولها التى تدفع عنها. ومثال ذلك: أن اليرقان الأصفر ينذر بالعلّة فى الكبد، أو المرارة، والأسود يدل على أن العلة بالطُّحال.

ففى هذه الأمور وأشباهها ينبغى أن يكون قد تدرّب من يريد استخراج علل الأعضاء الباطنة، لكى يمكنه اكتساب الدلائل، ويصيب المقدمات الدالة على العضو الوجع، وماهية وجعه. لأنه متى لم يعرف ذلك، لم يكن علاجه على طريق الصواب[2].

---

[1] الرازى، المرشد أو الفصول، فصل 11، ص66 – 68.

[2] الرازى، المرشد، فصل 11، ص68.

ويتضح من هذه المبادئ التى ذكرها الرازى أنه ينبغى على الطبيب أن يكون قد مارس التشريح. حتى يقف على تفصيل الأعضاء، فينعكس ذلك على تشخيصه للمرض.

ولقد مارس الرازى التشريح، ودليلى على ذلك كتابه "المنصورى"، وخاصة مقالته الأولى التى عنونها بـ "فى المدخل فى الطب وفى شكل الأعضاء وهيئتها". فالمطالع لهذه المقالة يدرك من خلال ما تحتويه من وصف دقيق أن صاحبها على علم كبير بتشريح الأعضاء. فهو يتكلم أولاً بصورة عامة فى أحوال الأعضاء، وأفعالها ومنافعها. ذاكرًا أن "للبدن أربعة ضروب من الأعضاء، ثلاثة منها رئيسية والحاجة إليها فى بقاء الحياة اضطرارية. وهى آلات الغذاء التى تشمل: المعدة، والكبد، وجداولهما. والعروق. والطرق إليها. كالفم والمرىء، ومنها كالأمعاء والدُبر. وآلات الحرارة الغريزية وسائر ما يعين على التنفس.. ومنها آلات الحس والحركة والأفعال العقلية، وهى الدماغ. والنخاع والعصب، والعضل، والأوتار ونحوها مما يحتاج إليها فى المعونة على تمام الحس والحركة والتصور العقلى"[1].

ويبين الرازى مدى ارتباط هذه الأعضاء ببعضها. وكيف أن الواحد منها لا يستطيع أن يعمل بمفرده. فيقول: "وكل واحد منها مشتبك بالآخر ومحتاج إليه. وأنه لولا الكبد وإمداده لسائر الأعضاء بالغذاء. لانحلت ويبست وانفنت. ولولا ما يتصل بالكبد من حرارة القلب، لم يبق له جوهره الذى يتم به فعله. ولولا تسخين القلب للدماغ بالشرايين. وإغذاء الكبد بالعروق الصاعدة إليه لم يدم للدماغ طبعه الذى يكون به فعله. ولولا تحريك الدماغ لعضل الصدر، لم يكن التنفس ولم يبق للقلب جوهره الذى يُنعش الحرارة الغريزية فى أبداننا"[2].

ثم يشرع الرازى بعد ذلك فى وصف كل عضو من هذه الأعضاء وصفًا دقيقًا مبينًا مكانه من الجسم. ومما يتركب. ومدى ارتباطه، واتصاله ببقية الأعضاء. وما

---

[1] الرازى. المنصورى فى الطب. تحقيق حازم البكرى الصديقى – م. س. ص39 .

[2] الرازى . المنصورى. ص39 .

يُؤديه من عمل فى إطار الكل الذى لا يتجـزأ. فوصـف الدمـاغ. والرقبـة. والأنـف. والعينين. والأذن. والصماغ. واللسان. والحلق. والصدر. والرئة. والقلب. والمرىء. والمعدة، والكبد. والأمعاء. والطحال. والمرارة. والكُلى. والمثانة. والعظم. والعضل. والأعصاب. والعروق، والشرايين، كما وصف العظام وتركيبها، وما يربط بين بعضـها البعض من المفاصل التى تُعين الأعضاء على الحركـة مـع الأعصـاب المتصلـة بالدمـاغ وسلسلة العمود الفقرى، وقد أدرك الرازى أن الدماغ (المخ) هو المسيطر والمتحكـم فـى حس وحركة البدن كله[1].

ولنأخذ الآن مثالاً لوصف الرازى لأحد هـذه الأعضـاء لنتبـين مـدى معرفتـه بالتشريح الأمر الذى انعكس أثره على تشخيصه السليم فى حالـة مـا إذا اعتـل أحـد هذه الأعضاء يقول الرازى فى وصف الكبد: الكبد موضوعه تحت الضلوع العالية مـن ضلوع الخلف، وشكلها هلالى، لها تقعير فى الجانب الذى يلى المعدة. وزوائـد ربمـا كانت أربعًا، وربما كانت خمسًا. وتحتوى على الجانب الأيمن من المعـدة. وحدبتـها تلى الحجاب وهى مربوطة بأربطة تتصل بالغشاء الـذى عليـها. وينبـت مـن قعـير الكبد قناة تُسمى باب الكبد. وصورتها صورة عرق لكنها لا تحتوى دمًا وتقسم أقسامًا ثم تنقسم تلك الأقسام إلى أقسام كثيرة ويأتى منها أقسام يسيرة إلى قعر المعدة والأثنـى عشر من الأمعاء، وأقسام كثيرة إلى المعاء الصائم ثم إلى سائر الأمعاء حتى يبلـغ المعـاء المستقيم. وهذه هى الفوهات التى ذكرناها. وفيها ينجذب الغذاء إلى الكبـد. ولا يـزال كل ما ينجذب فى تلك الفوهات يصير من الأضيق إلى الأوسع حتى يجتمع فى القناة المسماه باب الكبد. ـم إن تلك القناة تنقسم أيضًا فى داخل الكبد إلى أقسـام فـى دقـة الشعر. ويتفرق ما انجذب من الغذاء فيها. ويطبخه لحم الكبد ويحيلـه حتـى يصـير دمًا. وينبت من حدبة الكبد عرق عظيم. منه تنبت جميع العروق التـى فـى البـدن- على ما ذكرنا فى تشريح العروق – وأصل هذه العرق ينقسم فى الكبـد إلى أقسـام فـى دقة الشعر ويلتقى مع الأقسام المنقسمة من المجرى الذى يُسمى الباب. فيرتفع الـدم

---

[1] نفس المصدر. ص3. 69

منها إلى أقسام العرق النابت من الحدبة، ثم يجتمع من أدّقها إلى أوسعها حتى تحصل جملة الدم كله فى العرق الطالع من حدبة الكبد"[1].

يتضح من هذا النص وغيره أن الرازى قد مارس التشريح. وإن كان ذلك فى حدود ضيقة، وذلك إنما يرجع إلى أن تشريح جثث الموتى كان من الأمور المُحرمة فى العالم الإسلامى. ولذلك أقدم الأطباء على تشريح جثث الحيوانات، وخاصة القرود. من حيث إن أعضاءها أقرب شبهًا بأعضاء الإنسان. ولكن هذا لم يمنع بعض الأطباء من المجازفة بتشريح جثث الآدميين، وإن كان ذلك فى سريّة تامة وحيطة شديدة. خوفًا من بطش الخلفاء، وأنا أرجح أن يكون الرازى على قمة هؤلاء الأطباء، ومقالته الأولى من كتابه المنصورى خير دليل على ذلك كما سبق أن ذكرت.

وبذلك يكون الرازى قد مهد للنظرية التى ترى عدم وجود فرق واضح فى التركيب التشريحى للإنسان والحيوان، فقد "ظل العلماء حتى القرن الثامن عشر يقبلون بعامة النظرية التى ترى أن هناك فرقًا واضحًا – وأحيانًا يكون من بعض الوجوه فرقًا حادًا – بين التركيب التشريحى لدى الإنسان، والتركيب التشريحى لدى الحيوانات الأخرى. وكان من أعظم حسنات جوته فى حقل التشريح المقارن أنه قاوم هذه النظرية بقوة، وبقى على العلماء أن يظهروا التجانس نفسه، لا فحسب فى المبنى التشريحى والفسيولوجى لدى الإنسان. بل فى المبنى العقلى أيضًا"[2].

وفى نص آخر من كتابه "محنة الطبيب" يقول الرازى بالتشريح، بل وينصح به تلامذته قائلاً: "لا يمكن أن تُعالج علاجًا صوابًا حتى تعرف تركيب الأبدان وذلك يُعرف من التشريح"[3].

---

[1] المنصورى. ص68 .

[2] أرنست كاسيرر. مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية . أو مقال فى الإنسان. دار الأندلس بيروت 1961 . ص131 .

[3] الرازى . محنة الطبيب. ص505 . نقلا عن جلال موسى. م.س. ص189 .

ويذكر الدكتور سامى حمارنه فى فهرسته لمخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق. أن الرازى قد كتب عدة كتب فى "التشريح" ولكن مع الأسف فقد أكثرها"[1].

ومن أبلغ الأمثلة التفصيلية الدالة على دقة ومهارة الرازى فى التشخيص. تلك الحالة التى عرضت لطبيب وحار فيه دون أن يصل إلى تشخيص سليم. إذ يقول "كان طبيب به وجع فى كبده فدخلت عليه. فرأيته، فرأيت مع علامة طستا فيه براز صديدى كأنه ماء اللحم المذبوح. وهى علامة صحيحة على ضعف الكبد غاية الصحة. فلم التفت إلى ذلك وتغافلت كأنى لم أره. ثم ضربت بيدى إلى عرق العليل ليظهر هل به ورم فى كبده. أم أن ذلك لضعف فقط. ولأن المريض كان طبيبًا فقال إنما قعدت ساعتى هذه من قيام قمته فأجعل لحركتى خطًا من التواتر. ورأيت أنا فى النبض شيئًا من علامات الورم. ومددت عينى بعد ذلك. فرأيت فى طاق البيت قديرة صغيرة فيها زوفا قد خلط بماء العسل. فعلمت لما رأيت ذلك أن العليل يتوهم أن به ذات الجنب لأنه كان يجد وجعًا فى ضلوع الخلف. وهذا شىء قد يُتبع فى بعض الأحوال إلى الأورام الحادثة فى الكبد ولأنه يخبر بذلك، وكان تنفسه متواترًا صغيرًا. وكان به سعلات صغيرة. فعلمت أنه يظن أن به ذات الجنب. وأنه لذلك السبب اتخذ لنفسه زوفًا مع ماء العسل. فوضعت يدى على ضلوع الخلف من جانبه الأيمن. وهو فى موضع الكبد. فقلت هذا يُوجعك. فأقر بذلك وسعل مثلها. وقلت له إنك إذا تنفست تنفسًا له فضل عظيم. أحسست الوجع الذى بك يزيده وأنك تحس أيضًا بثقل معلق من جانبك الأيمن فى ما دون الشراسيف. وأردت أن أقول له إن وجعك يبلغ الترقوة. ثم خفت إن ينقص ذلك مما تقدم من الإصابات لأنى سلمت أن الوجع الذى بك يزيده. وأنك تحس أيضا بثقل معلق من جانبك الأيمن فى ما دون الشراسيف. وأردت أن أقول له : إن وجعك

---

[1] سامى حمارنه. فهرست مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق. م. س. ص62 وانظر الفصل الخامس بمؤلفات الرازى من هذا الكتاب.

يبلغ الترقوة ثم خفت إن ينقص ذلك مما تقدم من الإصابات لأني سلمت ان الوجع انما يبلغ إلى الترقوة فى الأورام العظيمة من أورام الكبد. فلم أجزم. ولكن قلت إنك ستصيب وجعا يبلغ تراقيك كأنه يجذب إلى أسفل وكأن ذلك لم يعرض بعد. فقال: قد عرض لى ذلك أيضا، ثم قلت إنك تتوهم بأن بك ذات الجنب، وإنما وصفت لك هذا لتجعلوه مثالا، فإن اتفقت لكم سعادة يمكنكم من أجلها تنويه الاسم، لا تقصروا عنها، ولا تضيعوها كهؤلاء الجهال[1].

ويعد الرازى رائدا فى علم الفسيولوجيا "وظائف الأعضاء". ويتضح من ذلك من نص دقيق له، إذ يقول : "ينبغى أن تكون عالما بالعصب الذى يأتى إلى كل واحد من الأعضاء، منها عصب الحس، ومنها عصب الحركة، فالعصب الذى ينبت فى الجلد يحس، والذى يكون منه الوتر يحرك، وفعل العصب يبطل، إما ببتره فى العرض، أو شدة أو لورم يحدث فيه، أو لبرد شديد يصيبه، إلا أن الورم والشد والبرد قد يمكن أن يرتفع فعله إذا ارتفعت علله، وإن حدث وقطع العصب عرضا. استرخت الأعضاء التى فى تلك الناحية، وإن شق العصب بالطول. لم ينل الأعضاء التى فى تلك الناحية ضرر البته. فأقصد أبدا عند بطلان حس عضو أو حركته إلى أصل العصب الجانى إليها، فإذا كان قد برأ، فأسخنه بالأضمدة، وإن كان قد ورم فاجعل عليه المحللة. وإن كان قد قطع، فلا حيلة منه"[2].

وتتجلى مهارة الرازى فى التشخيص أيضا حينما يربط بين العوامل الطبيعية فى البيئة وبين ظهور الأمراض. فإذا كثر فى بلدة الذباب مع تواتر الأمطار. فانذرهم بالجدرى والحصبة والطواعين"[3]. و"إذا كان الشتاء دافئا والربيع باردا. لزمت النزلات الرؤس وخيف انحدارها إلى الأعضاء الرئيسية"[4]. فقد درس

---

[1] الرازى، الحاوى، جـ7 . ص131 – 132 .

[2] الرازى . الحاوى جـ 10 ص3

[3] خالد ناجى . م. س. ص33 .

[4] الرازى. محنة الطبيب. ص50. نقلا عن جلال موسى. م. س. ص193 .

الرازى تأثير العوامل الفيزيقية على حياة أنسجة الجسم وتقلص شرايينه. وهو ما يدخل الآن فى علم "الباثولوجيا". وله فى ذلك رسالة بعنوان "لماذا الثلج يُحرق ويقرّح". وفى كتابه "فى الأمراض التى تحدث فى الخريف وتشفى وتزول فى الربيع" يتحدث الرازى[1] عن الرطوبة والجفاف كسبب للأمراض وعلاجها. وله كتاب فى صفات البيمارستانات وطريقة اختيار مواقعها فى المدينة وضرورة بعدها عن المناطق الرطبة التى تسبب كثيرًا من الأمراض أو تساعد عليها.

---

[1] داود السامرى. أصالة الطب السريرى عند الرازى. بحث ضمن أبو بكر الرازى وأثره فى الطب. م. س. ص100 .

## ثانيًا : الرازى رائد نظرية التشخيص التفريقى Diff Diagnosis

من الأمور المهمة التى تستوقنا عند مطالعة (واستيعاب وفهم) نص مقالة النقرس للرازى، أن صاحبها يبتدأ الباب الأول منها بالتفرقة بين أعراض مرض النقرس، وما شابهه من أمراض أخرى، وخاصة مرض وجع المفاصل.

وتلك مسألة جدّ خطيرة تستحق الوقوف عندها طويلاً. ويأتى تبريرى لهذه الخطورة من أن الرازى يعد بحق رائدًا لما يطلق عليه حاليًا التشخيص التفريقى Diff Diagnosis فى الطب الحديث .

فمن الإسهامات الأصيلة التى قدمها الرازى للإنسانية جمعاء تفرقته بين الأمراض المتشابهة الأعراض، والتى تعتمد على علم الطبيب وخبرته، وطول ممارسته، وذكائه، وقوة ملاحظاته. وتجاربه. وقد توفر كل ذلك فى الرازى، الأمر الذى جعله سباقًا فى هذا المجال. فلم يسبقه أحد من السابقين عليه، سواء من أطباء اليونان، أم من أطباء العرب والمسلمين. فللرازى كتاب "فريد" فى هذا الميدان، ولعله الأول من نوعه فى تاريخ الطب الإنسانى بصفة عامة، إنه كتاب "ما الفرق" الذى يقول الرازى فى مقدمته[1]: إننى لما رأيت الأطباء يحفظون من المرض ما يعرفونه من الكتب، وقد تتشابه هذه الأمراض والأعراض، وهنا يصعب التشخيص على الطبيب اعتمادًا على ما تذكره، لأن العملية لا تعتمد على التفريق بين ما يتشابه من الأمراض. لذا أردت أن أجمع ما يتشابه، وما لا يتشابه فى كل مرض وشكاية لأُسهل عمل الطبيب فى الممارسة اليومية عندما يصادف شكاية متشابهة وأعراض لأكثر من مرض، وفحص سريرى متشابه لعدة أمراض.

---

[1] الرازى. مقالة فى النقرس. دراسة وتحقيق خالد حربى. دار الوفاء. الإسكندرية 2005. ص75.

وهاك نمانج تطبيقية لهذا الكلام النظرى :

## 1- الجدرى والحصبة :

يعد تمييز الرازى بين أعراض كل من مرض الجدرى والحصبة أول تمييز من نوعه فى تاريخ الطب الإنسانى، وبه قدم الرازى كشفا جديدا يفتح الباب على مصرعيه لتقديم العلاج الصحيح والمناسب لمثل هذه الأمراض الخطيرة. يقول الرازى: " يسبق ظهور الجدرى حمى مستمرة تحدث وجعا فى الظهر وأكلان فى الأنف وقشعريرة أثناء النوم. والأعراض الهامة الدالة عليه هى : وجع الظهر مع الحمى والألم اللاذع فى الجسم كله. واحتقان وألم فى الحلق والصدر مصحوب بصعوبة فى التنفس، وسعال وقلة راحة. والتهيج والغثيان والقلق أظهر فى الحصبة منها فى الجدرى، على حين أن وجع الظهر أشد فى الجدرى منه فى الحصبة"[1].

وهذا الوصف التفريقى الدقيق بين أعراض الجدرى والحصبة هو ما جعل كتاب" الجدرى والحصبة" Small- Pox and Measles أول وأورع كتاب فى علم الأوبئة، وهو أحدى روائع الطب الإسلامى على حد قول مؤرخ العلم الشهير جورج سارتون. ويُعد الكتاب من أوسع مقالات الرازى الطويلة الكثيرة الشهرة فى الغرب، والتى نشرت لأول مرة باللغة العربية مصحوبة بترجمة لاتينية قام بها، شاننج Channing بلندن سنة 1766. وكان قد سبقها ظهور ترجمة لاتينية للكتاب فى فيينا سنة 1556. كما ظهرت ترجمة إنجليزية قام بها جرينهل Greenhill ونشرتها جمعية سيدنهام ثانية عام 1848 . ويقول أحد علماء الغرب، وهو نوبرجر Neuburger: تعتبر رسالة الجدرى والحصبة حيث تكون حلية التأليف الطبى العربى وزينته .. وهى تحتل مكانة عالية من الأهمية فى تاريخ علم الأوبئة باعتبارها أول مقالة عن الجدرى. وهى تُظهر الرازى فى صورة الطبيب ذى الضمير. المتحرر من أسر الهوى .

---

[1] خالد حربى. الرازى الطبيب ... ص 108.

## 2- القولنج وحصاة الكُلى :

أثبت الرازى بمتابعة مشاهداته وملاحظاته وتجاربه التفريقية الدقيقة أن جالينوس قد أخطأ فى تشخيصه لمرض "القولنج" على أنه حصاة فى الكُلى. فيذكر الرازى أن جالينوس قال فى كتابه "فى الأعضاء الآلمة": إنه كان قد حدث به وجع شديد فى ناحية الحالبين والخواصر، وإنه كان لا يشك أن به حصاة فى إحدى نواحى الكُلى إلى المثانة. وإنه لما احتقن وخرج منه بلغم لزج، سكن وجعه على المكان. فأدرك الرازى وعَلِمَ أنه أخطأ فى حدسه، وإنه كان به وجع القولنج[1].

ولكن الرازى استطاع من خلال تركيز انتباهه على ما هو مشاهد أن يقف على جوانب الشبه والاختلاف بين أعراض الحصاة فى الكُلى، وأعراض القولنج. وقرر وفقًا لمشاهدته الدقيقة – المبنيّة على العلم وطول الممارسة – أعراض وعلامات هذا المرض، وهى: "إذا حدث فى البطن تحت السرّة أو فى إحدى الخاصرتين وجع شبيه بالنخس، ثم كان معه غثى وتقلب نفس، واشتد سريعًا حتى يعرق العليل منه عرقًا باردًا. فأظن أنه وجع القولنج، ولاسيما إذا كان الذى به هذا الوجع قد أصابه قبل ذلك تخم كثيرة أو أكثر من أطعمة غليظة أو باردة[2].

ويؤكد الرازى على أن تشخيص القولنج ليس أمرًا هينًا نظرًا لتشابه آلام الأحشاء الموجودة فى الجوف السفلى من البطن. "وقد يحدث فى الأمعاء أوجاع يظن بها أنها وجع القولنج فى ابتداء كون السحج (التقرحات المعوية) وترك الحيات والديدان. وذلك ينبغي أن تكون عنايتنا بتفصيل هذه الأوجاع المشبهة لوجع القولنج منه عناية شديدة لئلا يقع فى العلاج خطأ"[3]. ويأتى تشخيص الرازى للقولنج أيضًا بناء على السوابق المرضية المباشرة والبعيدة، وعلى موضع الألم وشدته، وانتشاره، والأعراض المرافقة للألم من غثى، وقيىء، وحمى، وعلى فحص المفرغات من براز

---

[1] الرازى، كتاب القولنج، تحقيق صبحى محمود حمامى ، ص40، 145 .

[2] الرازى، كتاب القولنج ، ص40 .

[3] الرازى، كتاب القولنج ، ص36 .

وبول كما وكيفا، وعلى الاختبار العلاجي. وينتهي الرازي إلى أن وجع القولنج يكون من برد المعدة وبرد الكُليتين[1].

وبعد التشخيص السليم للقولنج، يزيد الرازي من تفرقته بين أعراضه، وأعراض وجع الكلى، فإذا كان الوجع في الجانب الأيسر، يَظن أنه في الكُلى، وإذا كان يتأدى إلى سطح الجسم حتى يحسّ العليل بألم عند غمز المراق. فقولنج"[2].

## 3- النقرس، ووجع المفاصل:

يتضح مما سبق مدى اهتمام الرازي بالتفرقة بين أعراض الأمراض المتشابهة، هذا الاهتمام الذي أدى به إلى أن يصبح رائدًا لنظرية التشخيص التفريقي المعمول بها حاليًا. ومن دلائل ذلك الاهتمام – خلافًا لما ذُكر – نرى الرازي يبدأ أحد أهم وأقيم وأخطر كتب الطب قاطبة، وهو كتاب "مقالة في النقرس"، يبدأه بالتفرقة الدقيقة بين أعراض النقرس، وأعراض وجع المفاصل. فالباب الأول من الكتاب يحمل عنوان : ما النقرس؟ وما الفرق بينه وبين وجع المفاصل. وبعد أن يُعرّف الرازي النقرس بأنه : مرض يعرض في مفاصل القدمين يؤلم ألمًا شديدًا، ويصير بالإنسان إلى أن يعوقه عن المشي والتصرف بالحركات، نراه يقدم أبلغ وأدق تفرقة– ما زالت سائدة حتى اليوم – بين أعراض النقرس، وأعراض ألم المفاصل، قائلاً[3]: والفرق بينه – أي النقرس – وبين وجع المفاصل، إذا كان حدوثه في المفاصل، أن وجع المفاصل يعم، مفاصل البدن كلها، والنقرس إنما يخص القدمين. فإذا انتشرت الآفة في اليدين والرجلين معًا حتى تألم فيها المفاصل، كان ذلك وجع المفاصل، وكذلك إن خَصت الآفة اليدين دون الرجلين".

---

[1] الرازي. جراب المجرّبات وخزانة الأطباء . دراسة وتحقيق خالد حربي. ص273 .

[2] الرازي. الحاوي الكبير في الطب. 152/8 .

[3] النص نقلا عن محمود الحاج قاسم: تاريخ طب الأطفال عند العرب. جامعة بغداد. مركز إحياء التراث العلمي العربي. ط الثالثة 1989 . ص95 .

## 4- الصرع الخلقي والصرع العرضي :

لم يكتف الرازى فى نظريته فى التشخيص التفريقى بالتفرقة بين أعراض الأمراض العضوية فسحب، بل نراه أيضًا يفرق بين أعراض بعض الأمراض النفسية أو العصبية . ومن أمثلة ذلك تفرقته بين نوعين للصرع هما : الصرع الخلقى. والصرع العرضى. فيقول : "الصرع يحدث فى طريقتين، إما أن يولد الطفل مصابًا به بسبب رطوبة وعفونة باردة فى المزاج الطبيعى للدماغ، أو أن يكون حدوثه عرضيًا بعد الولادة. وشفاء النوع الأول الولادى هو ملاحظة الغذاء، لأن الطفل حينما يتجاوز هذه المرحلة يُشفى منه، ولكن إذا لم يتحسن، فإن هذا البلاء يؤدى بالطفل إلى الوفاة".

يتضح من كل ما سبق أن نظرية الرازى فى التشخيص تعتمد على وضع سؤال رئيس مؤداه : ما الفرق بين الأمراض، ومما يتكون هذا الفرق؟ ثم يخبرنا بكيفية التفتيش عن هوية محددة لهذا الفرق لمرضين أو أكثر متشابهين ظاهريًا؟ وينتهى مقررًا أن الفرق لا يبنى على أساس فهم حقيقته، ولكن يُبنى على قاعدة الملاحظة السريرية المختلفة عند الفحص. وذلك ما هو معمول به منذ زمن الرازى. وحتى الآن .

ولقد اهتم الرازى اهتمامًا بالغًا بمعرفة ما يشكو المريض من مرض وذلك- كما سبق - عن طريق الاستدلال من أحواله العامة، كالاستفسار عن حياته وبيئته. والأهم من ذلك ملازمته، لملاحظة ما يطرأ على حياته من تغيرات يقرر على أساسها العلاج المناسب، فمن "أبلغ الأشياء فيما يحتاج إليه فى علاج الأمراض بعد المعرفة الكاملة للصناعة، حسن مساءلة العليل، وأبلغ من ذلك لزوم الطبيب وملاحظة أحواله"[1]. لأن المريض فى كثير من الأحيان لا يستطيع أن يصف ما يشعر به وصفًا دقيقًا. فيُستعاض عن ذلك بملازمة الطبيب إياه، فيُلاحظ التغيرات التى تطرأ على

[1] الرازى. المرشد. فصل 368. ص121 .

حالته. حتى يقف على تشخيص للمرض الذى يشكو منه. فيقرر علـى إثره العلاج المناسب.

ومن الأمثلة التى يذكرها الرازى تدليلاً على هذا المبدأ الطبى الهام، ما قام به شخصيًا من ملازمة صديق له كان قد أصيب بحالة إسـهال مزمنـة. وبعد متابعة الرازى له مدة طويلة، انتهى إلى أن أمره بحلْق رأسـه، ثـم دلكـه بـالخردل. فشفى المريض. وقال الرازى فى ذلك: "لولا طول الالتقاء والمجالسة، لم يكن أن يلحق من أمره هذا شيء البتة"[1].

ومن وسائل الرازى فى التشخيص التـى ينبغـى أن تُذكر، استخدامه لقرع البطن للتحرى عن مرض الاستسقاء والـذى صنفـه إلى الزقـى، والطبلـى. واللحمـى. فيقول فى الحاوى[2]: "إذا شككت فى الاستسقاء وأى نوع هو، فـأقرع البطـن وتفقد الصوت، فإن الزقى واللحمى لا صوت لهما، والطبلى له صوت، وللزقـى إذا قلبت العليل من جنب إلى جنب وإذا خضضتـه بيـدك بشـدة. أمـا اللحمـى ويُعـرف هـذا بغرس الإصبع ويبقى أثره فيه ويكون فى جميع أنحاء البدن".

وخلاصة القول إن الرازى قد أسهم فى مجال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن، منها: المراقبة المستمرة للمريـض، والاختيـار العلاجـى، وهـو أن يُعطى العليل علاجًا مراقبًا أثره، وموجهًا للتشخيص وفقًا لهذا الأثـر.. ومنـها أهميـة ودقـة استجواب المريض. فينبغى للطبيب أن لا يدع مساءلة المريض عن كـل مـا يمكـن أن يتولد عن علته من داخل. ومن خارج، ثم يقضى بـالأقوى .. ومنـها أيضًـا، العنايـة بفحـص المريـض فحصًـا شـاملاً، علـى اعتبـار أن الجسـم وحـدة واحـدة متماسـكة الأعضاء[3].

---

[1] نفس المصدر، نفس الصفحة.

[2] خالد ناجى، م. س، ص39 .

[3] خالد حربى، علوم حضارة الاسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية، سلسلة كتـاب الأمـة . قطر. الطبعة الأولى . ذو القعدة 1425 . يناير 2005، ص119 .

## ثالثا : المعالجات الجسمية

اعتمد منهج الرازى العلاجى على الغذاء جل اعتماده. ففى العديد من مؤلفاته[1] ينصح بالبدء بالأغذية قبل الأدوية. فكان يفضل النباتات والأعشاب الطبيعية التى خلقها الله على العقاقير المركبة التى يصنعها الإنسان. ومن كلامه فى ذلك: "إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة"[2] ولذلك كانت نصيحته لكل طبيب جديد هى: ".. وحيث المواد الغذائية تشفى وتنفع. فعليك بها دون العقاقير. وحيث المواد البسيطة تكفى. فعليك بها دون المركبة"[3].

ويقرر الرازى الدواء المركب فى حالة عدم الوقوف على تشخيص سليم للعلة فيقول: "إذا كانت الدلائل مختلفة. فاجعل الدواء كثير التركيب مختلفا، فإن أمثال هؤلاء ينفعون بهذه الأدوية. وانتقل فى مثل هذه العلة من دواء إلى دواء مالم تر الأول ينجح. فإنه أحرى أن يوافق النافع، ومن علاج إلى علاج مخالف أو مضاد. ولا تدمن على علاج واحد لاسيما إذا لم ير العليل فى ذلك منفعة منه. فإنه كثيرا ما ينفع الدواء عضوا واحدا ولا ينفع عضوا آخر به تلك العلة بعينها. وأعجب من ذلك أنه ربما نفع الدواء العضو الواحد مرات كثيرة ثم يضره بعد قليل ويلهب فيه ورما حارا[4]. وربما احتيج أن يخرج من البدن أخلاطا مختلفة فيحتاج أن يركب ذلك الدواء من أدوية كل واحد منها فيخرج خلطا من الأخلاط[5].

وهذا يبين أن الرازى تنبه إلى أن الأدوية المركبة تستطيع أن تعمل معا بدون أن تتداخل مع بعضها أو بدون أن يؤدى عملها إلى ضرر بصحة الإنسان. فإذا ما

---

1 من هذه المؤلفات : منافع الأغذية ودفع مضارها - علاج الأمراض بالأغذية والأدوية الموجودة فى كل مكان - المنصورى - جراب المجربات وخزانة الأطباء - التجارب .

(2) ابن أبى أصيبعة . عيون الأنباء .. ص421 .

(3) نقلا عن هونكه. م. ص. ص250 - 251 .

(4) الرازى. الحاوى جـ11 . ص136 .

(5) الرازى. المرشد. فصل 283. ص293 .

ألقينا نظرة عامة على الأدوية الموجودة فوق رفوف الصيدلانيات في وقتنا الحاضر. لوجدنا أن هناك الكثير من الأدوية المركبة على شكل حبوب وأشربة.. وغير ذلك. فمثلا حبوب الفلو أوت التي يتناولها الناس عند شعورهم بالزكام نجد أنها تحتوي على ثلاث أدوية : الأول من مضادات الحساسية. والأخر من مسكنات الألم. ومخفضات الحرارة. والثالث فيتامين (ث). فالأول يخفف من حدة الترشيح فيريح المزكوم من إزعاجه، والأخر يخفف من الصداع والحمى، والثالث يساعد على التئام الالتهابات. واستعمال الرازى للأدوية المركبة يوضح معرفته بعلم الفارماكولوجى الحديث[1].

وينصح الرازى بالحذر فى المعالجة. فهو يوصى[2] باستعمال الأدوية الشائعة والمجربة. وعدم التسرع فى وصف الأدوية المعقدة إلا بعد خبرة طويلة فيها. وهكذا نراه يردد بعد خبرته الطويلة بالسّرطانات: "إذا كان السرطان خفيًا، أى غير متقرح أو نازف، فمن الأفضل تركه وعدم التدخل فيه، إذ كلما كثرت المداخلات الطبية، كلما أسرعت فى انتشاره ونموه"[3].

---

[1] عليا رشيد عزه. الرازى وعلم الفارماكولوجى. بحث ضمن أبو بكر الرازى وأثره فى الطب. م.س. ص49 .

[2] يعرف علم الفارمكالوجى فى العصر الحديث بأنه العلم الذى يشمل تاريخ الدواء. أى أصوله وكيفية استخراجه وتأثيراته الفسيولوجية وتفاعلاته الكيميائية داخل الجسم. والكيفية التى يعمل بها لكى يعطى بها تأثيراته Mode of Action سواء كانت هذه التأثيرات علاجية أم جانبية. وكيفية تداول الدواء وجرعاته والعوامل التى تؤثر على كمية الجرعة وامتصاصه وطرق انتشاره فى الجسم وتأيضه ثم طرحه

وترجع أصل التسمية إلى كلمة "فارماكون" اليونانية التى تقابل كلمة عقار بالعربية. والفارماكوبيا Pharmacopea هى دستور الأدوية. ولكن العرب أطلقوها على الأدوية المركبة. أما كلمة أقراباذين كما يحلو للبعض أن يطلقها. فهى كلمة اعتبرها العرب مرادفة لعلم طبائع الأدوية أو ما نسميه" اليوم بعلم الفارماكولوجى (انظر المرجع السابق ص49).

[3] خالد ناجى. م. س. ص40 .

ويُقرر الرازى فى منهجه العلاجى أن معظم العلل ترجع إلى نقص الأخلاط عن معدلها الطبيعى. "فليست العلل عن زيادة الأخلاط بأكثر منها عن نقصانها"[1] وبناء على ذلك فإن العلاج هو عبارة عن محاولة لإعادة هذه الأخلاط إلى معدلها الطبيعى فى الجسم. والأخلاط هى السوائل الموجودة فى الجسم. وهى أربعة أنواع: الدم، والبلغم، والمرة الصفراء، والمرة السوداء. وكلها معروفة. إلا المرة السوداء. وهى عصارة الطحال فى حالته الطبيعية. وفى المعدة أو فى الكبد فى حالات مرضية تنصب إليها من الطحال. وقد قصر الرازى التغير فى السوائل على خصائصها الطبيعية من حرارة وبرودة، ورطوبة. ويبوسة. وزيادة. ونقص، ولطافة ولزوجة. ومن الذكاء العجيب أن يستطيع الرازى – وغيره من القدماء - تفسير الأمراض كلها بالتغيرات التى تقع للسوائل الأربعة من حيث صفاتها الطبيعية فحسب. وإذا كان الرازى قد نسب المرض إلى التغير فى هذه السوائل. فإن الطب الحديث يرى أن التغير فى كمية السوائل أو فى طبيعتها يكون نتيجة وسببًا للأمراض فى نفس الوقت. وعلى ذلك لا يكون رأى الرازى فى الأخلاط بعيدًا جدا عن الصواب كما كنا نظن[2]

وأستطيع أن أتلمس فى منهج الرازى العلاجى القائم على الأغذية. أنه لم يقتصر على ذكر فوائد هذه الأغذية فحسب. بل كان حريصًا أيضًا على ذكر مضارها "فكل غذاء حيوانى أو نباتى لا يخلو من منفعة ومضرة"[3]. وهذا يعنى أنه قد يكون لطعام ما فائدة فى علاج عضو ما، إلا أن تناوله قد يضر بعضو آخر. وهنا ينصح الرازى بعدم تناول هذا الطعام وأخذ البديل "فأرياج الفيقرا ضار لصاحب البواسير جدًا لأجل حدة البصر"[4]. أى أن هذا الأرياج يعالج حدة البصر. ولكن يضر بصاحبه

---

[1] الرازى. سر صناعة الطب. وتحقيق خالد حربى. ص45 .

[2] محمد كامل حسين. ومحمد عبد الحليم العقبى. طب الرازى. م.س. ص28

[3] الرازى. سر صناعة الطب. وتحقيق خالد حربى . ص56 .

[4] الرازى. جراب المجربات وخزانة الأطباء. وتحقيق خالد حربى. ص92 .

إذا كان مصابا بالبواسير. وإذا كان الفجل يعمل على تقوية البصر، والثوم، والكرنب من الأطعمة التى تعمل على ضعفه[1]. وجميعها - فيما عدا الكرنب - بالإضافة إلى جميع أنواع النعناع، والباذنجان والزعفران من الأطعمة التى تجلب الصداع للرأس[2].

وقد امتاز الرازى بتقديم أكثر من وصفة علاجية للمرض الواحد، وكأنه بذلك يود أن يخفف على المريض مشقة البحث عن المفردات المكونة للوصفة. فإذا ما تعسر المريض فى الحصول على أى من هذه المفردات، فلينظر فى مكونات الوصفة الثانية، فإن لم يجد فعليّة بالثالثة .. وهكذا .

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء فى الباب الثانى فى كتابه "سر صناعة الطب" حيث نراه يقدم للحمى المحرقة وصفتين علاجيتين، ولحمى الربع أربع وصفات، منها قوله : "صفة دواء عجيب لحمى الربع، يؤخذ سنا، وأسارون، ووج من كل واحد مثقال، دراصينى فواح زنة ثلاثة مثاقيل، بذر هندباء، وفرنجمشك، ونمام، وبذر بطيخ، من كل واحد نصف مثقال، يُسحق الجميع بثلاثة أمثاله من عسل الإهليلج الكابلى، ويأخذ منه العليل ثلث أوقية بأوقية من شراب سكنجبين ممسك"[3].

وصفة أخرى: "يُؤخذ من الدهن العطرى، ومن دهن الجوز الحديث رطل. ويُوضع فى إناء نظيف، ويُضاف إليه من ماء الباذرنجوية، وماء الفرنجمشك بعد التغلية والتصفية من كل واحد رطلين. ومن ماء الهندباء، ولسان الحمل بعد التغليّة والتصفية رطلان. ويطبخ الجميع فى إناء مضاعف حتى يذهب الماء، ويبقى الدهن.

---

[1] نفس المصدر، ص61 .

[2] نفس المصدر، ص41 . ويقول الرازى أيضا ص73 : وأمراق اللحم بالشراب نافعة فاضلة لصاحب العشاء، إلا أن تكون حمى أو حرارة مفرطة .

[3] الرازى، سر صناعة الطب، الطبعة المحققة ، ص49 .

ثم ينزل ويفتق عليه نصف مثقال من مسك ذكر ويُشرب من هذا الدهن عند الحاجة إليه من مثقالين إلى نصف أوقية فإنه غاية"[1]

ويُعتبر كتاب الرازى "منافع الأغذية ودفع مضارها" من أبلغ المؤلفات فى هذا المجال، إذ وقف فيه على استقصاء أغلب الأغذية والأطعمة المشهورة على أيامه. وبيان منافعها، ومضارها، مع اعترافه بأن "العمر يقصر عن الوقوف على كل نبات فى الأرض"[2]. لذلك كان ينصح تلامذته قائلاً: فعليك بالأشهر مما أجمع عليه. ودع الشاذ. واقتصر على ما جربت"[3].

ويبتدئ الرازى كتابه ببيان سبب تأليفه. فيُصرح بأنه كتاب تام مستقص، أبلغ وأشرح مما عمله جالينوس الذى سعى، وغلط فى مسائل متعددة. وأن يحيى بن ماسويه قد ألف كتابًا فى ذلك ولكنه أضر فى هذا الغرض أكثر مما نفع. فقد هدف الرازى بكتابه هذا إلى سد النقص الذى وجده، وحتى يعم نفعه العامة والخاصة. راجيًا به ثواب الله عز وجل. ومتحريًا مرضاته[4].

وقد سلك الرازى فى هذا الكتاب منهجان: الأول يعنى ببيان الأمور الجزئية بذكر منافع كثير من الأغذية كالفواكه، واللحوم. والثانى يذكر فيه قوانين عامة وكلية. كقوله: "إن أصحاب البلدان الباردة يحتملون الأغذية الحارة جدًا. وينتفعون بها كالثوم والفلفل. وبالضد. فإن أصحاب البلدان الحارة لا يحتملون ذلك ويوافقهم الخلول وسائر الحموضات[5].

---

[1] نفس المصدر. نفس الورقة.

[2] ابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء .. م. س. ص421.

[3] نفس المرجع. نفس الصفحة.

[4] الرازى. منافع الأغذية ودفع مضارها. شرح وتعليق حسين حموى. دار الكتاب العربى - سوريا. ط أولى 1884. ص37.

[5] الرازى. نفس المصدر. ص163.

وتتجلى فى صفحات هذا الكتاب[1] قدرة الرازى على الاستقصاء إلى الحد الذى يمكن القول معه إنه قد اصطنع الإحصاء منهجًا له. فلم يترك أيًا من المطعوم، أو المشروب - الشائع فى زمانه - إلا أحصاه وبيّن منافعه من مضاره.

يتضح مما سبق أن الرازى قد أدرك أن هناك علاقة مباشرة بين صحة الفرد الجسمية وبين النظام الغذائى الذى يتوفر له فى مراحل حياته المختلفة، ومما لا شك فيه أن هذا الأمر يدخل ضمن اهتمامات الطب الحديث بصورة قوية. وذلك لأن نقص التغذية يُسبب أمراضًا عديدة. وتمتلئ كتب الفارماكولوجى الحديثة بأثر الفيتامينات. وبالتغذية أو ما يجب على الإنسان تناوله لكى تبقى أجهزة جسمه سليمة معافاة. وقد كان جُلّ اهتمام الرازى أن يكون مريضه قويًا، وأدرك أن القوة لا

---

[1] كتاب "منافع الأغذية ودفع مضارها" للرازى، وهو يحتوى على ما يلى من الفصول:

الفصل الأول : فى منافع الحنطة والخبز المتخذ منها ومضارها وما يدفع به تلك المضار. وصنوف الخبز والأوفق منها فى حال دون حال.

الفصل الثانى : فى منافع الماء المشروب ومضاره وأصنافه، وما الأوفق منه فى حال دون حال، وما يدفع به المضار المتولدة منه، وفى ذكر الثلج والجمد. والماء البارد والحار، وصنوف المياه، ومنافعها ومضارها وإصلاح ما يحتاج إلى أن يصلح منها.

الفصل الثالث : فى منافع الشراب المسكر ومضاره وصنوفه. وما الأوفق منه فى حال دون حال. ودفع المضار الحادثة عنه والأعرض اللاحقة به.

الفصل الرابع : فى الأشربة غير المسكرة.

الفصل الخامس : فى منافع اللحوم ومضارها وصنوفها وما الأوفق منها فى حال دون حال. ودفع المضار الحادثة عنها وإصلاحها.

الفصل السادس : فى القديد والنمسكود (وهو اللحم المجفف بالملح).

الفصل السابع : فى السمك ومنافعه ومضاره. والموافق منه. وغير الموافق فى حال دون حال. وما يتصل به ويقرب منه كالسحناة والربيثا والروبيان (الجمبرى).

الفصل الثامن : فى أعضاء الحيوان واختلافها وطبائعها ومنافعها ودفع مضارها. وما الأوفق منها وغير الأوفق فى حال دون حال.

الفصل التاسع : فى ألوان الطبيخ والبوارد ومنافعها ودفع مضارها والموافق منها فى حال دون حال.

تأتى إلا من الغذاء السليم الجيد. فهو يقول "القوة للعليل كالزاد للمسافر. والمرض كالطريق. ولذلك يجب أن يعنى الطبيب كل العناية أن لا تسقط القوة قبل المنتهى"[1]

وللرازى كتاب آخر فى العلاج بالأغذية يُسمى "كتاب فى علاج الأمراض بالأغذية والأدوية المشهورة الموجودة فى كل مكان"[2]، اتبع فيه منهج عكسى لمنهج

---

[1] عليا رشيد عزج. م. س. ص52 .

[2] الكتاب منه نسخة خطية بالمكتبة المركزية بجامعة الإسكندرية تحت رقم 119 ماكس مايرهوف.

ونسخة أخرى بدار الكتب المصرية تحت رقم 1118 طب. وهو يشتمل على الأبواب الآتية :

الباب الأول : فى الصداع وعلل الدماغ .

الباب الثانى : فى الفالج واللقوة والرعشة والخدر

الباب الثالث : فى الصرع .

الباب الرابع : فى الماليخوليا .

الباب الخامس : فى السرسام .

الباب السادس : فى النسيان وفساد الذكر .

الباب السابع : فى أدوية علل العين وأدويتها وعلاجها

الباب الثامن : فى علل الأذن وأدويتها وعلاجها

الباب التاسع : فى علل الأنف وعلاجها

الباب العاشر : فى علاج الـ[illegible]ـتين والفم

الباب الحادى عشر : فى علاج اللوزتين والحلق والخوانيق

الباب الثانى عشر : فى الزكام .

الباب الثالث عشر : فى علاج الصدر والرئة والحجاب وبحوحة الصوت والنزلات والسل

الباب الرابع عشر : فى السل مع السعال .

الباب الخامس عشر : فى علاج أثداء النساء .

الباب السادس عشر : فى علل المعدة وعلاجها وأدويتها

الباب الثامن عشر : فى أوجاع القلب والخفقان .

الباب التاسع عشر : فى السمن والهزال .

الباب العشرون : فى أوجاع الكبد وعلاجها .

الباب الحادى والعشرون فى علل الطحال وعلاجها

كتاب "منافع الأغذية ودفع مضارها" فبدلاً من أن يذكر الأغذية والأطعمة. ثم يسرد الأمراض وفقا لفوائد أو مضار هذه الأغذية، نراه هنا فى هذا الكتاب يذكر الأمراض التى تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم ثم يقدم لها العلاجات من الأغذية والأدوية المشهورة الموجودة التى لا تكاد تعدم فى أكثر المواضع، ولا تخلو منها البيوت والمطابخ، والأسواق، والقرى[1].

وقد بحث الرازى فى أثر الفصول الأربعة على الجسم الإنسانى. فالشتاء مثلاً يحدث أفضل الهضم. وكثرة الدم واللحم. والربيع يحل الأخلاط جيدًا. والخريف يولد الأخلاط الرديئة ويجعل الدماء رديئة[2]. ولذلك اهتم الرازى اهتمامًا

---

= الباب الثانى والعشرون: فى علاج الاستقساء.

الباب الثالث والعشرون : فى علاج انطلاق البطن والخلفة وفساد الهضم والسحج والزحير.

الباب الرابع والعشرون : فى علاج البواسير .

الباب الخامس والعشرون : فى علاج القولنج .

الباب السادس والعشرون : فى علاج الحصاة فى الكلى والمثانة .

الباب السابع والعشرون : فى علاج حرقة البول، وبول الدم وكثرة البول .

الباب الثامن والعشرون : فى علاج الباه وكثرة الاحتلام .

الباب التاسع والعشرون : فى الطمث وعلاج الأرحام والحبل .

الباب الثلاثون : فى علاج الورم فى الخصى والقضيب والفتق .

الباب الحادى والثلاثون : فى وجع المفاصل والنقرس وعرق النسا .

الباب الثانى والثلاثون : فى الدوالى وداء الفيل .

الباب الثالث والثلاثون : فى وجع الظهر العتيق والعرق المدينى .

الباب الرابع والثلاثون : فى الزينة .

الباب الخامس والثلاثون : فى لذغ العقارب ولذغ الزنابير .

الباب السادس والثلاثون : فى مداواة من سقى شيئا من المسمومات المعدنية والنباتية .

الباب السابع والثلاثون : فى الحميات .

[1] الرازى. كتاب فى علاج الأمراض بالأغذية والأدوية المشهورة الموجودة فى كل مكان. مخطوط المكتبة المركزية بجامعة الإسكندرية رقم 119 ماكس مايرهوف. روقة 1 وجه .

[2] زيجريد هونكه . م. س. ص250 .

بالغا بالعوامل الطبيعية من حرارة، ورياح، ورطوبة، وذلك لأهمية هذه العوامل للمرضى. فضلا عن الأصحاء. فكان يهتم بإنارة البيوت ودرجة حرارتها. وتهويتها، ونقاوة ماءها. هذا إلى جانب نصائحه المستمرة بضرورة الاغتسال. ذلك الأمر الذى رأت فيه أوربا فى القرون الوسطى إثما وعارا[1].

وينصح الرازى بوجوب المحافظة على الجسد من السمنة المفرطة وذلك لتجنب الأغذية التى تساعد على السمنة. وهى الأغذية الرطبة القوام، والتى يصفها بأنها أسرع الأغذية تغليظا للبدن. وإذا غلظ البدن بكثرة أخلاطه. كان أكثر استعدادا للأمراض من البدن القليل الأخلاط، ولذلك يحذر الرازى من الإفراط فى الغذاء منعا للسمنة. لأنه يرى أن ضخامة الجسم من أول العمر قد يؤدى إلى الموت السريع[2].

كما فرق الرازى فى علاجاته بين الأمراض، فمنها ما يكون علاجه على حسب عمر المريض، مثل مرضى الحصى، فالصبيان يسهل برؤهم. والكهول أسرع، أما الشبان والشيوخ، فأقل من الاثنين. ومنها ما يكون على حسب طبيعة المرض. فالأمراض الحارة أقتل من الباردة لسرعة حركة النار. كما أن علاج الربو نادر بالنسبة للمشايخ[3].

ولقد هدأ الرازى من تحمس الأطباء لتحليل البول فى عصر أقبل فيه الأطباء على تشخيص كل مرض بالفحص على بول المريض حتى دون أن يروه. وهنا تأتى حملة الرازى وتصديه لمحاربة تجار الطب المشعوذين، هؤلاء الذين كانوا يوهمون الناس – وخاصة العامة – بقدرتهم على الشفاء، وذلك بالاستناد إلى عملية "استعراض البول" التى ورثها العرب من اليونان، حيث كانوا يعتقدون أن النظر فى

---

[1] الرازى. الحاوى. ص ص15 – 193، عن سناء عبد الحميد، م. س، ص179 .

[2] الرازى. الحاوى. جـ6 ص226 – 228. عن عبد اللطيف العبد. م. س. ص277 .

[3] الرازى. الفاخر فى الطب. جـ2. نشرة كوينج. ط ليدن 1986. ص ص92 – 120 عن سناء عبد الحميد. م.س. ص180 .

قارورة البول يدل على حال الكبد، واضطراب الأخلاط: الدم والبلغم. والصفراء. والسوداء، أيهم تغلب على الآخر. فيكون سبب ذلك الاضطراب.

ولا يخفى على الطبيب ما لهذه العملية من أهمية في الكشف عن بعض الأمراض. إلا أنه لا ينبغي المبالغة في الاعتماد عليها إلى الحد الذي معه يمكن للقائم بها أن يقرأ ماضي المريض، وحاضره، ويتنبأ بمستقبله من النظر في أنبوبة بوله. مدعيا أن البول "فضائح للأسرار".

ويصف لنا الرازي مدى قوة واستحكام هذه الطريقة على أيامه حيث يقول: "عندما بدأت تعاطي مهنة الطب، قررت بيني وبين نفسي أن لا أسأل شيئا بعد تسلمي أنبوبة البول. فأظهر لي الناس ضروبا من الاحترام. ولما عدلت عن هذه الطريقة. وأمعنت في طرح الأسئلة بغض النظر عن أنبوبة البول. قل شأني بين الناس. وأفهموني ما يلي:

"إننا نعتقد بأنك عندما تنظر أنبوبة بولنا ترى كل ما غمض وتخبرنا بما ينتظرنا، ولكننا نلاحظ العكس!.. وحاولت عبثا إقناعهم بأن هذا التنبؤ خارج عن إمكانيات فن التطبيب، وإنه على الأرجح من صنع الدجالين المدعين. ولئن كان بوسع الطبيب أن يستدل من ظواهر المرضى على أشياء كثيرة لم يقلها له المريض، ولكنها لن تمكنه من القول مثلا: إن من له هذا البول قد نام بالأمس مع امرأة عجوز. أو نام على جانبه الأيمن كذا ساعات من الليل! وغير ذلك من الهراء"[1].

لذلك فقد فزع الرازي. ورأى ضرورة تخليص الناس من هؤلاء الدجالين. وظل يبحث في الأمر حتى أيقن أنهم كانوا يرسلون الجواسيس إلى المرضى. فيلتقطوا من أسرارهم وغوامض حياتهم. حتى إذا جاء هؤلاء إليهم. أجهروا لهم بالقول بما عرفوه. وعند ذلك لم يكن في وسع المرضى البسطاء إلا أن يصرحوا بأنهم أمام أطباء مهرة. ذو باع كبير في هذا الفن!!

---

[1] زيجريد هونكه . م. س. ص252 – 253 .

وما أن علم الرازى طريقتهم تلك حتى شن عليهم حملة شعواء كشفت عن زيفهم أمام العامة والخاصة. وكان من نتيجة ذلك أن ازداد المسئولين صرامة فى تعليم النشئ الجديد فن الطب والتطبب، وأن يدخلوا الامتحانات وإعطاء الإجازات بعد ست سنوات من رحيل هذا العظيم[1].

من ذلك يتضح أن الرازى قد حارب المشعوذين الجهال مدعى الطب. وحاول رفع مستوى الطب العلمى والخلقى. والأخذ بآراء الأطباء المتعلمين. ونبذ خزعبلات النفعيين من جهلاء الأطباء[2]. ولقد فهم أيضا عقلية عوام الناس فيما يختص بنظرتهم إلى المرضى، والطب والطبيب. إذ أنهم يعتقدون أن المرض هو عبارة عن الشعور بالألم، وأن الذى يسكن ذلك الألم بوسيلة من السوائل، ظن المريض أنه قد شفى من مرضه، وهو لذلك يسمى الأدوية المسكنة بالأدوية الشافية. ومن هنا تأتى رغبة العوام فى الأطباء العاديينَ أشد من رغبتهم فى الأطباء الكبار، ويشتهر لديهم من الأطباء من يحتال لتسكين الآلام، لا من يحتال لشفاء الأمراض[3].

وإذا كان الرازى قد تصدى لمحاربة السحر والشعوذة فى الطب، إلا أن له بعض النصوص التى تبين أنه أحيانا كان يؤمن بهذا النوع من العلاج. وهذا يعد من قبيل النقد الموجه إلى الرازى فى هذا الصدد. فمن ذلك أنه قال فى علاج الطحال: "يؤخذ طحال شاه لم تمسه سكين، ولم يخدشه شيء. فيؤتى به إلى مربط دابة ويحفر له ويدفن، ويقال : عليه باسم الله دفنت طحال فلان ابن فلانة. فهو برؤه"[4].

أما عن علاقة الطبيب بالدواء. فكان الرازى لا يرى ضرورة فى أن يكون الطبيب عارفا بكل صغيرة وكبيرة عن الدواء. إذ أنه كان يعتقد بأن معرفة

---

[1] نفس المرجع . ص252 .

[2] سامى حمارنه. م.س. ص88 .

[3] راجع عمر فروخ، عبقرية العرب فى العلم والفلسفة، م. س. ص121، 122.

[4] الرازى . جراب المجربات . وتحقيق خالد حربى. ص98. ورقة 59 وجه .

دقائق أمور الدواء هي من اختصاص الصيدلاني، ولم يعول على هذا الأمر كثيرا عند امتحان الأطباء للتصريح لهم بإجازة ممارسة المهنة إذ يقول: "أما امتحانه بمعرفة العقاقير، فأرى أنها محنة ضعيفة، وذلك لأن هذه الصناعة هي بالصيدلاني أولى منها بالطبيب المعالج. إلا أن تقتصر معرفته بالكثير الاستعمال منها، فيدل بذلك على قلة عمله ومزاولته ودربته، فأما المطالبة بمعرفة الغريب والنادر منها، فيدل بذلك على قلة عمله ومزاولته ودربته، فأما المطالبة بمعرفة الفرق بين الجيد والرديء منها، فليس ذلك خاصا بصناعته، ويمكن أن يكون طبيبا فاضلا مقصرا في كثير من العقاقير."[1] وهنا يبدو الرازي، وكأنه ينادي بالتخصص الدقيق في تدريس الصيدلة. ونظرة واحدة على مناهج التعليم في كليات الصيدلة[2] الآن تكفي للحكم على بصيرة الرازي النافذة في هذا التخصص.

هذا وقد كشف الرازي طرقا جديدة في العلاج فبالإضافة إلى ما سبق، فهو أول من استعمل الأنابيب التي يمر فيها الصديد والقيح والإفرازات السامة. واستطاع الرازي أن يميز بين النزيف الشرياني والنزيف الوريدي، واستعمل الضغط بالإصبع وبالرباط في حالة النزيف الشرياني[3].

ويعتبر الرازي أول من اهتم بالجراحة كفرع من الطب قائم بذاته، ففي الحاوي وصف لعمليات جراحية في غاية الدقة، من ذلك ما يقوله في علاج شعرة العين : "تؤخذ حديدة في دقة الإبرة قدر شبر، فيعطف رأسها على

---

[1] الرازي. المرشد. فصل 283. ص293. عن عليا رشيد عزة. م. س. ص51 .

[2] نفس المرجع . نفس الصفحة .

[3] أنظر كتابي. علوم حضارة الإسلام ودورها في الحضارة الإنسانية. سلسلة كتاب الأمة. قطر. م.س. ص19

زاوية قائمة، قدر عقد، ثم يحمى الرأس جيدا . فإن كان شعرا كثيرا، فأكوى كل مرة واحدة أو اثنتين ولا يكوى حتى يبرأ الأول، أعنى موضعه.."[1].

وكان الرازى متريثا فى استعمال السكين فى الجراحات أو الخراجات فيقول : "فإن كان الخراج حادثا فى غشاء الكبد، فإنه إذا انفتح يتصبب ما بين الحجاب والأمعاء فى الموضع الذى فيه يجتمع الماء فى المستسقى، فافتح إلى جانب الأربية اليمنى، فإذا سالت المدة، فواظب على الفتح"[2].

ولقد استخدم الرازى أدوية . مازال الطب الحديث يعول عليها حتى وقتنا الحاضر. فلقد استخدم الأفيون فى حالات السعال الشديدة والجافة. وتقول كتب الفارماكولوجى الحديثة إن الأفيون يحتوى على العديد من القلويات أو شبه القلويات كالمورفين والكودائين، والنوسكابين تستخدم فى إيقاف السعال الجاف خاصة الكودائين. وهى جميعها تعمل على تثبيط مركز السعال فى الدماغ وبذلك تخفف من نوباته وحدته، وتعطى هذه الأدوية كما أعطاها الرازى وخاصة فى حالات مرضى القلوب لكى تخفف عن القلب الإرهاق الذى يسببه السعال له[3].

ويعد الرازى أول من استعمل الأحزمة لمعالجة الفتوق. مبعدا الأدوات الحديدية فى تدريسه للطلاب حيث يقول : "فأما العلاج بالقناطر فلست أحتاج إلى أن أقول إنه لن يستطيع أحد أن يعالجها علاجا جديدا دون أن يكون عارفا بموضوع المثانة وخلقها معرفة جيدة[4].

---

[1] الرازى. الحاوى. جـ2 . ص 266 .

[2] الرازى. الحاوى. جـ7 ص140 .

[3] عليا رشيد عزة م. س. ص56 .

[4] الرازى. الحاوى جـ 10 ص140 وخالد ناجى م.س. ص40 .

واستخدم الرازى طريقة التبخير فى العلاج. وهى لا تزال تستخدم حتى يومنا هذا، وذلك بوضع الزيوت الطيارة فى الماء الساخن لكى يستنشقه المريض، فتعمل الأبخرة المتصاعدة على توسيع القصبات الهوائية، وبالطبع تتوسع المجارى التنفسية لأنها تؤثر على عملية مرور الهواء دخولا وخروجا فى حالتى الشهيق والزفير، وفى نفس الوقت، فإن للزيوت الطيارة تأثيرا مخدرا موضعيا، وهكذا تزيل الإزعاج الذى يحمى به المزكوم[1].

وهناك العديد والعديد من الطرق التى استخدمها الرازى، اكتفى بما ذكرته منها تدليلا على دراية صاحبها الفائقة وكثرة خبرته بها، وهو الأمر الذى سجل به الرازى – وغيره من أطباء العرب – تقدما وسبقا على الحضارة الغربية الحديثة . وقد كثرت الكتابات فى هذا الجانب، عربية كانت أم غربية، ولا داعى إلى تكرار ما اشتملت عليه هذه الكتابات هنا، والاقتصار على الأمثلة القليلة السابقة وذلك من أجل الإجابة على سؤال منهجى يطرح نفسه، وهو يتمثل فى موقفى من تقدم الطب العربى، وسبقه على الحضارة الغربية، والتساؤل عن إمكانية التقريب بين الطب العربى – القائم على العلاج بالأعشاب والنباتات الطبيعية والأغذية – والطب المعاصر؟

وتأتى الإجابة على هذا التساؤل من خلال الواقع الحالى: فها هى "ألمانيا" تكاد تكون قد انتهت حاليا إلى تقرير المعالجة بالأعشاب لأغلب الأمراض السائدة فتنشأ المستشفيات والصيدلانيات الخاصة بهذا الغرض. وهناك دول أخرى كثيرة تسير فى هذا الدرب مثل الولايات المتحدة الأمريكية. وإنجلترا، وفرنسا .. وغيرها.

---

[1] عليا رشيد عزه. م. س. ص 56 .

ومن الأمثلة على نجاح وسائل الطب القائم على العلاج بالنباتات والأعشاب الطبيعية في كثير من بلدان العالم. نجد في الصين الأطباء والحفاة Barafootdoctors يعدون جزءا هاما من النسق الطبي الذي يخضع للإشراف والتوجيه الحكومي، ويتم في ضوء فلسفة المحافظة على هذا النوع من العلاج.

وفي سيرلانكا يوجد أكثر من عشرة آلاف ممارس للطب الشعبي مسجلة أسمائهم لدى السلطات الصحية. وهذا يدل على أن هذا الطب يغطي ما يقرب من 75٪ من احتياجات الناس. وفي الهند حوالي 500.000 ممارسا للطب الشعبي. ويحصل جميع العاملين في الحقل الصحي على دراسات مركزة في مجال الطب الشعبي من خلال 108 مركز صحي تهتم بالمتطببين الشعبيين وتمنحهم التراخيص الخاصة بمزاولة المهنة[1].

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أهمية الكثير من الأعشاب ومواد العطارة في علاج كثير من الأمراض التي تعجز المواد الكيماوية عن شفائها. وذلك نظرا لاحتوائها على مواد غنية بالأملاح والفيتامينات والمواد الغذائية التي تساعد على بناء الخلية في الجسم وتحقق الشفاء وتمنع المرض.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك نجد أن الحبة السوداء أو حبة البركة تعالج عددا كبيرا من الأمراض لما تحتويه من مواد علاجية ووقائية مضادة لمعظم الأمراض - إن لم تكن كلها - مثل الفوسفات، والحديد، والفوسفور، والكربوهيدرات، والمضادات الحيوية، وتحتوي كذلك على مادة "الكاروتين" Carotine المضادة للسرطان. وبها هرمونات جنسية مقوية ومخصبة ومنشطة

---

[1] فاروق أحمد مصطفى. الانثروبولوجيا التطبيقية. بحث ضمن المدخل إلى الأنثروبولوجيا. تأليف نخبة من الأساتذة بجامعتي الإسكندرية وطنطا. مركز ثروات للأبحاث 1997. ص325 - 326.

ومدرة للبول والصفراء Bill; Gall وتحتوى على إنزيمات مهضمة ومضادة للحموضة، وبها مواد مهدءة ومنبهة معا .

وقد ثبت بالبحث الإكلينيكى فى قسم الأطفال بكلية الطب جامعة الإسكندرية أن زيت حبة البركة يفيد فى حساسية الصدر والسعال الديكى. كما ثبت بالبحث الإكلينيكى عن المجلة الطبية بألمانيا أن زيت حبة البركة له خاصية إيقاف نشاط الجرثومية Becteriostatic ومفيد جدا فى حساسية الأنف والتهاب الجيوب الأنفية .

ومن أحدث أبحاث الطب فى الولايات المتحدة البحث الذى أثبت أن زيت حبة البركة يحتوى على مادة الكاروتين، والفوسفور، ويعمل زيتها على تقوية الجهاز المناعى فى الجسم، مما يزيد من مقاومة مسببات المرض.

وبالجملة، فقد أثبتت الأبحاث أن حبة البركة تعالج التوتر العصبى، والخمول والكسل، والكحة والربو، وأمراض الكبد وتليفها، وتعالج السكر، وحصوات الكلى والمثانة، وجلاء وصفاء الوجه، والغثيان. واضطرابات المعدة والالتهابات بين الفخذين وتشقق الجلد، وتعالج البهاق والبرص. وتزيل الثاليل (السنط) وتعالج الروماتيزم بأنواعه، والصداع. والحموضة والقرحة، والتهاب القولون، وجميع آلام المعدة، وأمراض النساء، والولادات، وحالات الضعف الجنسى، وتساقط الشعر، وأمراض العيون وضعفها، وارتفاع ضغط الدم، وعلاج الإسهال .

وهنا لا يسعنى إلا أن أقف فى إجلال وتعظيم عند قول رسول الله ﷺ القائل : "الحبة السوداء دواء لكل داء إلا السام". قالوا: وما السام؟ قال : "الموت"[1].

---

[1] الحديث. رواه البخارى فى صحيحه .

وكذلك فقد أكدت الدراسات العلمية الأمريكية التى أجريت فى العديد من مراكز البحوث العلمية والطبية أن العديد من الخضروات والأغذية الطبيعية التى يتناولها الإنسان تعد علاجا مثاليا للكثير من الأمراض مثل عصير الخيار الذى يذيب حمض البوليك وينقى الدم منه ويخرجه من الجسم، ويعمل على زيادة إدرار البول، وبذلك يمكن التقليل من احتمالات الإصابة بمرض النقرس "داء الملوك" والذى ينجم عن زيادة حمض البوليك عن المعدلات الطبيعية فى جسم الإنسان .

كما أشارت الدراسات إلى أن الخيار يعد غذاء مفيدا لمرضى السكر لما يحقق من وقاية من مضاعفاته، وذلك نظرا لدوره الفعال فى تنقية الجسم من السموم والمواد الضارة، ويحتوى الخيار على بعض الأحماض والفيتامينات التى تخفف من الاضطرابات العصبية للجسم وتفيد فى عملية الهضم والامتصاص والتمثيل الغذائى للأطعمة فى الجسم، إلى جانب تأثيره المهدئ للعطش .

كانت هذه أمثلة لما يسود العالم الآن من الاعتماد على العناصر والمواد الغذائية الطبيعية فى العلاج من الأمراض المختلفة. الأمر الذى استلزم معه التفتيش فى الكتب القديمة الخاصة بذلك. لاسيما العربية منها، والتى اعتمد عليها العالم طوال العصور الوسطى، وبدايات العصور الحديثة. ويوجد فى كثير من الدول الآن مراكز علمية خاصة بالتنقيب فى المخطوطات الطبية والغذائية العربية لإخراج ما تحتويه من كنوز لأئمة الطب والعشابين فى العلم من أمثال: الرازى والشيخ الرئيس ابن سينا، وابن الجزار، وابن النفيس، وابن البيطار، وداود الأنطاكى .. وغيرهم .

وتلك هى أجلى صور التقريب بين الطب العربى فى عصوره المزدهرة وبين الطب المعاصر .

## رابعا : المعالجات النفسية والخروج على قسم أبقراط

لقد اقتصرت الآفاق الخلقية في الطب اليوناني على قسم أبقراط الشهير[1]، والذى كان مضمونه أن يقسم كل طبيب للأرباب والربات من أمثال "أبولون" و"اسكلابيوس" Asklipios وهيجيايا Hegieia وبيناكيا Panakeia وغيرهم بأن "يذهب إلى كل البيوت لفائدة مرضاها" دون الذهاب إلى أصحاب الأمراض المستعصية، هؤلاء الذين لا يرجى شفاءهم. وكان ذلك استنادا إلى تعريف أبقراط للطب "بالفن الذى ينقذ المرضى من آلامهم ويخفف من وطأة النوبات العنيفة، ويبتعد عن معالجة الأشخاص الذين لا أمل في شفائهم، إذ أن المرء يعلم أن فن الطب لا نفع له فى هذا الميدان"[2].

وهنا نجد الرازى يتعدى هذه الحدود الأخلاقية الأبقراطية حيث رآها قاصرة، ويفكر كأول طبيب فى معالجة المرضى الذين لا أمل فى شفائهم، فكان بذلك رائدا فى هذا المجال. لقد رأى الرازى أن الواجب يحتم على الطبيب أن لا يترك هؤلاء المرضى، وأن عليه أن يسعى دوما إلى بث روح الأمل في نفس المريض، ويوهمه "أبدا الصحة ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس"[3].

ومن أشهر الأمراض التى اعتبرها سابقوه مستحيلة البرء، وعالجها هو، الأمراض العصبية والعقلية والنفسية، وكما فعل الرازى بالنسبة للأمراض العضوية من تقديم وصف مفصل للمرض يشرح فيه علاماته، وأعراضه، ثم يصف له العلاج المناسب، فإنه قد فعل نفس الشيء بالنسبة لهذه الأمراض.

---

[1] أنظر نص القسم فى عيون الأنباء لابن أبى أصيعبة ص45 . وبصيغته العربية التى عرفها العالم الإسلامى وفقا لترجمة حنين بن إسحاق. فى فلسفة الطب للدكتور أحمد صبحى والدكتور محمود فهمى زيدان. م. س. ص166 .

[2] هونكه. م. س. ص253 .

[3] ابن أبى أصيبعة. عيوة .. م. س. ص420 .

ومن الأمثلة على ذلك قوله: "الغم الشديد الدائم الذى لا يعرف له سبب. وخبث النفس، وسوء الرجاء ينذر بالماليخوليا"[1] ثم نراه يقدم وصفا بليغا لهذا المرض فيقول: "ومن العلامات الدالة على ابتداء الماليخوليا، حب التفرد والتخلى عن الناس على غير وجه حاجة معروفة، أو علة كما يعرض للأصحاء لحبهم البحث والستر للأمر الذى يجب ستره. وقد ينبغى أن يتفقد علامة متداولة. ويبادر بعلاجه لأنه فى ابتدائه أسهل ما يكون. ويعسر ما يكون إذا استحكم. وأول ما يستدل به على وقوع الإنسان فى الماليخوليا، هو أن يسرع إلى الغضب والحزن والفزع بأكثر من العادة، ويحب التفرد والتخلى، فإن كان مع هذه الأشياء بالصورة التى أصف، فليوقظنك. ويكن لا يفتح عينيه فتحا جيدا كأن به خفشا. وتكون أعينهم ثابتة قليلا وشفاههم غليظة، أديم الألوان، زعرالأبدان، صدورهم وما يليها عظيم، وما دون ذلك من البطن ضامر، وحركتهم قوية سريعة لا يقدرون على التمهل، دقاق الأصوات، ألسنتهم سريعة الحركة بالكلام. وليس يظهر فى كل هؤلاء قيئ وإسهال معه كيموس أسود بل ربما كان الأكثر الظاهر منهم البلغم، فإن ظهر فى الاستفراغ شىء أسود، دل على غلبة ذلك وكثرته فى أبدانهم، وخف منهم مرضهم قليلا. على أن منهم من يخفف مرضه بخروج البلغم منه أكثر مما يخف بخروج الخلط الأسود.."[2]

وينصح الرازى أصحاب هذا المرض بالسفر والانتقال إلى بلد آخر مغاير لبلدهم فى المناخ فيقول: "إذا أزمن بالمريض المرض، وطال، فانقله من بلده إلى بلد مضاد المزاج لمزاج علته، فإن الهواء الدوام لقائه يكون علاجا تاما .. وقد برأ خلق كثير من الماليخوليا بطول السفر"[3]

---

[1] الرازى. المنصورى. م. س. ص211 .

[2] الرازى. الحاوى. جـ1 ص75 .

[3] الرازى المرشد. فصل 355. ص116 .

وعن أعراض مرض الصرع يقول الرازى : "الكابوس والدوار إذا داما وقويا، ينذران بالصرع. فلذلك ينبغى أن لا يتغافل عنهما. بل إذا حدثا، بودر بعلاجهما على ما ذكرنا فى موضعه"[1].

## ومن أمثلة معالجات الرازى - فى هذا الشأن ما يلى :

استدعى الرازى لعلاج أمير بخارى الذى كان يشكو من آلام حادة فى المفاصل لدرجة أنه كان لا يستطيع الوقوف، وعالجه الرازى بكل ما لديه من أدوية، ولكن دون جدوى. وأخيرا استقر الرازى على العلاج النفسى، فقال للأمير أنه سوف يجرب علاجا جديدا غدا، ولكن على شرط أن يضع الأمير أسرع جواديين لديه تحت تصرفه، فأجابه الأمير. وفى اليوم التالى ربط الرازى الجوادين خارج حمام بظاهر المدينة، ثم دخل هو والأمير غرفة الحمام الساخنة، وأخذ يصب عليه الماء الساخن، وجرعه الدواء. ثم خرج ولبس ملابسه وعاد شاهرا سكينا فى وجه الأمير، مهددا إياه بالقتل، فخاف الأمير، وغضب غضبا شديدا، وسرعان ما نهض واقفا على قدميه، بعد أن كان لا يستطيع، وهنا فر الرازى من الحمام إلى حيث ينتظره خادم الأمير مع الجوادين، فركبا وانطلقا فى أقصى سرعة. وعندما وصل الرازى إلى بلده. أرسل إلى الأمير رسالة شارحا فيها ما حدث من أنه لما تعسر علاجه بما أوحاه إليه ضميره، وخشى من طول مدة المرض، لجأ إلى العلاج النفسانى واختتم الرسالة بأنه ليس من اللياقة أن يقابل الأمير بعد ذلك، فلما عرف الأمير عزم الرازى على عدم الرجوع، أرسل إليه مائتى حمل من الحنطة، وحلة نفيسة. وعبد وجارية. وجواد مطعم. وأجرى عليه ألفى دينار سنويا"[2].

---

[1] الرازى. المنصورى. ص211 .

[2] الرازى . كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها. شرح وتعليق حسين حموى. م. س. المقدمة. ص23 24

وهذا المثال يوضح أن الرازى قد أدرك أثـر العـامل النفسـى فـى صحـة المريض. ليس هذا فحسب بل وفى أحداث الأمراض العضوية. ومن ذلـك مثـلا أن سوء الهضم يكون له "أسباب بخـلاف رداءة الكبـد والطحـال. منـها حـال الهواء والاستجمام، ونقصان الشـرب، وكـثرة إخـراج الـدم والجمـاع. والهمـوم النفسانية"[1].

وبذلك يكون الرازى قد تنبه إلى ما يسمى فى العصر الحديث بالأمراض النفسجسـمية Psychomatic diseases وهـى موضـوع اهتمـام أحـدث فـروع الطب.

ومن أمثلة الحالات النفسية التى عالجها الرازى بما هو متبع الآن فـى الطب النفسى، حالة[2] انشغال النفـس فـى الأشـياء العميقـة البعيـدة التـى إذا فكرت فيها (أى النفس) لم تقدر على بلوغ عللها. فحزنت واغتمت وأتهمت فى عقلها. فيقول :

إن رجلا شكا إليه، وسأله أن يعالجه من مرة سوداوية . فقال الرازى: فسألته : ما تجد؟ قال أفكر فى الله تعالى مـن أيـن جـاء وكيـف ولـد الأشـياء. فأخبرته أن هذا فكر يعم العقلاء أجمع. فبرأ من ساعته، وقد كـان اتـهم عقلـه حتى أنه كاد يقصر فى ما يسعى فيه من مصالحه، وغير واحـد عالجتـه بحـل فكره.

والذى نلاحظه فى هذه الحالة[3]، أنه استعمل التحليل النفسـى فقـال (عالجته بحل فكره). وهو ما يفعله الأطباء النفسانيون حاليا فى معالجـة مثـل هذه الحالات.

---

[1] الرازى الحاوى . جـ3 . ص63. نقلا عن جلال موسى. منهج .. م. س. ص198 .

[2] الرازى . الحاوى. جـ1/ 69 .

[3] عادل البكرى. م. س. ص66 .

ويعتبر قول الرازى السالف الذكر "فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس" دليلا واضحا على أولوية النفس فى الصلة بينها وبين الجسم. لذا ينصح الرازى بأن يكون طبيب الجسم، طبيبا للنفس أولا، فيستطيع أن يقف على ما يجرى فى نفس المريض من خواطر، ويستشف من خلال ملامحه الظاهرة ما يعينه على تشخيص المرض العضوى، ولأهمية هذا الجانب صنف الرازى كتابا خاصا أسماه "الطب الروحانى" غرضه فيه إصلاح أخلاق النفس[1].

إلا أن حميد الدين الكرمانى[2] المتوفى سنة 411هـ قد ذكر فى مقدمة كتابه "الأقوال الذهبية فى الطب النفسانى"، أن كتاب الرازى هذا يخلو من ذكر الأمراض النفسية والأمور المزينة لها، وقد وافقه على ذلك الدكتور جلال موسى، وذلك من إطلاعه على فهرست الكتاب فحسب!.

ولكنى أرى – وهذا رأى شخصى – أن الأمر غير ذلك، لأن المطلع حتى على فهرست كتاب الطب الروحانى للرازى سوف يدرك لأول وهلة أن الرازى قد تحدث عن بعض الاضطرابات النفسية. وإلا فما القول فى فصول من الكتاب تحمل عناوين مثل : فى قمع الهوى وردعه (الفصل الثانى) – فى دفع العجب (السادس) – فى دفع الحسد (السابع) – فى دفع المفرط الضار من الغضب (الثامن) – فى صرف الغم (الثانى عشر). أليست هذه الأمور، وأعنى

---

[1] خالد حربى. علوم حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية. كتاب الأمة. قطر. م. س. ص126 – 127.

[2] هو حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى الملقب بحجة العراقيين. كبير الدعاة الإسماعيلية فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى. وصاحب التأليفات العديدة فى الإشادة بالمذهب الإسماعيلى وإثبات إمامة الحاكم والرد على مخالفى الفاطميين. ومن هذه المؤلفات : "مباسم البشارات" و"راحة العقل" والكتاب المذكور فى المتن.

أنظر الرازى : الطب الروحانى ضمن مجموعة رسائل فلسفية. م. س. ص9.

بـها : الهـوى، والعجـب، والحسـد، والغضـب والغـم مـن قبيـل الاضطرابـات النفسية التى تتطلب العلاج؟!

وحتى وإن كان الكرمانى محقا فيما ذهب إليه -- كما وصفه بذلك الدكتور جلال موسى – فإنه غير محق فى قوله : "ولا فائدة فى قراءته"[1]، لأن موضوعات الكتاب[2] مفيدة جدا على الأقل بالنسبة للطبيب أو المعالج النفسانى كأخلاق ينبغى أن يتمسك بها، خاصة وهو يعالج الاضطرابات النفسية .

ولقد تمسك الرازى بالتوازن القائم بين النفس والجسد، وأبرز الصلة بينهما، وإلى أى حد يوجد تأثير وتأثر بينهما وذلك من خلال فصول كتابه العشرين، والتى يتضح منها أيضا أن للنفوس أمراضا يمكن علاجها كأمراض الأبدان تماما. وإن الجسم المريض ينتج عنه أخلاقا رديئة، وعلاجها إنما هو علاج لهذه الأخلاق. وإن الأثر النفسى على مزاج الجسد يحدث الوسواس والمانخوليا[3].

---

[1] الرازى : رسائل فلسفية .. م. س. ص16 .

[2] كتاب الطب الروحانى للرازى يقع فى عشرين فصلا هى كما يلى:
الأول : فى فضل العقل ومدحه. الثانى : فى قمع الهوى وردعه وجملة من رأى أفلاطون الحكيم. الثالث : جملة قدمت قبل ذكر عوارض النفس الردية على انفرادها . الرابع : فى تعرف الرجل عيوب نفسه . الخامس : فى دفع العشق والألف وجملة من الكلام فى اللذة. السادس: فى دفع العجب : السابع : فى دفع الحسد . الثامن : فى دفع المفرط الضار عن الغضب. التاسع : فى إطراح الكذب . العاشر : فى إطراح البخل . الحادى عشر : فى دفع الفضل الضار من الفكر والهم . الثانى عشر : فى دفع الاستهتار بالجماع . السادس عشر : فى دفع الولع والعبث. السابع عشر : فى مقدار الاكتساب والاقتناء والإنفاق. الثامن عشر: فى المجاهدة والمكادحة على طلب الرتب والمنازل الدنيائية والفرق بين ما يرى الهوى وبين ما يرى العقل . التاسع عشر : فى السيرة الفاضلة . العشرون : فى الخوف من الموت .

[3] سناء عبد الحميد . النفس بين النظر والتطبيق عند محمد بن زكريا الرازى، رسالة ماجستير – م. س. ص166 .

وإذا كان "الكرمانى" قد هاجم الرازى على تأليفه لكتاب الطب الروحانى هذا، إلا أنه يعود ويتفق معه فى وجوب محافظة النفس على الجسد، ليكون آلة يحقق بلوغ كمالها بواسطة الاعتدال[1].

ولم يتوقف الرازى فى معالجة مثل هذه الأمراض عند حد استخدام ذكاءه، وفهم مشاعر المريض، بل نراه ينصح باستعمال الأدوية والأعشاب الطبيعية تماما كما فى معالجة الأمراض العضوية. فمن ذلك قوله : ".. ولوجع الفؤاد يدق الجرجير ويشرب ثلاثة أيام على الريق مع زبيب"[2]. ولزيادة الفائدة يذكر أن من المعالجات ما يكون صالحـ لعلل عضوية ونفسية فى آن واحد فيقول: يسقى من الراسن درهمين بماء حار للهم والغم ووجع الفؤاد وفم المعدة[3]. فالهم، والغم، ووجع الفؤاد من المشاعر النفسية، بينما يندرج ألم فم المعدة ضمن سلسلة العلل العضوية.

وخلاصة القول أن الرازى كان سباقا فى الاهتمام بمعالجة أصحاب الأمراض النفسية، فسجل بذلك للمسلمين والعرب أروع الصفحات فى تاريخ الإنسانية، فقد كان اليونان يأمرون أهل المريض الذى يعانى ضعفا فى قواه العقلية بحبسه فى منزلهم، حتى يمنع ضرره عن المجتمع. وكانت أوروبا فى العصور الوسطى تعامل أصحاب هذه العلل أسوأ معاملة يعامل بها إنسان "فكان هؤلاء البشر المعذبون يوضعون فى سجون مظلمة، وقد قيدت أيديهم وأرجلهم. أو يعزلون عن العالم وعن أهلهم فى المستشفى السجن" أو "البيت العجيب" أو "برج المجانين" أو "القفص العجيب" كما كانوا يسمونها آنذاك. ويسلد أمرهم

---

[1] نفس المرجع . ص167 .

[2] الرازى. جراب المجربات . وتحقيق خالد حربى . ص76 .

[3] نفس المصدر . نفس الصفحة .

إلى رجال أفظاظ لا يعرفون إلا لغة الضرب والشتم والتعذيب وذلك أمد الحياة! !"[1].

وكان مبعث ذلك لدى الأوروبيين آنذاك هو الاعتقاد السائد بأن هذا المريض قد لعنته السماء عقابا له على إثم ارتكبه، فأنزلت به هذا المرض. أو أن شيطانا ماكرا ضاقت به الدنيا فحل فى جسم هذا المريض!، وعلى ذلك فإنه يحل تعذيب ذلك الجسد لأنه بمثابة منزل لشيطان رجيم!. أى فهم خاطئ للدين المسيحى كان هذا؟! وقد ظلت أوروبا على هذا الحال إلى قبيل القرن التاسع عشر، عندما قام طبيب فرنسي يدعى بينل "Pinel" بمطالبة مجلس الأديرة بتحرير المجانين السجناء، وتسليمهم لعناية ورعاية الأطباء[2].

كان هذا فى الوقت الذى خصص فيه العرب البيمارستانات الخاصة بهذا المريض والتى كان يعامل فيها معاملة كريمة تليق به كإنسان. ومن الأمثلة على ذلك، البيمارستان العضدى فى بغداد الذى شغل الرازى منصب ساعورا له كان به قسما خاصا لهؤلاء المرضى، وقد تولى الرازى بنفسه مراقبتهم والإشراف على علاجهم.

يتضح مما سبق مدى إدراك الرازى لأهمية الصحة النفسية، من حيث إنها الحالة السوية للإنسان عندما يوفق بين مطالب النفس ومطالب الجسد. ويقيم النسبة المتعادلة بين اللذة والألم. وهذا التوازن القائم على الوسط العدل دون إفراط أو تفريط هو الذى يؤدى بالإنسان إلى السعادة. وما أحوجنا إلى تلك الفلسفة التى تجمع بين المادة والروح بعد أن تخبط الإنسان فى متاهات المذاهب المتطرفة[3]. سواء كانت مادية، كاليهودية والمذاهب المادية الوضعية. أم كان تطرفا روحيا كالمسيحية والمذاهب الروحية. والنزعات الصوفية المتطرفة.

---

[1] زيجريد هونكه. شمس العرب تسطع على الغرب. م. س. ص255 .

[2] نفس المرجع، ص256 .

[3] سناء عبد الحميد. المرجع السابق. ص167 .

## خامسا: الوقاية في إطار منهج الرازي

كان من خصائص أطباء العرب في القرون الوسطى أنهم لا يهتمون بمعالجة المرضى فحسب، بل كانوا حريصين أيضا على حفظ الصحة على الأصحاء. وقد ذكرت لنا كتب الأخبار مرارا أن الخلفاء كانوا يخضعون بكل تواضع لطبيبهم الخاص، الذى كان يلازمهم فى تنقلاتهم فكان يحرم عليهم تناول طعام من الأطعمة بحكم أنه ضار بصحتهم، أو يبدى إليهم بنصائحه لدرء المفاسد التى تتسلط على أجسادهم. وكثيرا ما نجد بين مؤلفات القرون الوسطى الطبية رسائل تعرض لدراسة "منافع الأغذية ودفع مضارها" يتناول فيها المؤلف كل ما يتصل بالمأكول والمشروب. وقد ألف الرازى بالفعل كتابا فى هذا الموضوع وبهذا العنوان[1].

ولقد رتب الرازى بعد أن وقف على كتب السابقين عليه، وبعد أن حدد منهجه في التشخيص والعلاج، جملة من النصائح التى تحفظ على الأصحاء صحتهم، تتمثل فى "تقدير الحركة والسكون والمطعم والمشرب وإخراج الفضول"[2].

1- وتأتى أول نصائح الرازى فى الحركة بأنها ضرورية لكل إنسان صغيرا كان أم كبيرا، كل على قدر قوته حتى وإن كان راكبا. فينصح الرازى بأنه ينبغى على الفرد أن يتحرك قبل الطعام، لأن ذلك يعمل على تنشيط خلايا الجسم، ويوقظ الحرارة الغريزية فيه، فيتهيأ لاستقبال الطعام وهو متأجج، فيكتسب بذلك خصبا وجلدا وشدة. وينبغى أن يتحرك الحركات القوية العنيفة، لكن لا يبدءها بغتة لأن فى ذلك ضرر شديد على الأعصاب، بل عليه أن يبدأ حركته بالتدريج، وعليه أن يشد بطنه

---

(1) راجع الأب جورج قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير . م.س. ص138

(2) الرازى، المنصورى . ص203 .

بعصائب عريضة إذا كانت مسبلة. وإذا كانت الحركة قبل الطعام حافظة للصحة فإنها جالبة للأمراض إذا كانت طويلة وعنيفة بعد الطعام[1]

2- وفى مقابل نصائح الرازى فى الحركة، تأتى نصائحه وإرشاداته فى السكون. وهى تنحصر فى أهمية النوم ومنافعه ومضاره. فمن منافع النوم، أنه يريح النفس ويسكن الأعضاء ويجدد الهضم، ويخصب البدن. ويوقظ ويجدد الفكر الذى قد تبلد، أما الإفراط فيه، فإنه يرخى البدن. ويعمل على ترهله، ويكثر فيه البلغم ولاسيما لدى أصحاب الأبدان السمينة .

ويجب أن يتجنب الفرد السهر المفرط لأنه يهيج حرارة البدن ويجففه، ويجعله عرضه للكثير من الأمراض، لاسيما أصحاب الأبدان النحيفة. فينبغى عدم إجبار النفس على السهر، وقد استرخت أعضاء البدن وتبلدت. كما لا يطلب النوم والنفس متيقظة والأعضاء نشطة، وإنما يكون النوم بعد الطعام بحوالى ساعة من الزمن تقريبا، عندما يحس الفرد بأن امتلاء البطن قد قل وخف، مع مراعاة عدم إكثار التقلب من جنب إلى آخر، لأن ذلك إنما يبطئ عملية الهضم، ويجلب الانتفاخ. وأخيرا يجب أن تكون الوسادة مرتفعة وخاصة إذا كان الطعام لم ينزل عن فم المعدة بعد[2].

3- وقد جاء نصائح الرازى فى الطعام وتدبيره وتوقيته كما يلى .

ينبغى أن يطعم الإنسان إذا خف ثقل الناحية السفلى من البطن، وثارت شهوة الأكل ولا ينبغى أن يملأ معدته من الطعام حتى تتمدد وتثقل ويضيق النفس[3]. مما يعود بالضرر على البدن. وليتغذى كل إنسان من أغذيته

---

[1] الرازى. المنصورى. ص203 .

[2] المنصورى . ص204 .

[3] يبدو أن الرازى متأثر هنا بحديث الرسول (ﷺ) الذى يقول فيه : "بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه .. ثلث لطعامه. وثلث لشرابه. وثلث لنفسه".

المألوفة بمقدار ما جرت به العادة من المرات. ويحدد الرازى عدد مـرات الأكـل المثلى بالنسبة للأصحاء فيقول: "وأقل ما يكون الأكل فى اليوم والليلة للأصحاء مرة واحدة، وأكثره مرتين، وأعدله أن يكون ثلاث أكلات فى اليومين"[1].

وينبه الرازى بأن الأكل مرة واحدة يضـر بأصحـاب الأبـدان النحيفـة، كما يضر أصحاب الجثث الغليظة الأكل مرتين، فى حين يحتاج ذوى الحركـة الكثيرة المتعبة إلى ما هو أكثر وأمتن من الغذاء .

وينصح الرازى أيضا بأن يتناول كل إنسان ما يلائمه مـن الغـذاء، كـل على حسب صحته، فإن من الأطعمـة مـا يناسـب الواحـد، ولكنـه لا يناسـب الآخر. كما فى حالة مريـض السـكر مثـلا الـذى ينصحـه الأطبـاء بـالتقليل أو الامتناع عن السكريات والنشويات، فيقول : "وينبغى أن يتناول كل إنسان من الأغذية الملائمة له، فإنه ربما لائمت أحد الأغذية بعض الناس، وكانت رديئة، فلا يحتاج أن يتوقاهـا توقـى سـائر النـاس لهـا. وربمـا كـانت بعض الأغذيـة الحميدة غير ملائمة لواحد من الناس فيحتاج أن يتوقاها"[2].

كذلك فإن كل الأغذية المختلفة فى وقت واحد، وتقديم الطعـام الأغلـظ على الأرق وطول عملية تناول الطعام، بحيث يسبق أوله آخـره بوقـت طويـل، فإن كل ذلك من الأسباب التى تؤدى إلى سوء الهضم .

ومن أحسن الأوقات لتناول الطعام، يرى الرازى أنها الأوقـات البـاردة دون الحارة، وكذلك الأوقات التى يستطيع الإنسان بعدها أن يتناول قسطا مـن الاسترخاء أو النوم، فيقول : وأفضل أوقات الأكل هى الأوقات الباردة، فإن لم يمكن، فليكن فـى المسـاكن البـاردة وفـى الأوقـات التـى يكـون بعدهـا الراحـة والنوم"[3].

---

[1] المنصورى . ص205 .

[2] نفس المصدر . نفس الصفحة .

[3] المنصورى . ص205 – 206 .

4- فى الشراب وتدبيره : ينبغى على حد قول الرازى أن لا يشرب الماء مع الطعام، وإن كان لابد من الشراب على المائدة، فليكن بقدر ما يسكن به العطش، فإذا ما انحدر الطعام إلى قاع المعدة، وخف أعلى البطن. فليشرب الإنسان حتى يرتوى . ويحذر الرازى من شرب ماء الثلج بكثرة. لاسيما الفرد الذى يعانى ضعفا فى الأعصاب، أما "من كان كثير اللحم والدم، أحمر اللون، قوى الشهوة، فلا ينبغى أن يخاف منه"[1].

ولا يشرب الماء البارد دفعة واحدة عقب الجماع، أو الحمام، أو الحركة العنيفة، وإنما ينبغى على الفرد أن يتجرعه قليلا قليلا، ساعة بعد ساعة ، حتى يزول العارض ويمحى أثره.

ويختتم الرازى نصائحه فى الشراب بقوله : "وليس بصالح أن يشرب الماء البارد على الريق"[2].

ولم يتوقف الرازى فى منهجه الوقائى عند حد نصائحه فى الحركة السكون والمأكل والمشرب فحسب، بل نراه يرتب نصائحه أيضا فى حفظ صحة أعضاء البدن على الأصحاء، ويمكن الوقوف على بعض هذه النصائح من خلال كتابه "الجراب" كما يلى:

1- فى حفظ جوهر الدماغ : يحفظ بأكل الدجاج الفتايا، فإنها تقوى الدماغ والمزاج وتزيد فى الحفظ، وتقوى العقل، وأدمغتها تزيد فى الحفظ زيادة عجيبة وتحفظ الدماغ أيضا[3].

---

[1] نفس المصدر. ص207 .

[2] نفس المصدر. ص208 .

[3] الرازى، جرب المجربات وخزانة الأطباء . وتحقيق خالد حربى. ص54 .

2- تحفظ صحة العين، باجتناب كثرة الشبع وكثرة التخم، والنوم على الامتلاء من الطعام، وكثرة النوم، والنظر إلى الأشياء المضيئة .. وقراءة الخط الدقيق[1].

3- تحفظ حصة الأذن والسمع، باجتناب صب الماء البادر القوى على الرأس، واجتناب سمع الأصوات "العالية"[2].

4- تحفظ صحة الفم والأسنان بتعاهد المضمضة بالماء البارد فى كل أسبوع بشراب سكنجبين قد خلط فيه شيء من الملح المسحوق .. والتسوك بالأنيسون والورد اليابس[3].

5- تحفظ صحة الحلق، باجتناب الصياح القوى، ويشرب حساء دقيق الحمص إذا طبخ معه لبن. ويستعمل الأنيسون، والكرنب فى تصفية الصوت[4].

6- تحفظ صحة الصدر باجتناب الغبار والدخان، والصياح، واجتناب شرب الماء البارد .. واجتناب الرياضة القوية، وصعود المواضع المرتفعة[5].

7- تحفظ صحة المعدة باستعمال الأغذية اللطيفة السريعة الهضم وأن لا يمتلئ من الطعام، ولا يدخل طعاما على آخر لم ينهضم[6].

هذا وقد اهتم الرازى بتقديم نصائحه وإرشاداته فى حفظ صحة أعضاء البدن من الرأس إلى القدم تمشيا مع منهجه العلاجى العام. وما قدمته مجرد أمثلة.

---

(1) الرازى . نفس المصدر. ص66 .

(2) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(3) الرازى . الجراب ص76 .

(4) الرازى. الجراب ص80 .

(5) الرازى. الجراب ص85 .

(6) الرازى. الجراب ص 97 .

كانت هذه أمثلة من نصائح وإرشادات الرازى فى الحركة والسكون. والمأكل والمشرب، وحفظ صحة أعضاء البدن، وهى تمثل فى مجموعها ما يمكن أن يطلق عليه الطب الوقائى عند الرازى. ولقد اتضح لنا خلال العرض السابق أن معظم هذه الإرشادات تتفق مع ما هو معمول به فى الطب الحديث لاسيما نصائحه فى حفظ أعضاء البدن. وإذا كان لى من تعليق. فإنه يكون على إرشاداته فى الشراب. تلك التى تتفق بعضها مع القواعد الإرشادية الطبية الحديثة. والبعض الآخر لا يتفق، وخاصة قوله السالف: "وليس بصالح أن يشرب الماء البارد على الريق".

فلقد أثبت الطب الحديث مؤخرا أن الماء مادة غذائية تحتوى على عناصر غذائية مفيدة للجسم. بدليل أن الإنسان يظل على قيد الحياة مدة طويلة قد تصل إلى ستين يوما بدون طعام، وذلك إن كان الجسم متغذيا بالماء فى هذه الفترة. ومن هنا ينصح الأطباء بشرب الماء كلما أحس الإنسان بالعطش سواء كان ذلك أثناء تناول الطعام، أو بعده مباشرة، بل ويؤكدون أن شرب الماء على الريق ليس مضرا، بل على العكس من ذلك، فهو مفيد، لأنه يعمل على تحريك المعدة. واستعدادها للعمل بدون عسر، أو إمساك. كما يعمل الماء على تنشيط الدورة الدموية ويغسل الكليتين، ومجارى البول. فيعمل على تخفيف نسبة الأملاح فى هذه الأجهزة .

# نتائج الدراسة

بعد أن استعرضت كل جوانب موضوع البحث، فعلى الآن أن أستخلص نتائجه من خلال الإجابة على الأسئلة التى طرحتها فى مقدمة هذا الكتاب وهى :

1- ما مدى تأثير العصر الذى عاش فيه الرازى، من نواحيه السياسية، والاجتماعية، والدينية، على الناحية العلمية؟

2- ما مدى تأثير الرازى كعالم فى تلامذته وعلماء عصره؟ وما هى خصائص أو سمات التقاليد العلمية التى أرساها وأصبحت برنامج عمل للأجيال التالية؟

3- هل كانت آراء الرازى النظرية والعملية فى المجال الطبى متأثرة بمن سبقه من الأطباء، وخاصة أطباء اليونان، أم أنها تزاوج بين الفكرين، أم هى آراء أصيلة تحسب لصاحبها؟

4- وإذا كان الرازى قد أتى بجديد فى المجال الطبى، فما هو هذا الجديد؟ وما هو المنهج الذى اتبعه فى هذا الصدد؟ وما مدى إسهامه فى تاريخ العلم بصفة عامة، وتاريخ الطب بصفة خاصة؟

5- هل كان الرازى متسقا مع منهجه التجريبى الذى اتخذه سبيلا للتفريق بين الحق والباطل؟ وما مدى اتفاق الرازى فى تطبيقه للمنهج التجريبى مع علماء المناهج المعاصرين؟

6- ما الجديد الذى أتى به الرازى فى مجال التشخيص والعلاج. هل أضاف شيئا أصيلا سجل به تقدما وسبقا على الحضارة الغربية الحديثة؟ وهل هناك إمكانية للتقريب بين الطب العربى - ممثلا فى الرازى هنا - وبين الطب الحديث؟

وللإجابة على هذه التساؤلات أطرح النقاط التالية

مع أن المجتمع الإسلامى فى عصر الرازى شهد اضطرابا فى النواحى السياسية، والاجتماعية، والدينية، إلا أنه قد عايش نهضة شملت معظم العلوم والمعارف، فلقد رأينا كيف شهد العصر وجود جماعات علمية لكل فرع من فروع العلم. وإن كانت الدراسة كلها قد تبلورت فى نوعين، نوع دينى أساسه القرآن والحديث. وما يرتبط بهما من علوم، ونوع دنيوى أساسه الطب وفروعه المختلفة والعلوم الفلسفية بصفة عامة، أو ما يطلق عليه علوم الحكمة . وكان لكل نوع منهج خاص فى بحث مسائله – وإن أثر كل منهما فى الآخر – فالعلوم النقلية قد اعتمدت على الرواية وصحة السند . فى حين اعتمد منهج العلوم العقلية كالطب، والطبيعة، والرياضيات. على معقولية الحقائق، واختبارها استنباطيا أو استقرائيا، أى عن طريق المنطق، أو التجربة العلمية .

وبالبحث عن أسباب الحالة الطبية المزدهرة فى عصر الرازى، وجدت أن معظم النظريات التى كانت سائدة – قبل أن يصل الرازى إلى مرحلة النضوج العلمى – إنما ترتد إلى اليونانيين، والذين أخذوا بدورهم معظم هذه النظريات من الحضارة المصرية القديمة. وقد رأينا كيف انتقلت هذه النظريات إلى العالم الإسلامى عبر مرحلة الترجمة الشهيرة على أثر جهود كثير من المترجمين والأطباء، أمثال حنين بن إسحاق، وابنه اسحق، ويوحنا بن ماسويه. وأسرة بختيشوع بن جبرائيل، وقسطا بن لوقا البعلبكى .. وغيرهم .

وقد وجد الرازى نفسه أمام هذا التراث الطبى المنقول، فتوافر عليه بالدراسة، ودون كثيرا من نظرياته فى كتبه، وليس أدل على ذلك من كثرة استعماله للفظة "لى" بعد انتهاء الفقرات المقتبسة من الآخرين. وذلك فى معظم كتبه، لاسيما "الحاوى". ولكن الرازى لم يسلم بآراء سابقيه، إلا بعد النقد والتمحيص، والاختبار. فقد ثار على ما وجده فى الكتب من آراء لا يقبلها

العقل، ولا تثبتها الملاحظة والتجربة. ومن كتبه فى ذلك: "كتاب الشكوك على جالينوس". وقد قدمت النصوص الدالة على ذلك فى سياق البحث العام.

ولكن النتيجة المهمة التى يزودنا بها الرازى فى هذا الصدد تتمثل فى تفصيل دقيق للجانب النقدى العقلانى، وهذا ما أدى بالضرورة إلى أن تصدر نظرياته عن اختبار دقيق للأفكار. وقد أثرت هذه الخاصية فى الأطباء الذين جاءوا بعده وتأثروا بكتاباته، إذ أصبح علم الطب عندهم يستند بالأصول والقواعد التى أرساها الرازى، إن من حيث الجانب الإكلينيكى والسريرى، أو من حيث الجانب التعليمى الأكاديمى الذى يأخذ فى اعتباره طريقة التعليم والدرس. وقد امتد هذا الأثر فيما بعد إلى أوروبا وأثر فى الأطباء إبان عصر النهضة .

وبالجملة يمكن القول بإن الرازى قد تأثر بكثير من آراء الأطباء اليونان القديمة النظرية منها والعملية، وأهمها الطريقة السريرية التى استخدمها الرازى، فقد وجد لها إرهاصات عند أبقراط الذى أدخل الطب اليونانى – الذى اتخذ من صياغة النظريات المجردة سبيلا – فى إطار عملى قائم على الفحص الإكلينيكى والاستنتاج المنطقى السليم. ولكن يعزى إلى الرازى إرساء القواعد العلمية لهذه الطريقة، وأتى أعتبر بها رائدا لعلم السريريات الحديث .

وبذلك يكون الرازى قد زاوج أيضا بين الطب اليونانى، والطب العربى الإسلامى فى بعض جوانبهما .

وقد شكل التراث الطبى السابق على الرازى، مع تعلمه على أستاذه أبى الحسن على بن ربن الطبرى، شكل الأسس المعرفية، أو المنطلقات الابستمولوجية التى حددت فكر الرازى فيما بعد، وانتهى منها إلى معارف جديدة عندما بلغ طور النضوج والابتكار. فلقد جاء الرازى بآراء واكتشافات علمية وعلاجية أصيلة، عبرت بحق عن روح الإسلام وحضارته العلمية إبان

عصورها المزدهرة. فالرازى هو أول من وصف مرض الجدرى والحصبة. وأول من ابتكر خيوط الجراحة من أوتار العود. وهو أيضا أول من عمل مراهم الزئبق، وأول من عرف الإصابة بالعرق المدينى، أو "دودة الفرنديت". وهو أول من طبق معلوماته فى الكيمياء على الطب ومن الذين ينسبون الشفاء إلى إثارة تفاعل كيميائى فى جسم المريض. وله أيضا فضل اكتشاف بعض المركبات الكيميائية مثل الكحول، وزيت الزاج (حامض الكبريتيك) .

وللرازى كثير من الإنجازات الطبية الأخرى، والتى جعلت منه حجة للطب فى أوربا الحديثة. وليس أدل على ذلك من تخصيص جامعة برنستون الأمريكية أضخم ناحية فى أجمل أبنيتها لمآثر هذا العلم من أعلام الحضارة الخالدين

لم يتوقف الرازى عند حد الاشتغال بالممارسات الطبية، بل رأيناه يتأثر بما ساد فى عصره من وجود مجالس كثيرة للعلم. فجاء مجلسه التعليمى - النظرى والعملى - أشهر مجالس العصر، إذ أن صاحبه قد اتبع طريقة أكاديمية فى تعليم تلاميذه، وذلك بتقسيمه إياهم إلى مجموعات متباينة على حسب تاريخ التحاق الطالب بحلقة الدرس، وقدرته العقلية على التحصيل، يدل على ذلك تدرجه بالمتعلم من الأسهل إلى الأقل سهولة، فكان يعطيه أولا أصول العلم، حتى يتهيأ عقله بعد ذلك لقبول جوامعه .

ولقد أكد الرازى على الجمع بين قراءة الكتب النظرية، والممارسات العملية فى تعلم الطب. كما اهتم بأثر العامل النفسى فى العملية التعليمية، وعمل على بث القيم الأخلاقية فى نفوس تلاميذه. إلى غير ذلك من السمات التى تميز بها العمل العلمى عند الرازى.

ولقد وقفت على مدى شغف الرازى بالعلم وخطواته من، جمع، وتحصيل، وتأليف. ووجدت أن الرازى كان موسوعيا فى كتاباته، وليس أدل

على ذلك من أن كتاب "الحاوى" أخذ فى تأليفه خمس عشرة سنة. فجاء موسوعة طبية ضخمة. اتبع فيها الرازى منهج الاستقصاء الذى جمع بمقتضاه، طب الأغريق إلى طب غيرهم، إلى طب العرب، إلى طبه هو، وما رأى فى طب غيره. مع أن الرازى قد مات قبل أن يخرج هذا الكتاب الضخم.

ولكن الرازى لم يتبع منهج الاستقصاء هذا فى كل مؤلفاته، بل ترك لنا - فى مقابل ضخامة الحاوى - رسائل صغيرة موجزة منها رسالة بـرء ساعة مثلا، حيث تقع فى حوالى خمسة عشر صفحة تقريبا.

ولقد اعتبر الرازى فى نظر المؤرخين واحدا من أعظم الأطباء المؤلفين فى جميع العصور، وذلك إنما يرجع إلى غزارة إنتاجه، والذى اختلف المؤرخون فى عدده نظرا لكثرته. وقد ذكر الرازى نفسه أنه ألف قرابة مائتى كتاب ومقالة حتى وقت تأليفه لكتاب "السيرة الفلسفية".

ولقد وجدت أن معظم مؤلفات الرازى قد فقدت، وما بقى منها مازال مخطوطا، وما طبع منها لا يتعدى ثلاثة عشر مؤلفا.

ولقد لعبت هذه المؤلفات المطبوعة دورا بارزا فى الحضارة الحديثة باعتراف المستشرقين الأوربيين أنفسهم من أمثال: شيدر، وبنييس، وماكس مايرهوف، وبول كراوس. وغيرهم من الذين توافروا على دراسة وتحقيق بعض مؤلفات الرازى.

وهذا إنما يدعو الباحثين العرب إلى دراسة وتحقيق بقية مؤلفات الرازى المخطوطة. لاسيما الطبية والعلاجية منها. وذلك لأهميتها فى مجال المعالجة بالنباتات والأعشاب الطبية، موضوع اهتمام وزارات الصحة حاليا. أما عن المنهج الذى أدى بالرازى إلى هذه الإسهامات الطبية الأصيلة. فلقد استخدم الرازى المنهج التجريبى القائم على الملاحظة والاختبار. والذى لعب دورا

أساسيا لديه. إذ به قد تحرر فكريا من تأنير المذاهب والنظريات السابقة عليه. ولم يرض بالتسليم بما تتضمنه إلا بعد إقرار التجربة بذلك.

ولقد وجدت عند الرازى مراحل للمنهج التجريبى بصورتيه التقليدية، والمعاصرة إذ أنه لم يقف على ترتيب ثابت لخطوات ذلك المنهج (الملاحظة - التجربة - فرض الفروض - التحقق من الفروض). كما وجدت الرازى يتفق مع علماء المناهج المعاصرين، ذلك لأنه يقترب من المنهج العلمى الحديث الذى يعرف بالمنهج الفرضى الاستنباطى، ويقوم على الاندماج بين المنهجين. الاستنباطى والاستقرائى. وقد قدمت النصوص الكافية الدالة على ذلك، والتى اتضح منها أن الرازى كان متسقا مع ما وصل إليه عن طريق هذا المنهج. اللهم إلا القليل النادر الذى ضمنه بعض كتبه. ومن ذلك مثلا قوله، بعدم شرب الماء البارد على الريق، والذى جاء مخالفا لما أثبته الطب الحديث بالتجربة. من حيث إن الماء يحتوى على كثير من المواد الغذائية، لذا ينصح بتناوله عند كل حاجة .

كما خرج الرازى عن منهجه التجريبى عندما ذكر بعض الوصفات العلاجية التى تعد من قبيل الدجل والشعوذة. فلم تثبت التجربة مثلا أن دفن طحال شاه فى التراب قد قيل عليه : بسم الله دفنت طحال فلان بن فلانة. يشفى المصاب بالطحال!

ولكن هذه الأمثلة القليلة لا تقلل من اتساق الرازى مع منهجه التجريبى. والذى ساعده أيضا على التشخيص السليم للأمراض باعتباره الأساس الذى يقرر على ضوئه العلاج المفيد.

ولقد أسهم الرازى فى مجال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن. منها: المراقبة المستمرة للمريض. والاختبار العلاجى. وهو أن يعطى العليل علاجا مراقبا أثره، وموجها للتشخيص وفقا لهذا الأثر. ومنها أهمية ودقة

استجواب المريض، فينبغي للطبيب أن لا يدع مساءلة المريض، وأن لا يمل مساءلته عن كل ما يمكن أن يتولد عن علته من داخل. ومن خارج، ثم يقضى بالأقوى، ومنها أيضا، العناية بفحص المريض فحصا شاملا، على اعتبار أن الجسم وحدة واحدة متماسكة الأعضاء إذا اختل واحد منها "تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى".

ولقد اتضح لنا أن نظرية الرازى الأساسية فى التشخيص قد اعتمدت على التساؤل عن الفرق بين الأمراض. فمن الإسهامات الأصيلة التى قدمها الرازى للطب، تفرقته بين الأمراض المتشابهة الأعراض، وهذا ما يطلق عليه الآن التشخيص التفريقى Diff Diagnosis، والذى يعتمد على علم الطبيب وخبرته. وطول ممارسته، وذكائه، وقوة ملاحظاته. وقد توفر كل ذلك فى الرازى.

هذا عن التشخيص الخارجى. أما عن التشخيص الباطنى، فلقد رأينا الرازى يضع مجموعة من المبادئ الخاصة بذلك، والتى لا تكاد تخرج عما هو متبع الآن فى الطب الحديث. ومن هذه القواعد، العلم بأشكال، ومواضع، وجواهر الأعضاء الداخلية، والعلم بما تحتوى عليه، والعلم بفضولها التى تدفع عنها. ولا يستطيع الطبيب الإلمام بهذه المبادئ إلا بممارسة التشريح، وذلك حتى يمكنه اكتساب الدلائل، ويصيب المقدمات الدالة على العضو الوجع وماهية وجعه. وكل ذلك لكى يأتى علاجه على طريق الصواب.

ولقد مارس الرازى التشريح. فقدم وصفا دقيقا لمعظم أعضاء الجسد. ولأهمية هذا الجانب فى المجال الطبى بعامة. كان الرازى يختبر تلامذته المتخرجين عليه فى التشريح أولا. فإذا فشلوا فيه، فإن ذلك يعنى فشلهم فى تعلم الطب كلية. وهو بذلك يقترب مما هو معمول به فى كليات الطب الحديثة.

أما عن منهج الرازى العلاجى، فقد رأينا أنه أعتمد جل اعتماده على الغذاء، ورأيناه ينصح فى العديد من مؤلفاته بالأغذية قبل الأدوية. وكان يفضل النباتات والأعشاب الطبية التى خلقها الله على العقاقير المركبة التى يصنعها الإنسان .

ولقد أدرك الرازى أن هناك علاقة مباشرة بين صحة الفرد الجسمية، وبين النظام الغذائى الذى يتوفر له فى مراحل حياته المختلفة. وهذا الأمر يدخل ضمن اهتمامات الطب الحديث بصورة قوية. كما اهتم اهتماما بالغا بالعوامل الطبيعية من حرارة، ورياح، ورطوبة، وذلك لأهمية هذه العوامل للمرضى، فضلا عن الأصحاء، فكان يهتم بإنارة البيوت، ودرجة حرارتها، وتهويتها، ونقاوة ماءها، هذا إلى جانب نصائحه المستمرة بضرورة الاغتسال. ذلك الأمر الذى رأت فيه أوربا فى القرون الوسطى إثما وعارا.

وقد اكتشف الرازى طرقا جديدة فى العلاج، فبالإضافة إلى ما سبق، فقد استعمل الرازى الأنابيب التى يمر فيها الصديد والقيح والإفرازات السامة. واستعمل الضغط بالأصابع، وبالرباط فى حالة النزيف الشريانى. كما يعتبر الرازى أول من اهتم بالجراحة كفرع من الطب قائم بذاته. واستخدم أدوية مازال الطب الحديث يعول عليها حتى الآن، مثل استخدام الأفيون فى حالات السعال الشديدة. كما يعد الرازى أول من استعمل الأحزمة لمعالجة الفتوق. واستخدم طريقة التبخير فى العلاج، وهى لاتزال تستخدم حتى يومنا هذا.

ولكن أهم ما فى منهج الرازى العلاجى، هو اعتماده - كما سبق - على الأغذية والنباتات الطبيعية، تلك التى تجرى عليها الأبحاث حاليا فى معظم دول العالم للتأكد من صلاحيتها فى علاج الأمراض المعاصرة. وقد استلزم ذلك، التفتيش عن المخطوطات العربية القديمة المتخصصة فى هذا الجانب. وقد

قدمت فى الفصل الرابع من هذا البحث من الأمثلة التى تظهر إمكانية التقريب بين الطب العربى القديم، والطب الحديث.

أما عن المعالجات النفسية، فيعتبر الرازى هو أول من خرج على قسم أبقراط الذى اقتصرت عليه الآفاق الخلقية فى الطب حتى عصر الرازى. وكان ذلك حينما سعى كأول طبيب فى معالجة المرضى الذين لا أمل فى شفائهم. فالواجب يحتم على الطبيب أن يسعى دوما إلى بث روح الأمل فى نفس المريض، ويوهمه أبدا بالصحة، لأن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس. فكان الرازى رائدا أيضا فى هذا المجال .

من كل ما سبق أستطيع أن أجمل إجاباتى على فرضيات البحث فى نقاط محددة فيما يلى :

1- لم يكن للواقع السيىء الذى عاشته الدولة الإسلامية فى عهد الرازى أى تأثير على الحالة العلمية، بل على العكس من ذلك، وجدت أن العلم قد ازدهر، وراج، وذلك فى مقابل اضطراب النواحى السياسية والاجتماعية والدينية :

2- اتبع الرازى "الأستاذ المعلم" طريقة أكاديمية فى تعليم تلاميذه، واتسم العمل العلمى عنده بسمات مميزة . وهو بذلك قد أرسى قواعد وبرامج عمل علمية، أثرت فى الأجيال التالية، ولا تكاد تخرج عن ما هو متبع الآن فى مراحل التعليم الحديثة .

3- لقد تأثر الرازى بمن سبقه من الأطباء. وخاصة أطباء اليونان. كما زاوج بين التفكير الطبى اليونانى. والتفكير الطبى العربى الإسلامى فى بعض المواضع.

4- قدم الرازى إسهامات طبية. وعلاجية. وكيميائية أصلية. عبر بها عن روح الإسلام وحضارته العلمية فى عصورها الزاهرة. كما سجل بها تقدما وسبقا

على الحضارة الغربية الحديثة . وأسهم بها فى تطور حركة وتـاريخ العلـم بعامة، وتاريخ الطب بخاصة، وقد استحق بها أن يطلق عليه حجة الطب فـى العـالم منـذ زمانـه "القـرن الثـالث الهجـرى". وحتـى بدايـة الطـب الحديث.

5- اتسق الرازى مع منهجه التجريبى القائم على الملاحظة والتجربـة، وفـرض الفروض والتحقق منها، ولم يخرج عنه إلا فى حالات قليلة جدا، تكاد لا تذكر .

6- هناك إمكانية كبيرة للتقريب بين الطب العربى القديم - ممثلا فى الـرازى فى هذا الكتــاب - وبـين الطـب الحديـث . وذلـك بـالتوافر علـى إخـراج وتحقيق ما تبقى من كتب الرازى الهامة - لاسيما العلاجية منها - والتى مازالت مخطوطة، وتقديمـها للمتخصصـين فـى الطـب والصيدلـة، وذلـك للتأكد مما صاغه الرازى من وصفات مختلفة لأغلـب الأمـراض الحديـث، وتقديم ما يصلح منها حاليا فى صورة علاجية معاصرة أسـوة بمـا يحـدث حاليا فى مراكز عالمية كثيرة .

وتلك هى التوصية التى يوصى بها هذا الكتاب .

والله من وراء القصد .

# المصادر والمراجع

أولا : المصادر

ثانيا : المراجع :

1- مراجع عربية ومترجمة إلى العربية .

2- رسائل ودوائر ومعارف ودوريات .

3- مراجع أجنبية .

## أولا المصادر .


1- أبو بكر محمد بن زكريا الرازى : برء ساعة. دراسة وتحقيق خالد حربى. دار ملتقى الفكر. الإسكندرية 1999 .

2- ............................ : جراب المجربات وخزانة الأطباء. دراسة وتحقيق خالد حربى. دار الثقافة العلمية. الإسكندرية 2002 .

3- ............................ : الحاوى الكبير فى الطب. طبعة حيدر أباد الدكن بالهند. 15 جزء. 1971 .

4- ............................ : خواص الأشياء. مخطوط الهيئة المصرية العامة للكتاب رقم 264 طب تيمور. 141 طب عام .

5- ............................ : رسائل فلسفية. تحقيق لجنة إحياء التراث العربى. دار الآفاق الجديدة. بيروت. الطبعة الخامسة 1982 .

6- ............................ : رسالة إلى أحد تلامذته. مخطوط الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن مجموعة تحت رقم 119 طب تيمور .

7- ............................ : سر صناعة الطب. دراسة وتحقيق خالد حربى. دار الثقافة العلمية. الإسكندرية 2002 .

8- ............................ : علاج الأمراض بالأغذية والأدوية المشهورة الموجودة فى كل مكان. مخطوط المكتبة المركزية بجامعة الإسكندرية رقم 119 ماكس مايرهوف .

9- ........................ : كتاب التجارب. دراسة وتحقيق خالد حربى. دار الثقافة العلمية. الإسكندرية. 2002 .

10 - ........................ : كتاب القولنج، تحقيق صبحى محمود حمامى، منشورات جامعة حلب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، الطبعة الأولى 1983.

11- ........................ : مقالة فى النقرس، دراسة وتحقيق خالد حربى. دار الوفاء ، الإسكندرية 2005 .

12 - ........................ : المرشد أو الفصول. تحقيق ألبير زكى اسكندر. مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد السابع. مايو 1961 .

13 - ........................ : منافع الأغذية ودفع مضارها، تحقيق حسين حموى، دار الكتاب العربى. سوريا 1984.

14 - ........................ : المنصورى فى الطب، تحقيق حازم البكرى الصديقى ، معهد المخطوطات العربية الكويت 1987 .

## ثانيا : المراجع :

### 1- مراجع عربية ومترجمة إلى العربية :


15- ابـــن أبـــي أصيبعـــة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار الحياة، بيروت بدون تاريخ .

16- ابـــن جلجـــل : طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة 1955.

17 - ابـــن خلكـــان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق محمد محي الدين، دار النهضة المصرية 1949 .

18 - ابـــن كثـــير : البداية والنهاية. تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح. دار الحديث. القاهرة، بدون تاريخ .

19 - ابـــن النـــديم : الفهرست ، طبعة القاهرة 1348 هـ .

20 - دكتـــور أحمـــد أمـــين : ضحى الإسلام . دار الكتاب العربي ، الطبعة العاشرة. بيروت. بدون تاريخ .

21 - ........................ : ظهر الإسلام . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة 1962 .

22 - دكتور أحمد فؤاد باشا : علوم الطب في تراث المسلمين. مجلة الأزهر. جـ11 عدد أبريل 1995 .

23 - دكتور أحمد محمود صبحي : في فلسفة الطب. دار المعرفة الجامعية ودكتور محمود فهمي زيدان : 1995 .

24 أرنســــــت كاســــــيرر مدخل إلى فلسـفة الحضـارة الإنسـانية. أو مقال فى الإنسان. ترجمة إحسان عبـاس. مراجعة محمد يوسف نجم. دار الأندلسـى بيروت 1962 .

25 - إسمـاعيل باشـا البغــدادى · هديـة العـارفين ، أسمـاء المؤلفـين وآثـار المصنفين مـن كشـف الظنـون، دار الكتـب العلمية 1992 .

26 - بـــــول غليونجــــــى : ابن النفيس ، ضمن سلسـلة أعـلام العـرب 57 ، الـدار المصريـة للتـأليف والترجمـة النشر .

27 دكتــور توفيــق الطويــل : العرب والعلم فى عصـر الإسـلام الذهبـى. ودراسـات علميــة أخـرى، دار النهضـة العربية 1968 .

28 - دكتـور التيجـانى المـاحى : مقدمة فـى تـاريخ الطـب العربـى. مطبعـة مصر بالخرطوم 1959 .

29 - الجــاحــــــــــظ · البيـان والتبيـين، تحقيـق فـوزى عطـوى. الشركة اللبنانية للكتاب. بيروت 1968 .

30 - جـــــورج ســـــارتون : تاريخ العلم. ترجمة لفيـف مـن الدكـاترة، دار المعارف 1957 .

31 - جـورج شـحاته قنوانــى : تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العـهد القديـم والوسيط، دار المعارف بمصر 1959 .

32 - جوزيــــف جـــــارلند : قصـة الطـب ، ترجمـة سـعيد عبـده. دار المعارف بمصر بدون تاريخ .

33 – حـــــاجى خليفـــــة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1992 .

34 – دكتـــور حســـن كمـــال : الطب المصرى القديم ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية 1964 .

35 – دكتـــور خـــالد حربـــى : الأسس الإبستمولوجية لتاريخ الطب العربى، دار الثقافة العلمية الإسكندرية 2002 .

36 – ........................ : بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية، دار الوفاء الإسكندرية 2004 .

37 – ........................... : علوم حضارة الإسلام وأثرها فى الحضارة الإنسانية سلسلة كتاب الأمة، قطر 2005.

38 – ........................... : نشأة الإسكندرية وتواصل نهضتها العلمية، دار ملتقى الفكر ، الإسكندرية 1999 .

39 – دنلـــــــــــوب : الرازى فى حضارة العرب. ترجمة وتقديم وتعليق خالد حربى، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002.

40 – زيجريـــــد هونكـــــه : شمس العرب تسطع على الغرب ، دار الآفاق الجديدة. بيروت. الطبعة الثامنة 1986 .

41 – ســـــامى حمارنـــــه : فهرست مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق "الطب والصيدلة" طبعة دمشق 1969 .

42 دكتورة سهام النويهى تطور المعرفة العلمية ، مقال فى فلسفة العلد القاهرة بدون تاريخ .

43 - الشهرزورى : نزهة الأرواح وروضة الأفراح، المعروف بـ "تواريخ الحكماء"، تحقيق مركز التراث القومي والمخطوطات بجامعة الإسكندرية، إشراف د. محمد على أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى 1993 .

44 - شوقى ضيف : العصر العباسى الثانى، دار المعارف. الطبعة الثالثة 1973 .

45 - دكتور صالح أحمد العلى : العراق فى التاريخ، دار الحرية وأخرون : للطباعة. بغداد 1983 .

46 - دكتور عامر ياسين النجار : حركة الترجمة وأعلامها فى العصر العباسى، دار المنار، القاهرة 1993 .

47 - دكتور عبد الحليم الجندى : القرآن والمنهج العلمى المعاصر، دار المعارف 1984 .

48 - دكتور عبد الرحمن بدوى : مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين الطبعة الأولى 1973 .

49 - ........................... : مناهج البحث العلمى، وكالة المطبوعات الكويت 1997 .

50 - دكتور على سامى النشار : مناهج البحث عند مفكرى الإسلام . ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاطاليسى . دار الفكر العربى، الطبعة الأولى 1947 .

51 دكتور عمر فروخ : عبقرية العرب فى العلم والفلسفة . المكتبة العصرية بيروت 1985 .

52 - دكتور فاضل أحمد الطائى : أعلام العرب فى الكيمياء. الهيئة المصرية العامة للكتاب . بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية العامة بغداد 1986 .

53 - قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب. دار مصر للطباعة بدون تاريخ .

54 - القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة 1928 .

55 - كاترين ب . شين : رواد الطب ، ترجمة م. عيسى، مكتبة النهضة المصرية 1962 .

56 - كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، ترجمة لفيف من لدكاترة ، بإشراف د. محمود فهمى حجازى، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993 .

57 - كارل بوبر : منطق الكشف العلمى. ترجمة د. ماهر عبد القادر محمد. دار النهضة العربية، بيروت 1986 .

58 - كارم السيد غنيم : ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين ، الزهراء للإعلام العربى ، بدون تاريخ .

59 - كمال زكى : العرب صانعوا المجد . الوكالة العربية للدعاية والنشر. الإسكندرية بدون تاريخ .

60 -دكتور كمال السامرانى.وأخرون: أبو بكر الرازى وأثره فى الطب، مركز إحياء التراث العلمى العربى. جامعة بغداد 1988 .

61 دكتور ماهر عبد القادر محمد : أسس المنطق الصورى ومناهج البحث العلمى. دار المعرفة الجامعية 1997

62 - ........................ التراث الإسلامى. الكتاب الأول "العلوم الأساسية" المركز المصرى للدراسات والأبحاث 1985.

63 - ........................ : شخصيات ومذاهب فى تاريخ الطب العربى، دار المعرفة الجامعية 1991 .

64 - محمد بن جرير الطبرى تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبرى، دار الكتب العلمية. الطبعة الثالثة بيروت 1991 م .

65 دكتور محمد محمد قاسم : برتراند رسل. الاستقراء ومصادرات البحث العلمى، دار المعرفة الجامعية 1996 .

66 - ................. ..... : المدخل إلى فلسفة العلوم. دار المعرفة الجامعية 1996 .

67 دكتور محمد عبد الرحمن مرحبا الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب. تقديم جميل صليبا. دار الكتاب اللبنانى بيروت 1970 .

68 – دكتور محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى. جـ1 "الفلسفة اليونانية". دار المعرفة الجامعية 1988

69 – ......................... : تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام. دار المعرفة الجامعية 1980 .

70 – ........ ............ : دراسات فى المنهج العلمى لدى الأطباء العرب 1- دراسة مقارنة عن منهج ابن

سينا فى كتاب القانون ، مجلة الإسكندرية الطبية، العدد الأول 1972 .

71 محمد فريد وجدى : الإسلام فى عصر العلم، دار الكتب العربى، بيروت 1967 .

72 - دكتور محمد كامل حسين ودكتور محمد عبد الحليم العقبى: طب الرازى، "دراسة تحليلية لكتاب الحاوى"، دار الشروق، القاهرة 1977 .

73 -دكتور محمود الحاج قاسم محمد : تاريخ طب الأطفال عند العرب، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمى العربى، الطبعة الثالثة 1989 .

74 - ول ديورانت : قصة الحضارة، جـ2 من المجلد الرابع، عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثالثة 1974 .

## 2- رسائل ودوائر معارف ودوريات :

75 - سناء عبد الحميد : النفس بين النظر والعمل عند أبى بكر محمد بن زكريا الرازى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1987 .

76 -دكتور محمد عبد اللطيف العبد: فلسفة أبى بكر محمد بن زكريا الرازى رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، القاهرة 1975 .

77 محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة 1971 .

# 3- مراجع أجنبية :

78 Benton (Wiliam) : Encyclopedia Britannica, Publisher Printed in the U.S.A., Vol. 1964 .

79 – Browne (Adward) : Arabian, Cambridge 1922 .

80 – Holt (P.M.), Ann (K. S. L.) and Lewis (Bernard) : The Cambridge History of Islamic socety and civilization, Vol. 28, Cambridge University, Press 1970 .

81 – Meyerhof (Max) : Thirty three clinical observation by Rhazes, Isis, Vol. 23, N66, September 1935 .

82 – Nasr (S.H.) : Islamic studies, Librarie du Beirut, 1967 .

83 – Ranking (G.S.A.) : The life & works of Rhazes, London 1914 .

84 – Sarton (George) : Introduction to the history of sience, 3 Vols, Baltimore 1927 .

85 – Sour Del (D. ETJ) : La civilisation de l'Islam classique, Paris 1950 .

86 – Watt; Montgomery , the Islamic world, first edition, London, 1974 .

# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |



## الفصل الثالث

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |



## الفصل الرابع

## أعمال الدكتور خالد حربى

1 - الرازى الطبيب وأثره فى تاريخ العلم العربى . الطبعة الأولى . ملتقى الفكر . الإسكندرية 1999 . الطبعة الثانية . دار الوفاء الإسكندرية . 2005 .

2- نشأة الإسكندرية وتواصل نهضتها العلمية . الطبعة الأولى . ملتقى الفكر . الإسكندرية . 1999

3- برء ساعة للرازى (دراسة وتحقيق) ، الطبعة الأولى، ملتقى الفكر، الإسكندرية ، 1999 . الطبعة الثانية ، دار الوفاء، الإسكندرية 2005 .

4- خلاصة التداوى بالغذاء والأعشاب ، الطبعة الأولى، ملتقى الفكر، الإسكندرية. 1999 ، الطبعة الثانية 2000 ، توزيع مؤسسة أخبار اليوم ، الطبعة الثالثة. دار الوفاء، الإسكندرية 2005 .

5- الأسس الإبستمولوجية لتاريخ الطب العربى . الطبعة الأولى ، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية . 2002 .

6- الرازى فى حضارة العرب (ترجمة وتقديم وتعليق) . الطبعة الأولى . دار العرب، الثقافة العلمية، الإسكندرية 2002 .

7- سر صناعة الطب للرازى (دراسة وتحقيق) ، الطبعة الأولى، دار الثقافة العلمية. الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء الإسكندرية 2005 .

8- كتاب التجارب للرازى . الطبعة الأولى . دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية. دار الوفاء الإسكندرية، 2005 .

9- كتاب جراب المجربات وخزانة الأطباء للرازى (دراسة وتحقيق) ، الطبعة الأولى، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية ، 2005 .

10 – العولمة بين الفكرين الإسلامى والغربى "دراسة مقارنة" . الطبعة الأولى، منشأة المعارف. الإسكندرية ، 2003 .

11- المدارس الفلسفية فى الفكر الإسلامى (1) الكندى والفارابى "رؤية جديدة" . الطبعة الأولى. منشأة المعارف . الإسكندرية ، 2003 .

12 - دراسات فى الفكر العلمى المعاصر (1) علم المنطق الرياضى . الطبعة الأولى. دار الوفاء . الإسكندرية 2003 .

13 - دراسات فى الفكر العلمى المعاصر (2) الغائية والحتمية وأثرهما فى الفعل الإنسانى . الطبعة الأولى ، دار الوفاء . الإسكندرية 2003 .

14 - دراسات فى الفكر العلمى المعاصر (3) إنسان العصر بين البيولوجيا والهندسة الوراثية . الطبعة الأولى ، دار الوفاء، الإسكندرية، 2003 .

15 - الأخلاق بين الحلال والحرام، والصواب والخطأ . الطبعة الأولى. منشأة المعارف. الإسكندرية 2003 .

16 - العولمة وأبعادها ، ضمن مجلد "رسالة المسلم فى حقبة العولمة" الصادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر. رمضان 1433 هـ، نوفمبر 2003.

17- دور الاستشراق فى موقف الغرب من الإسلام وحضارته (بالإنجليزية). دار الثقافة العلمية . الإسكندرية، 2003 .

18- شهيد الخوف الإلهى الحسن البصرى. الطبعة الأولى. دار الوفاء. الإسكندرية. 2003 .

19 - بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية . الطبعة الأولى. دار الوفاء . الإسكندرية 2003 .

20 - دراسات فى التصوف الإسلامى . الطبعة الأولى. دار الوفاء. الإسكندرية. 2003 .

21 - علوم الحضارة الإسلامية وأثرها فى الآخر . الطبعة الأولى. دار الوفاء. الإسكندرية 2005 .

22 – مقالة فـى النقـرس للـرازى (دراسـة وتحقيـق) ، الطبعـة الأولى، دار الوفـاء، الإسكندرية 2005 .

23 - التراث المخطوط : رؤية فى التبصير والفهم (1) علـوم الديـن لحجـة الإسـلام أبى حامد الغزالى . الطبعة الأولى . دار الوفاء ، الإسكندرية ، 2005 .

24 – التراث المخطوط : رؤية فى التبصير والفهم (2) المنطـق ، الطبعـة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية ، 2005 .

25 – علوم حضارة الإسلام وأثرها فى الحضـارة الإنسـانية ، سلسـلة كتـاب الأمـة، وأثرها فى الحضارة قطر ، 2005 .

26 –ملامح الفكر السياسى فى الإسلام ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، الإســكندرية، 2005 .